

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 112 - 10TH YEAR - JUN/JUL. 1986.

العدد (١١٢) شوال ١٤٠٦هـ السنة العاشرة حزيران (يونيو) / تموز (يوليو) ١٩٨٦م

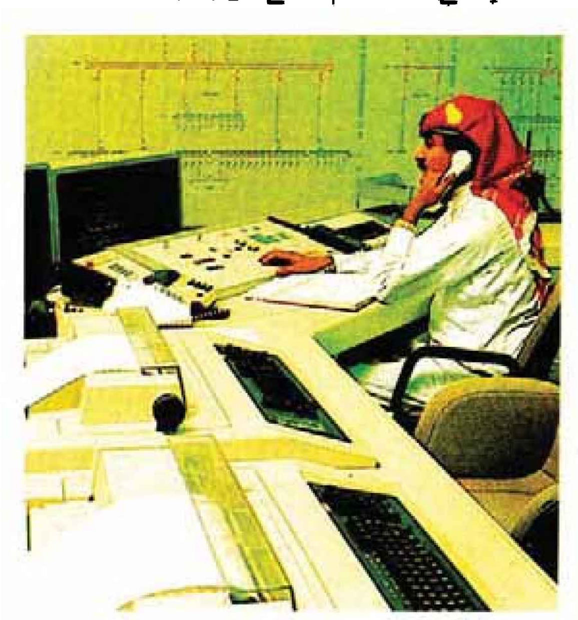


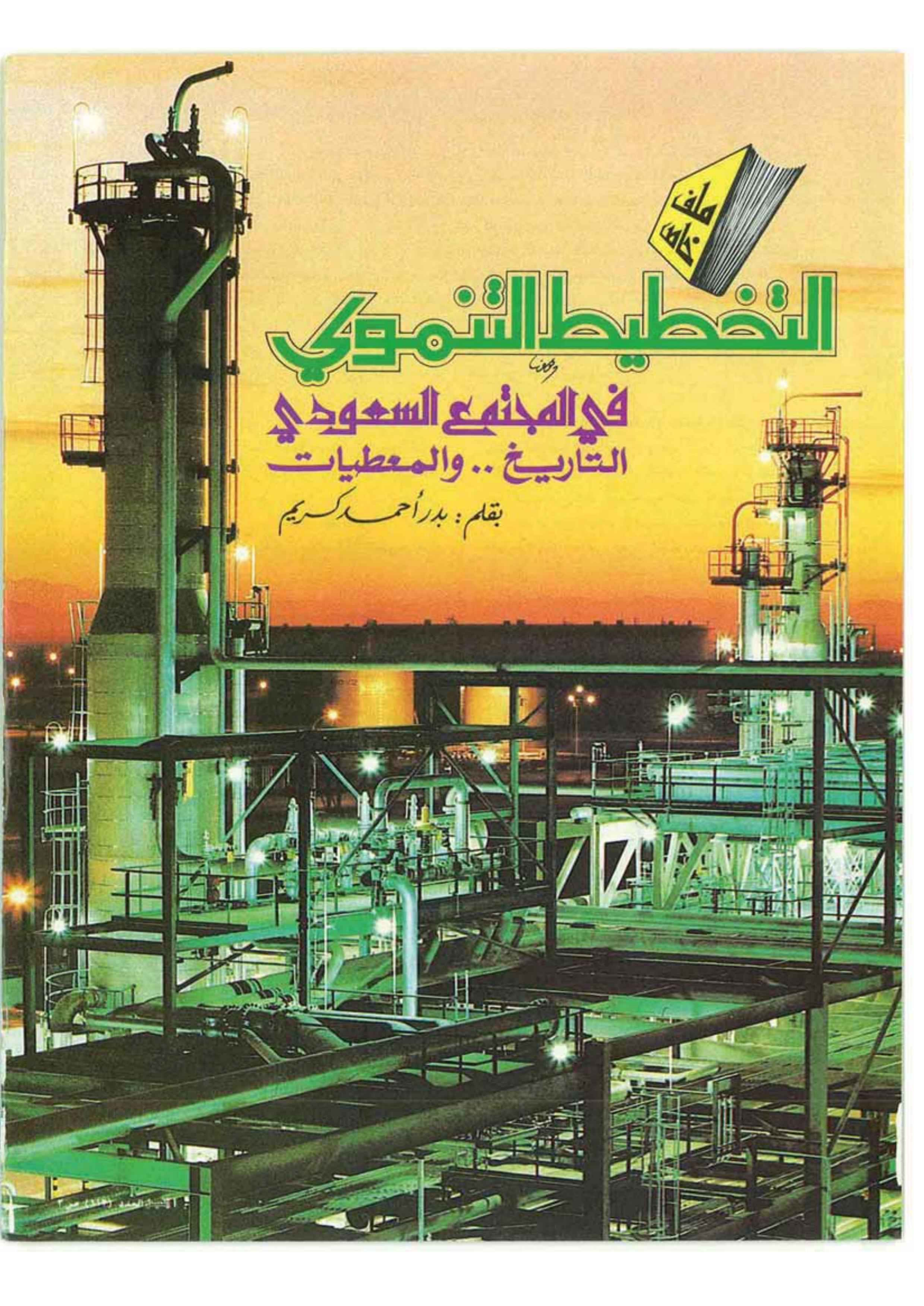
في هذا العدد

التخطيط التنموي في المملكة العربية السعودية، علامة بارزة في طريق التطور الذي ساد المجتمع السعودي في السنوات الأخيرة.

استطاعت حكومة المملكة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ـ بدءً بأول خطة خمسية للتنمية في التاريخ السعودي الحديث، في عام ١٣٨٩هـ، وانتهاءً بإقرار خطة التنمية الخمسية الرابعة في عام ١٤٠٥هـ ـ أن تحقق من المنجزات التنموية ما يلي:

- ازدياد عدد المواتف العاملة (من ٢٩,٠٠٠ ـ ٩٤٩,٠٠٠ خط هاتفي).
- ازدياد عدد الأطباء (من ١٠٠٠ ـ ١٤,٨٦٧ طبيباً).
- تضاعف عدد الطلبة والطالبات في مراحل التعليم الثلاث (٢,١٠٠,٠٠٠) طالب وطالبة.
- ارتفاع إنتاج القمح (١٣٠,٠٠٠ ـ ٢,٠٤٧,٠٠٠ طن).
- تطوير مرافق الحج.. بإنشاء (٢٠ نفقاً، و١٥ جسراً للمشاة).
- إنشاء أحدث المدن الصناعية في العالم (في الجبيل، وينبع، ورابغ)، يُسوّق إنتاجها في جميع أنحاء العالم. طالع ص (٣).




ملف خاص
التخطيط التنموي
في المجتمع السعودي
التاريخ .. والمعطيات
بقلم : بدر أحمد كريم

يحسُنُ بنا قبل أن نبدأ في تتبع نشأة وتطور التخطيط التنموي في المجتمع السعودي ، أن نحدد أولا المفهومات الإجرائية[1] لمصطلحات : التخطيط، التنمية ، المجتمع ، من منظور علماء الاجتماع .. بيد أنه لا بد من الإشارة بادئ ذي بدء إلى ناحيتين : الأولى أن المنهج الذي استخدمناه في هذا البحث ، هو «المنهج التاريخي » ، وإننا اعتمدنا في هذا البحث على أنظمة وقرارات مجلس الوزراء المتعلقة بالتنمية في المملكة العربية السعودية ، التي أصدرتها في شبه كتيب وزارة التخطيط، وعلى خطط التنمية الأربع ، التي صدرت حتى الآن في المجتمع السعودي . والأخرى أنه لا بد أن نضع في اعتبارنا أنه ليس هناك تعريف جامع شامل مانع ، لمفهوم معين من مفاهيم علم الاجتماع . وهذا ليس عيباً في العلم ، بقدر ما يُعزى إلى كثرة الدراسات والأبحاث والنظريات ، التي قام بإجرائها ووضعها ، عدد لا يستهان به من الدارسين والباحثين والمنظّرين في هذا العلم ، الذي ظهر أول ما ظهر ، على يدي العالم العربي المسلم «عبد الرحمن ابن خلدون» (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) ، في مؤلفه الذائع الصيت «العبر وديوان المبتدأ والخبر» الذي صدر في القرن الرابع عشر الميلادي ، حيث سمى علم الاجتماع آنذاك بـ«علم العمران البشري»[2] . الأمر الذي «جعل من ابن خلدون مؤسساً لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع . الذي يقول عنه إنه فرع فلسفي جديد لم يخطر على قلب أرسطو»[3] .

وبعيداً عن الجدل والنقاش ، الذي دار ردحاً من الزمن ، بين من يرى أن «**ابن خلدون**» هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع ، وبين من لا يرى ذلك ، إلا أن ما يهمنا في هذا المجال ، أن «ابن خلدون» ـ وهو العالم المسلم ـ قد بذر البذرة الأولى ، ووضع نواة علم الاجتماع ، وليس من حقنا أن نجرده من هذه القيمة ، لأننا نعتبر ذلك تجاهلاً علمياً فاضحاً ، بحق جهود هذا العلّامة المسلم ، وغمطاً لحقوقه ، وسلباً للتراث الفكري والإنساني والعلمي ، لعلماء ومفكري الأمة الإسلامية .

علم الاجتماع .. والتخطيط.. والتنمية

غير أن ذلك لا يمنعنا بحال من الأحوال ، من الإشارة إلى أن مصطلح «علم الاجتماع» (Sociology) بالمفهوم المعاصر ، يرجع إلى «**أوجست كونت**» الفيلسوف الفرنسي (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م) ، الذي يعد أول من أسس **الفلسفة الوضعية** ، التي ترفض الميتافيزيقا ، وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية[4] . وتتكون كلمة (Sociology) من مقطعين ، الأول (Logy) ويشير «إلى الدراسة ذات المستوى الرفيع من حيث الدقة والتعمق» ، والآخر (Socio) ويشير «إلى المجتمع . ومن ثم فإن الكلمة مجتمعة تعني ـ اشتقاقاً ـ دراسة المجتمع ، دراسة تتمتع بدرجة عالية من التعميم والتجريد»[5] .

أردنا أن تكون هذه المقدمة ، توطئة لحديثنا عن المصطلحات الثلاثة ، التي أشرنا إليها في البداية ، وسنحاول الآن تعريف تلك المصطلحات .

جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن **التخطيط** (Planing) «أسلوب في التنظيم يهدف إلى استخدام الموارد على أفضل وجه ممكن وفقاً لأهداف محددة . ويقصد به على النطاق القومي وضع خطة يسير عليها المجتمع خلال فترة معينة بقصد تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية»[6] .

أما مصطلح **التنمية** (Development) فيشير إلى «زيادة محسوسة في الإنتاج والخدمات شاملة ومتكاملة ، مرتبطة بحركة المجتمع تأثيراً وتأثراً ، مستخدمة الأساليب العلمية الحديثة في التكنولوجيا والتنظيم والإدارة»[7] .

ويوضح أحد تعاريف **الأمم المتحدة** لـ«**التنمية**» ، بأنها تشمل **النمو** (Growth) ، **والتغير** (Change) معاً . وضروري أن يحدث التغير هنا في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وأن يشتمل على جانبيه الكمي والكيفي[8] .

ويعني مصطلح المجتمع (Socity) «جماعة من الناس لهم ثقافة مشتركة ومتميزة تحتل حيزاً إقليمياً محدداً ، وتتمتع بشعور الوحدة ، وتنظر إلى ذاتها ككيان متميز . ويشبه المجتمع كل الجماعات الأخرى ، في اشتماله على بناء من أدوار مترابطة ، وسلوك محدد تفرضه المعايير الاجتماعية»[9] .

وبعد أن حددنا المفاهيم الإجرائية ، لمصطلحات كل من : التخطيط ، التنمية ، المجتمع ، ها نحن نتتبع الآن نشأة وتطور التخطيط التنموي في المجتمع السعودي .

أول خطة للتنمية

يرجع التخطيط التنموي في المملكة العربية السعودية ، إلى عام ١٣٥٧هـ (١٩٤٧م) ، حيث ارتفع الدخل القومي للمملكة من الزيت إلى حوالي ٢٠٠ مليون دولار . ولما كان **الملك عبد العزيز** ـ يرحمه الله ـ يرى «أن المشكلة لا تكمن في إطلاق التنمية التقنية (التكنولوجية) بقدر ما تكمن في تغيير التصورات الفكرية عند أعضاء المجتمع ، وأنه من الضروري إحداث تغيرات عميقة وإيجابية ، في بناء الشخصية ، ونسق القيم والمعايير ، وبناء التوقعات»[10] ، فقد فكَّر في عام ١٣٥٧هـ ، «وضع خطة تنمية لأربع سنوات ، خصصت لها ٢٧٠ مليون ريال من الاستثمارات العامة للدولة»[11] . غير أن هذه الخطة انتابها نوع من التعثر ، بسبب عدم توفر الخبرات الفنية الكافية . ويقول أحد الذين كتبوا عن أعمال الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ : «إن هذا التعثر بحد ذاته لا يعتبر في جوهره شيئاً يذكر ، بل يحسب في الحقيقة ، لصالح الذين فكروا بالتخطيط في ذلك الوقت المبكر ، لا سيما أن الفشل لم يكن كاملاً في ميدان التنفيذ ، لأن بعض المشاريع قد أكمل تنفيذه فعلاً ، وإن لم يكمل تنفيذ المشاريع الأخرى»[12] .

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول ، إن هذه أول خطة تنموية ، في تاريخ المملكة العربية السعودية ، وإن لم تعتمد على الموضوعية العلمية ، لكننا لا نستطيع أن نتجاهل أهدافها ، لتطوير أعضاء النسق الاجتماعي السعودي ، بنقلهم من الحالة التي كانوا عليها آنذاك ، إلى حالة أكثر تقدماً .

وعلى هذا الأساس ، فإننا نقول : إن الملك عبد العزيز أدرك في وقت مبكر ، من تأسيس الدولة السعودية الحديثة ، أهمية استخدام الموارد المالية المتاحة ، ـ رغم ضآلتها وقتها ـ لتطوير الإنسان السعودي ، وبنائه بناءً

معنوياً ، إذ إن التنمية تستهدف في المقام الأول الإنسان ، الذي كرمه الله تعالى ، بأن جعله خليفة له في الأرض ، يعمرها بالإيمان والعمل .

المعونة الفنية

في ٢١/١٠/١٣٧٨هـ ، صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٣٥ ، الذي يُبنىَ على اقتراحات قدمتها **وزارة الخارجية** حول **تشكيل هيئة حكومية ، تشرف على شؤون المعونة الفنية للأمم المتحدة** .

وتضمن قرار مجلس الوزراء المشار إليه ، تشكيل لجنة خاصة برئاسة معالي وزير الدولة (آنذاك) الأستاذ **أحمد ججوم** ، على أن تضم اللجنة ـ كما جاء في **المادة الثانية** من القرار المشار إليه ـ مندوباً عن وزارة الخارجية ، ومندوبين عن جميع الوزارات المستفيدة من المعونة الفنية . على أن يُعيَّن المندوبون الذين يمثلون الوزارات في هذه اللجنة ، من كبار موظفي الوزارات ، بحيث لا تقل مرتبتهم عن المرتبة الثانية ، وأعطى القرار لكل مندوب من هؤلاء ، الحق في أن يستصحب معه خبراء من وزارته للاستعانة بآرائهم[13] .

وأوضحت **المادة الثالثة** من القرار ، كيفية عقد جلسات هذه اللجنة ، بأن تكون في فترات منتظمة ، وعند الضرورة ، بناء على طلب الرئيس . وألقت **المادة الرابعة** ، على هذه اللجنة ، دراسة وتنسيق المعونة الفنية ، واعتبرتها (أي اللجنة) حلقة الاتصال بين الوزارات ، وبين الممثل المقيم لمكتب المعونة الفنية . وأشارت **المادة الخامسة** من قرار مجلس الوزراء ، إلى ضرورة أن تُرسل إلى هذه اللجنة صوراً عن الاتفاقيات بين الحكومة وهيئة المعونة الفنية ، وكذلك الاتفاقيات المعقودة ، بين مختلف الوزارات والمنظمات الدولية . أما **المادة السادسة** ، فقد رأت ضرورة أن تُحاط اللجنة بجميع المشروعات الحالية ، التي تساهم المنظمات الدولية في تنفيذها في مختلف الوزارات ، وكذلك تُحاط علماً ببرامج المساعدات الفنية ، التي تقدمها المنظمات الدولية ، ضمن ميزانيتها العامة . وكلفت **المادة السابعة** من القرار ، وزارة الخارجية ، ومختلف الوزارات ، أن تُرسل إلى اللجنة جميع المراسلات والتقارير ، بشأن المعونة الفنية . وجاء في **المادة الثامنة** ، أن تُرسل إلى اللجنة ، صور عن التقارير التي تقدمها مختلف الوزارات لمراجعها ، من المؤتمرات الدولية التي تعقدها ، سواء على نطاق دولي أو إقليمي . أما المادتان الأخيرتان من هذا القرار (**التاسعة والعاشرة**) ، فقد أوصتا باعتماد تشكيل مكتب لهذه اللجنة ، للقيام بأعمالها ، إلى جانب تخصيص مكان لاجتماعها .

ويتضح لنا من هذا ، أن قرار مجلس الوزراء ، الذي صدر بتوقيع جلالة **الملك فيصل** ـ يرحمه الله ـ باعتباره رئيساً لمجلس الوزراء ، قد حدد بوضوح أهداف واختصاصات وأعضاء تلك الهيئة الحكومية ، إلى جانب كيفية عقد جلساتها ، والتنسيق بين الوزارات ، وبين من يمثل مكتب المعونة الفنية . . ويعتبر هذا القرار ، أول إشارة نحو تنظيم تخطيط تنموي ، الهدف منه وضع المعونة الفنية ، في خدمة أعضاء المجتمع السعودي ، وتطويره في تلك المرحلة ، التي كانت متقدمة ، إذا ما قيست بالمراحل السابقة ، التي كان عليها حال المجتمع .

مجلس أعلى للتخطيط

بدأ المجتمع السعودي ، يأخذ بأسباب التقدم والتطور ، لتلبية وإشباع حاجات أعضائه ، في مختلف المجالات ، الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية .

ومسايرة لما كان عليه المجتمع من تقدم ، فقد تطلب ذلك **إنشاء مجلس أعلى للتخطيط** ، صدر به مرسوم وقّعه جلالة **الملك سعود** ـ يرحمه الله ـ ، وكان ذلك المرسوم الذي يحمل رقم ٥٠ وتاريخ ١٧ رجب ١٣٨٠هـ (٤/٢/١٩٦١م) ، قد جاء في ديباجته أنه «بناء على ما اقتضته مصلحة البلاد الاقتصادية ، وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، يُنشأ مجلس أعلى للتخطيط»[14] .

وقد تشكل المجلس من رئيس مجلس الوزراء ، أو من ينيبه من بين أعضاء هذا المجلس ، (المجلس الأعلى للتخطيط) الذي ضم في عضويته كلاًّ من : **وزير المالية والاقتصاد الوطني ، ووزير المواصلات ، ووزير البترول والثروة المعدنية ، ووزير التجارة ، ووزير الزراعة** .

وأوصت المادة الثالثة ، بتعيين أمين عام لمجلس التخطيط الأعلى ، يقترحه المجلس ، ويوافق عليه مجلس الوزراء . وحددت المادة الرابعة وظيفة الأمين العام لمجلس التخطيط الأعلى ، في تنفيذ قرارات هذا المجلس ، والأعمال التنفيذية للتخطيط . وأوكلت المادة الخامسة إلى مجلس التخطيط الأعلى مهمة وضع لائحة ، تبين طريقة سير العمل فيه ، وكيفية تشكيل اللجان المنبثقة ، على أن تعرض هذه اللائحة على مجلس الوزراء لإقرارها .

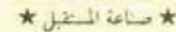
أما اختصاصات مجلس التخطيط الأعلى ـ كما جاء في المادة السادسة من المرسوم الملكي رقم ٥٠ وتاريخ ١٧ رجب عام ١٣٨٠هـ ـ فقد تحددت في تخطيط ورسم سياسة الإنماء الاقتصادي ، بين مختلف الوزارات والمصالح ، والإشراف عليها ، ومتابعة تنفيذها . وتعتبر توصيات المجلس نافذة المفعول ، بقرارات من مجلس الوزراء (كما جاء ذلك في المادة السابعة) . وأشارت المادة الثامنة ، إلى **إلغاء لجنة التنمية الاقتصادية والمعونة الفنية** ، وانتقال اختصاصها إلى مجلس التخطيط الأعلى .

هيئة مركزية للتخطيط

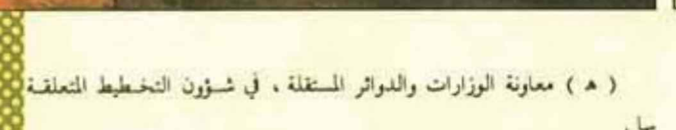
كان التطور في مجال التخطيط التنموي ، في المملكة العربية السعودية ، يسير جنباً إلى جنب ، وموازياً للتطور الذي ساد المجتمع السعودي ، من حيث النظم والتنظيمات ، في كافة مجالات الحياة .

ففي يوم ١٧/٩/١٣٨٤هـ ، أصدر جلالة الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ مرسوماً ملكياً برقم ١٩ ، بإنشاء هيئة مركزية للتخطيط ، يُطلق عليها اسم «**الهيئة المركزية للتخطيط**» يتولى إدارتها رئيس بمرتبة وزير ، يرتبط بجلالة الملك ، وتحل محل المجلس الأعلى للتخطيط ، المنشأ بالمرسوم الملكي رقم ٥٠ وتاريخ ١٧/٧/١٣٨٠هـ ، على أن تتولى الهيئة ، المهام المنصوص عليها في قرار مجلس الوزراء رقم ٤٣٠ وتاريخ ١١ ـ ١٢/٩/١٣٨٤هـ ، (سيأتي الحديث عنه فيما بعد) ، وأن لمجلس الوزراء بقرار منه ، أن يُعدِّل هذه المهام وذلك التشكيل ، وأن يصدر القرارات التنظيمية ، المتعلقة بتيسير عمل الهيئة المذكورة .





★ صناعة المستقبل ★



مهام الهيئة

أوضح قرار مجلس الوزراء رقم ٤٣٠ وتاريخ ١١ ــ ١٢/٩/١٣٨٤ هـ، أن الهيئة المركزية للتخطيط، تتألف من اثني عشر خبيراً اقتصادياً، يعاونهم العدد الكافي من الموظفين الفنيين والإداريين، وأنه يجوز لمجلس الوزراء، أن يقرر زيادة أو نقص أعضاء الهيئة حسب الحاجة.

أما مهامها فتتركز في النقاط التالية:

(أ) وضع تقرير اقتصادي دوري عن المملكة، يتضمن تحليلاً لاقتصادها، ويبين مدى التقدم الذي أُحرزَ في هذا المجال، وما يتوقع فيه من تطورات.

(ب) وضع خطط التنمية الاقتصادية، على أن تكون الخطة الأولى لخمس سنوات، ويعتمد مجلس الوزراء هذه الخطط، قبل وضعها موضع التنفيذ.

(جـ) تقدير إجمالي المبالغ اللازمة، لتنفيذ مخططات التنمية، التي يوافق عليها مجلس الوزراء. وتكون هذه التقديرات أساساً لوضع الميزانية العامة للدولة، والميزانيات الملحقة بها، والميزانيات الخاصة بالهيئات المستقلة. وتحقيقاً لذلك، تكون كل من الهيئة المركزية للتخطيط، **والمديرية العامة للميزانية بوزارة المالية والاقتصاد الوطني**، على اتصال دائم للتشاور، وتبادل المعلومات والحقائق، للتوصل إلى تنسيق كامل، بين متطلبات الخطة العامة للتنمية، وبين الموارد المالية المتاحة.

(د) وضع الدراسات الاقتصادية اللازمة، في المواضيع التي تتطلب ذلك، وتقديم توصياتها التي تنتهي إليها.

(هـ) معاونة الوزارات والدوائر المستقلة، في شؤون التخطيط المتعلقة بها.

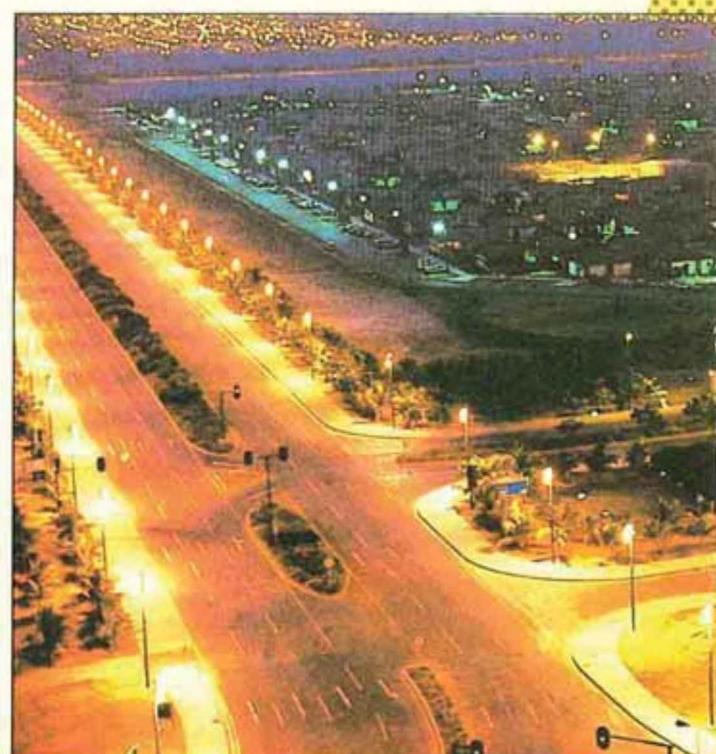
(و) تقديم المشورة الفنية، فيما يكلفها به جلالة الملك.

كما أناط قرار مجلس الوزراء هذا، بمديرية الميزانية بوزارة المالية والاقتصاد الوطني، مهمة دراسة ووضع ميزانية المشاريع فصل (٣٤) الباب الرابع، من الميزانية العامة للدولة. وتتبع في هذا الشأن جميع الوسائل، التي تتبعها بالنسبة لأبواب الميزانية الأخرى.

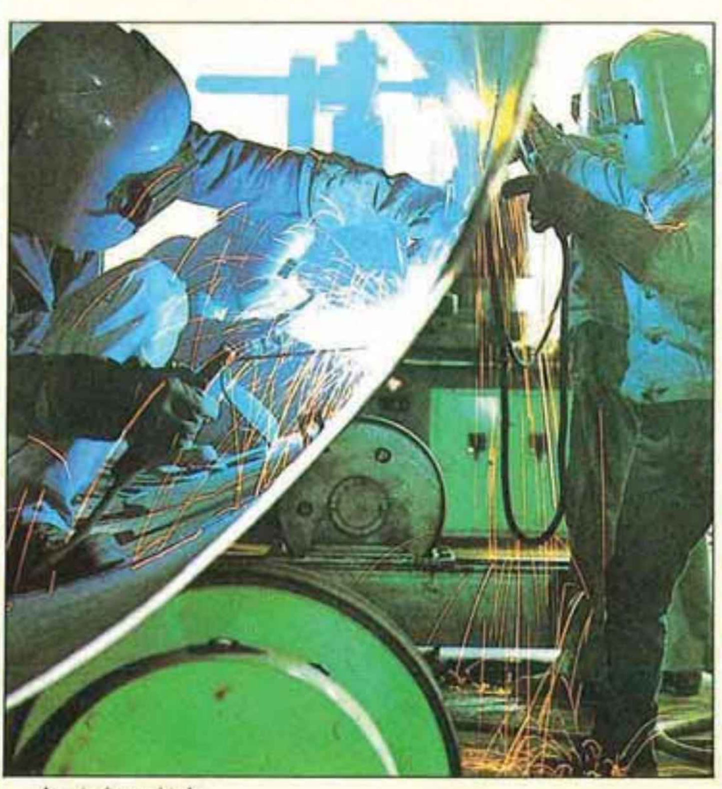
وقالت الفقرة (أ) من المادة الخامسة من هذا القرار، إنه ينقل إلى المديرية المذكورة، الموظفون الذين كانوا يؤدون الأعمال المتعلقة بهذا الموضوع بالمجلس الأعلى للتخطيط ــ الملغى تشكيله ــ بمراتبهم المدرجة في الميزانية العامة للدولة لعام ١٣٨٤/ ١٣٨٥ هـ.

وفي الوقت الذي طالب القرار، بإنشاء جهاز للتنظيم للإدارة والتنظيم، في وزارة المالية والاقتصاد الوطني ــ كما جاء ذلك في الفقرة (ب) من المادة الخامسة ــ فقد قرر **إنشاء مكتب وكالة إدارة التعاون الفني**، على أن يتبع رئاسة مجلس الوزراء، وتنقل إليه (أي إلى المكتب) نفس الاختصاصات، التي كان يقوم بها، قسم المعونة الفنية بالمجلس الأعلى للتخطيط، وينقل للمكتب، جميع موظفي القسم المذكور، بمراتبهم ورواتبهم.

وإلى جانب هذا وذاك، فقد قرر مجلس الوزراء، أن يُنشأ في كل وزارة ودائرة مستقلة، جهاز للتخطيط خاص بها، وأن على كل وزارة أو دائرة مستقلة، أن تتشاور مع الهيئة المركزية للتخطيط، في تشكيل وتنظيم ذلك الجهاز، ويكون الجهاز التابع لكل وزارة أو دائرة مستقلة، حلقة الاتصال بينها، وبين الهيئة المركزية للتخطيط، فيما يتعلق بشؤون التخطيط.



★ منظر لمدينة ينبع الصناعية مساء ★



★ الحديد والصلب ★

وطالبت الفقرة (هـ) من المادة الخامسة من هـذا القـرار، بـأن يُنقـل إلى أجهزة التخطيط، بكل وزارة أو دائرة مستقلة، الموظفون الفنيون، الموجـودون حالياً بالمجلس الأعلى للتخطيط بمراتبهم، وكذلك ينقل غير هـؤلاء مـن مـوظفي المجلس الأعلى للتخطيط، الخاضعين منهم لنظام الموظفين العـام والمتعـاقدين بمراتبهم، إلى الوزارات والدوائر المستقلة، حسب حاجة كل منها. على أن يتم النقل، بعد تحديد وإلحاق العدد الكافي، من موظفي المجلس الأعلى للتخطيط، بالهيئة المركزية للتخطيط، ويكون ذلك بقرار مـن وزيـر الماليـة والاقتصـاد الوطني، بعد التشاور مع الوزير أو رئيس الدائرة المختص.

وأوجبت المادة السادسة من قرار مجلس الوزراء هذا، أن يُستعان في تفسير هذا القرار، وتنظيم العلاقة بين الأجهزة المنشأة بمقتضاه، وغيرها من الجهـات الإدارية الأخرى، بالأعمال التحضيرية المصاحبة لهذا القرار.

أما المادة السابعة، فقد نصت أن على وزارة المالية والاقتصـاد الـوطني، دراسة إمكانية تثبيت السنة المالية للدولة، على أسـاس **النـظام الشـمسي، مقروناً بالتوقيت الهجري**.

ونستطيع أن نخرج من هذا القرار، بمجموعة من المؤشرات، التي أكدت اتجاه الدولة، لوضع أسـس علمية لعمليـات التنميـة الشـاملة للمجتمـع السعودي، الهدف منها تطوير وتحديث هذا المجتمع، الذي وضعت الدولة كل مواردها، من أجل تقدمه.

الخطة الأولى للتنمية

في ٢١/٥/١٣٨٩هـ، بعث معالي رئيس الهيئة المركزية للتخـطيط، إلى رئيس مجلس الوزراء، جلالة الملك فيصـل ـ يـرحمه الله ـ خـطاباً بـرقم و/٩٠، وأرفق معه الخطوط العريضة لخطة التنمية، التي قـامت بـإعدادها الهيئة المركزية للتخطيط.. وقد ترتب على ذلك أن أصدر رئيس مجلس الوزراء قراراً برقم ١٤١٩٢ وتاريخ ٨/٧/١٣٨٩هـ، يتضمن ما يلي:

★ **أولا**: تستهدف سياسة التنمية في المملكة العربية السعودية، الحفـاظ على القيم الدينية والأخلاقية، وزيادة الرفاهية، ورفع مسـتوى المعيشـة لشـعب المملكة العربية السعودية، مع الحفـاظ على الأمـن الـوطني، والاسـتقرار الاقتصادي والاجتماعي، وذلك بالعمل على تحقيق الأهداف العامة التالية:

١ ـ زيادة معدل نمو الإنتاج المحلي الإجمالي.

٢ ـ تطوير الموارد البشرية، لتتمكن مختلف عناصر المجتمع، من زيادة مساهمتها الإنتاجية، وتمكينها من المشاركة الكاملة، في عملية التنمية.

٣ ـ تنويع مصادر الدخل الوطني، وتخفيف الاعتماد على البترول، عن طريق زيادة مساهمة القطاعات الإنتاجية الأخرى، في الإنتاج المحلي الإجمالي.

★ **ثانياً**: الموافقة من حيث المبدأ، على اختيار البديل الأول، الذي اقترحته الهيئة المركزية للتخطيط، كأساس لوضع الخطة، في ضوء الاعتبارات التالية:

١ ـ تعتبر معدلات النمو المقترحة، للقـطاعات المختلفـة، مـؤشرات مبدئية، للعمل في إعداد خطط القطاعات.. وإذا ثبت لدى إعـداد الخـطة، وبعد استكمال الدراسات التفصيلية، لبرامج كل قـطاع، إمـكانية تخـطي معدلات النمو المقترحة، في البديل الموافـق عليـه، لـواحد أو أكثر مـن القطاعات، أو بالنسبة للإنتاج المحلي، أو عدم القدرة على تحقيـق المعـدلات، فإنه من الطبيعي أن يؤخذ بمعدلات أخرى، شريطة أن لا يترك ذلك أثراً سيئاً

على الاقتصاد الوطني بوجه عام . ومن المفهوم أن تحقيق هذه المعدلات ، يتوقف على تحقيق الدخل المقدر .

٢ ــ تعطى اهمية للقطاعات ذات الإنتاجية المباشرة ، لتحقيق التنويع في الإنتاج الوطني .

٣ ــ إذا حدث أثناء تنفيذ الخطة ، أن قصرت إمكانية بعض القطاعات ، عن إنفاق المبالغ المعتمدة لاستثماراتها ، وكان من الممكن لقطاعات اخرى ، أن تتخطى اعتماداتها في نفس الوقت ، فإنه يلزم أن تكون أسس تمويل الخطة مرنة ، بحيث يمكن تحويل فائض المبالغ المعتمدة ، من قطاع إلى قطاع آخر ، لكي يمكن التوصل إلى توازن في الإنفاق الكلي ، في مجموع المعتمد بالنسبة للقطاعات ، خلال كامل فترة الخطة ، بحيث لا يعرقل ذلك ، تحقيق معدل الإنتاج المحلي الإجمالي ، المحدد في الخطة .

٤ ــ توضع معايير تقريبية ، لتحديد الجدوى الاقتصادية والاجتماعية ، لمشاريع القطاعات المختلفة .

٥ ــ اللجان التي تؤلف لوضع سياسات تتعلق بتنمية قطاعات إنمائية معينة ، تشترك فيها الهيئة المركزية للتخطيط ، لتنسيق هذه السياسات مع الخطة العامة ، وأخذها في الاعتبار .

★ **ثالثاً :** يتم إعداد الخطة ، حسب الخطوات التالية :

١ ــ تقوم كل وزارة أو مصلحة حكومية أو مؤسسة عامة ، بإشعار الهيئة المركزية للتخطيط ، بأسماء الموظفين المناط بهم مسؤولية وضع الجزء المتعلق بهم ، من خطة التنمية .

٢ ــ تقوم كل وزارة أو مصلحة حكومية أو مؤسسة عامة ، بإعداد الخطة الخاصة بالقطاع الواقع في حدود اختصاصها ، وذلك بالتعاون مع الهيئة المركزية للتخطيط ، والاستعانة بهيئات فنية متخصصة إذا لزم الأمر ، وذلك تمهيداً لدراستها مع مجموع المخططات .

٣ ــ بعد إعداد الخطط المشار إليها في الفقرة السابقة ، تقوم الهيئة المركزية للتخطيط ، بمراجعة كل خطة على حدة ، مع الوزير أو الرئيس المختص ، ثم تقوم بعد عملية المراجعة هذه ، وبعد البحث مع المختصين في وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، بدمج كافة الخطط الموافق عليها ، وتنسيقها في خطة شاملة متكاملة .

٤ ــ تقوم بمراجعة الخطة النهائية ، لجنة من وزير المالية والاقتصاد الوطني ، ورئيس الهيئة المركزية للتخطيط ، ولهما أن يستعينا بمن يريانه من المختصين لمناقشتها ، ووضع التوصيات الخاصة بالمعدلات النهائية للنمو ، وذلك قبل رفعها لمجلس الوزراء .

★ **رابعاً :** الموافقة على ما أوردته الخطوط العريضة لخطة التنمية ، بشأن بعض الاقتراحات التنظيمية (مثل إنشاء جهاز تنظيمي للكهرباء ، وإنشاء جهاز يتولى مسؤولية وضع تنفيذ سياسة عامة للإسكان في جميع أنحاء المملكة) . . وعلى الجهات المعنية ، أن تقوم برفع هذه المقترحات ، للجهات العليا المختصة ، لاتخاذ القرارات المناسبة بشأنها .

★ **خامساً :** إن إعداد البرامج الخاصة بالقطاعات ، بما تشمله من تحليل لتكلفة وفائدة الاستثمارات المختلفة ، وتحديد لأولويتها ، ثم دمج وتنسيق هذه البرامج ، في خطة شاملة ، على مستوى الهيئة المركزية للتخطيط ، ثم مناقشتها على مستوى اللجنة المقترحة ، كل ذلك يستلزم من الجهد والتكاتف ، من جميع الجهات المعنية ، أقصى حد ممكن ، حتى يُستطاع إعداد خطة التنمية والبدء بتنفيذها في موعدها المحدد ، وذلك مع بداية السنة المالية ١٣٩٠ ــ ١٣٩١ هـ .

★ **سادساً :** تكلف الهيئة المركزية للتخطيط ، بإعداد تقرير نصف سنوي ، يرفع لمجلس الوزراء ، عن سير تنفيذ الخطة بالنسبة لكل قطاع ، موضحة في تلك التقارير ، المشاكل والعقبات التي تعترض تنفيذ الخطة ومقترحاتها ، للتغلب على تلك المشاكل والعقبات .

في ١٣ / ٦ / ١٣٩٠ هـ ، (١٦ / ٨ / ١٩٧٠ م) ، رفع إلى مجلس الوزراء ، رئيس الهيئة المركزية للتخطيط ، **الخطة الأولى للتنمية (١٣٩٠ ــ ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٠ ــ ١٩٧٥ م)** ، التي أعدتها الهيئة ، بموجب الفقرتين (ب) و (جـ) من قرار مجلس الوزراء رقم ٤٣٠ وتاريخ ١١ ــ ١٢ / ٩ / ١٣٨٤ هـ ، المتوج بالمرسوم الملكي رقم ١٩ وتاريخ ١٧ / ٩ / ١٣٨٤ هـ ، وقرار مجلس الوزراء رقم ٦٩٣ وتاريخ ٤ ــ ٥ / ٧ / ١٣٨٩ هـ ، الذي حدد الخطوط العريضة لخطة التنمية . وأشار رئيس الهيئة المركزية للتخطيط في خطابه هذا أنه « قد وضعت محتويات خطط القطاعات المكونة لاقتصادنا الوطني ، بالتعاون مع كافة الوزارات والمؤسسات والمصالح الحكومية ذات الصلة بهذه القطاعات » .

وفي ٦ ــ ٧ / ٧ / ١٣٩٠ هـ ، اتخذ مجلس الوزراء ، برئاسة جلالة الملك فيصل ــ يرحمه الله ــ قراراً برقم ٨١٢ بمجمل الموافقة على « خطة التنمية للمملكة العربية السعودية » ، وتلقى صاحب السمو الملكي الأمير **فهد بن عبد العزيز** (جلالة الملك حالياً) باعتباره النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء آنذاك ، خطاباً برقم ١٣١٥١ وتاريخ ٩ / ٧ / ١٣٩٠ هـ ، يتضمن ما يلي :

★ **أولا :** الموافقة على السياسات الواردة في خطاب معالي رئيس الهيئة المركزية للتخطيط رقم و / ١١٤ وتاريخ ١٣ / ٦ / ١٣٩٠ هـ ، وعلى خطة التنمية للمملكة العربية السعودية المرفقة به وتداولها .

★ **ثانياً :** تؤلف لجنة من صاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ، وصاحب السمو وزير المالية والاقتصاد الوطني ، ومعالي رئيس الهيئة المركزية للتخطيط ، لتقوم بوضع القواعد العامة لتنفيذ الخطة ، مع ما يلزم ذلك من إجراءات لإزالة العقبات التي قد تنشأ في القطاعات المختلفة ، خلال تنفيذ الخطة ، وتحقيق التناسق المطلوب . . وعلى اللجنة مراجعة تفاصيل كل قطاع ، مع الوزير أو رئيس الإدارة المختصة ، والبت فيما يجب اتخاذه بشأنها ، بما لا يتعارض مع الإجراءات المتبعة ، في إعداد وإقرار الميزانية العامة للدولة ، وللجنة أن تؤلف لجنة أو لجاناً فرعية ، لمساعدتها في مهامها .

★ **ثالثاً :** على الوزارات والمصالح الحكومية والمؤسسات العامة ، تزويد الهيئة المركزية للتخطيط ، بدراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات ، قبل تقديمها لوزارة المالية والاقتصاد الوطني ، وذلك تمكيناً لها من أداء واجباتها نحو تنفيذ الخطة .

★ **رابعاً:** بما أنه ورد في الخطة، بعض المشروعات التي لم تستكمل دراستها، فعلى الوزارات والمصالح الحكومية إنهاء الدراسات الخاصة بها، وتقديمها للهيئة المركزية للتخطيط، قبل تقديمها لوزارة المالية والاقتصاد الوطني.

★ **خامساً:** على الوزارات والمصالح الحكومية، البدء في تنفيذ الإصلاحات الإدارية، الواردة في مذكرة رئيس الهيئة المركزية للتخطيط، وتهيئة الجو المناسب، لتنفيذ المشروعات الأخرى، وذلك في السنة الأولى ١٣٩٠ ــ ١٣٩١هـ.

★ **سادساً:** تضع كافة الوزارات والمصالح الحكومية والمؤسسات العامة ميزانياتها السنوية، على أساس خطة التنمية الخاصة بكل منها، وترسل للهيئة المركزية للتخطيط صور منها.

الأهداف العامة للخطة الأولى

لما كانت لكل خطة تنمية أهداف عامة تنطلق منها، فإن أهداف خطة التنمية الأولى للمملكة العربية السعودية، التي غطت الفترة من عام ١٣٩٠ ــ ١٣٩٥هـ (١٩٧٠ ــ ١٩٧٥م)، يمكن تلخيصها في النقاط التالية[١٥]:

● الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية، وزيادة الرفاهية، ورفع مستوى المعيشة لشعب المملكة العربية السعودية، مع الحفاظ على الأمن والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وذلك بالعمل على تحقيق الأهداف العامة التالية:

١ ــ زيادة معدل نمو الإنتاج المحلي الإجمالي.

٢ ــ تطوير الموارد البشرية لتتمكن عناصر المجتمع المختلفة، من زيادة مساهمتها الإنتاجية، وتمكينها من المشاركة الكاملة في عملية التنمية.

٣ ــ تنويع مصادر الدخل الوطني، وتخفيف الاعتماد على البترول، عن طريق زيادة مساهمة القطاعات الإنتاجية الأخرى، في الإنتاج المحلي الإجمالي.

وكانت هذه الخطة، أول خطة للتنمية، في التاريخ الحديث للمجتمع السعودي، تم وضعها وفق الأساليب العلمية المُنْظَّمَة، وصيغَتْ أهدافها بما يتفق وتطلعات القيادة السياسية في المملكة العربية السعودية، لتحقيق طموحات الشعب السعودي، واستغلال الموارد المتاحة في المجتمع، بما يكفل صيانة قيمه الدينية والأخلاقية، والارتفاع بمستوى معيشته، والمحافظة على أمنه واستقراره الاقتصادي والاجتماعي.. إلخ، الأمر الذي نتفق فيه مع ما قاله أحد خبراء التخطيط، من أن «**هذا الاتجاه يدل بوضوح على تقدم جوهري في مفهوم التخطيط كأسلوب علمي لرفاهية الشعوب وتحقيق العدالة الاجتماعية والتقدم للإنسان في كل مجتمع**»[١٦].

خطة التنمية الثانية

بعد النجاح الذي حققته خطة التنمية الأولى، قرر مجلس الوزراء، بقراره رقم ١٤٦٤ وتاريخ ١٣٩٣/١١/٣٠هـ، الموافقة على إعداد خطة التنمية الثانية، بموجب البديل الرابع، الوارد في خطاب معالي وزير الدولة ورئيس الهيئة المركزية للتخطيط رقم ن/١٧٧ في ١٣٩٣/١٠/١٨هـ، (١٩٧٣/١١/١٣م)، الذي يهدف إلى تنفيذ برامج تحسين دخل الأسرة، والخدمات الاجتماعية، مع التوسع في الخدمات البلدية، وتحسين نوعيتها، بالإضافة إلى تنويع القاعدة الاقتصادية، بالتركيز على القطاعين الصناعي والزراعي.

وقد تلا ذلك خطاب رفعه إلى رئيس مجلس الوزراء، وزير الدولة ورئيس الهيئة المركزية للتخطيط برقم و/١٥٦ وتاريخ ١٣٩٥/٤/١٨هـ، (١٩٧٥/٤/٢٩م)، وأرفق به خطة التنمية الثانية للمملكة العربية السعودية، قرر على إثره مجلس الوزراء بقراره رقم ٥٦٥ في ١٣٩٥/٥/١٠هـ، الموافقة على خطة التنمية الثانية، بما اشتملت عليه من أهداف وبرامج ومشاريع. وألزم مجلس الوزراء ــ في المادة الثانية من هذا القرار ــ الوزارات والهيئات المستقلة، بأن تضع ميزانياتها السنوية، بما ورد في الخطة، وبما يحقق الأهداف المقررة منها.

وأشارت **المادة الثالثة** من القرار إلى أنه «يجرى رصد اعتمادات البرامج والمشاريع الواردة في الخطة، في كل سنة من سنواتها، من قبل إدارة الميزانية بوزارة المالية والاقتصاد الوطني، بالتعاون والتنسيق والتأمين مع لجنة مشتركة، تؤلف من كل من: وكيل المالية لشؤون الميزانية، ونائب رئيس الهيئة المركزية للتخطيط، ووكيل الوزارة (أو المؤسسة) المختصة، وبموجب محاضر توقع من الوكلاء الثلاثة. وفي حالة الاختلاف في الرأي، يبت في الخلاف، وزير المالية والاقتصاد الوطني، ووزير الدولة ورئيس الهيئة المركزية للتخطيط، والوزير المختص (أو رئيس الدائرة المستقلة).

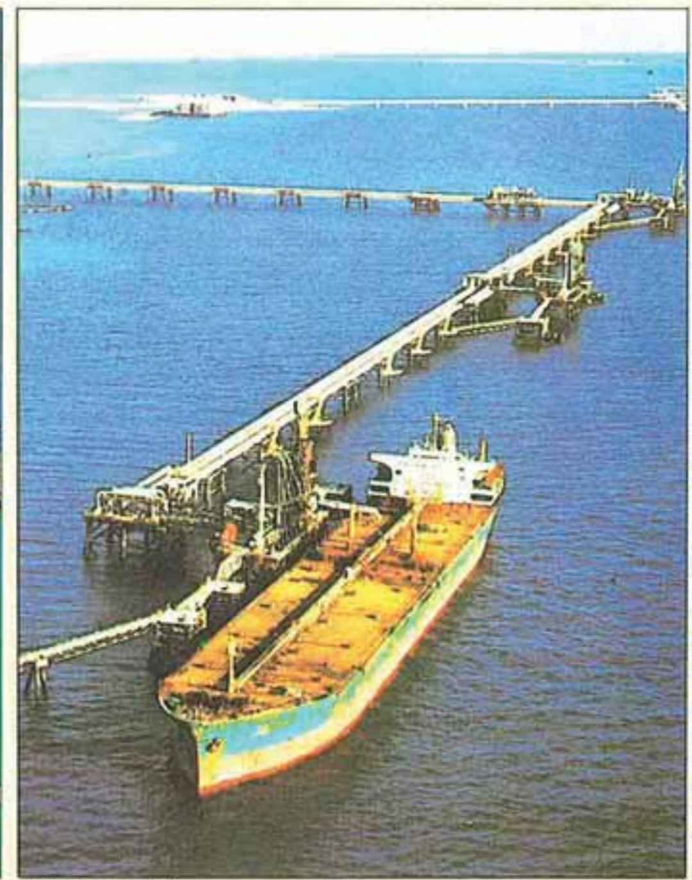
وطالبت **المادة الرابعة**، من قرار مجلس الوزراء المشار إليه آنفاً بأن «يقوم كل من وزير الدولة ورئيس الهيئة المركزية للتخطيط، ووزير الدولة للشؤون المالية والاقتصاد الوطني، ووزير الدولة ورئيس هيئة الرقابة والتحقيق، ورئيس شعبة المستشارين بمجلس الوزراء، بوضع نظام لمتابعة تنفيذ الخطة، يعرض على مجلس الوزراء لإقراره».

ودعت **المادة الخامسة**، جميع الوزارات والمؤسسات الحكومية المستقلة، وشبه المستقلة، إلى إجراء الدراسات الخاصة بالبرامج، والمشاريع الداخلة في حدود اختصاصها، من خطة التنمية. ومن ثم فإن على الهيئة المركزية للتخطيط، أن تقوم هي نفسها بهذه الدراسات، إذا لم تتمكن أية جهة، من إجراء الدراسات اللازمة، حسب الجدول الزمني، المحدد لها في الخطة.

أما **المادة السادسة والأخيرة**، فقد أشارت إلى أنه «**يبدأ تنفيذ الخطة من أول رجب ١٣٩٥هـ**».

وبتاريخ ١٣٩٥/٥/٢٣هـ، وجه رئيس مجلس الوزراء، جلالة **الملك خالد بن عبد العزيز** ــ يرحمه الله ــ خطاباً برقم ١٥١٠٠ إلى صاحب السمو وزير المالية والاقتصاد الوطني (**الأمير مساعد بن عبد الرحمن** آنذاك) جاء فيه ما نصه:

«نظراً لصدور خطة التنمية للسنوات الخمس المقبلة، وما يستدعيه تنفيذها من جهود مكثفة ومتواصلة من الجميع، كل فيما يخصه، لضمان تنفيذها في مواعيدها المحددة إن شاء الله، وحيث إن موعد صدور الميزانية





★ صورتان لميناء الملك فهد الصناعي بالجبيل ★

الجديدة لعام ١٣٩٥ ـ ١٣٩٦ هـ ، أصبح الآن قريباً ، وهي الأخرى تستلزم جهوداً كبيرة ، فإننا نرغب إليكم مواصلة بذل الجهود الحثيثة ، التي يتطلبها تنفيذ الخطة ، بما يتلاءم وحجمها ، وإذا ما اعترضت المسؤول أية صعوبة في سبيل التنفيذ ، فعليه مراجعة النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء فوراً وبدون إبطاء ، للرفع لتتخذ الإجراءات الكفيلة بتذليلها . سائلين الله التوفيق ، ومستمدين منه العون والسداد ، والله يحفظكم » .

الأهداف العامة للخطة الثانية

وافق مجلس الوزراء ، برئاسة جلالة الملك خالد ـ يرحمه الله ـ بقراره رقم ٥٦٥ وتاريخ ١٠/٥/١٣٩٥ هـ ، على خطة التنمية الثانية ، ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠ هـ ، (١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م) . وفيما يلي المبادئ والقيم ، التي تسترشد بها المملكة ، في مسيرتها المتزنة ، نحو التنمية ، كما جاء ذلك في خطة التنمية الثانية[١٧] :

*** الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية الإسلامية .**

*** تعزيز الدفاع عن المملكة ، واستمرار ترسيخ الأمن الداخلي فيها .**

*** تحقيق (والحفاظ على) معدل مرتفع للنمو الاقتصادي ، عن طريق تنمية الموارد الاقتصادية ، والحصول على أقصى قدر من إيرادات الزيت ، خلال أطول فترة ممكنة ، مع الحفاظ على الموارد القابلة للنضوب .**

*** تخفيف اعتماد اقتصاد المملكة ، على صادراتها من الزيت الخام ، عن طريق توسيع القاعدة الاقتصادية للمملكة .**

*** تنمية القوى البشرية ، عن طريق التوسع في التعليم والتدريب ، ورفع المستوى الصحي .**

*** زيادة الرفاهية لجميع فئات المجتمع ، ودعم الاستقرار الاجتماعي ، في مواجهة التغيرات الاجتماعية السريعة .**

*** بناء التجهيزات الأساسية اللازمة ، لتحقيق الأهداف العامة المحددة أعلاه .**

ولما كانت خطة التنمية الثانية ، قد تضمنت « ما يحقق المزيد من التقدم في تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية ، في إطار الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية المستوحاة من الشريعة الإسلامية السمحة » ، فإن تلك الأهداف ، مفصلة ومدرجة في السياسات الداخلية الموضحة في خطة التنمية الثانية (ص ٢٨ وما بعدها) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ، أنه صدر أمر ملكي برقم أ/٢٣٦ وتاريخ ٨/١٠/١٣٩٥ هـ ، (١٣/١٠/١٩٧٥ م) ، **بإنشاء وزارة التخطيط،** حلت محل الهيئة المركزية للتخطيط .



★ ميناء الدمام ★

القواعد الأساسية للمتابعة

من أجل متابعة تنفيذ خطة التنمية ، فقد شكلت لجنة وزارية ، بناء على الفقرة الرابعة من قرار مجلس الوزراء ، رقم ٥٦٥ في ١٠/٥/١٣٩٥ هـ ، لوضع نظام لمتابعة تنفيذ خطة التنمية . وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات ، في مقر وزارة التخطيط ، لمناقشة وضع مشروع القواعد الأساسية ، لمتابعة تنفيذ خطة التنمية . وانتهت في اجتماعها الأخير الذي عقد في ٢٩/٤/١٣٩٦ هـ ، إلى وضع القواعد ، ثم صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٣٦٨ وتاريخ ٢٢/٨/١٣٩٦ هـ ، بالموافقة على تلك القواعد ، وهي على النحو التالي :

●● المادة الأولى : تستهدف عملية المتابعة ، التأكد من تنفيذ خطة التنمية ، بطريقة منسقة وفعالة ، وتستند في ذلك إلى :

١ ـ جمع المعلومات الوافية ، والبيانات الدقيقة ، التي تتعلق بتنفيذ الخطة على أساس دوري .

٢ ـ تسجيل ما ينفذ من المشاريع ، وما يتعثر تنفيذه منها .

٣ ـ التركيز على مسببات التعثر ، والمضاعفات التي قد تنتج من جراء ذلك ، وإجراء الدراسات والفحوص المكتبية والميدانية ، لتحديدها ، واقتراح الإجراءات المناسبة لإزالتها .

٤ ـ تحديد مسؤولية التقصير والتخلف .

●● المادة الثانية : تتولى إدارة المتابعة بوزارة التخطيط المهام التالية :

(أ) وضع الوثائق الفنية التفصيلية ، التي تحدد أهداف المتابعة ، المنصوص عليها في المادة السابقة ، والتي تتمشى بموجبها الجهات الحكومية .

(ب) إعداد النماذج المناسبة ، لجميع البيانات والمعلومات ، من الجهات التي تنفذ مشروعات الخطة .

(جـ) تصنيف وتحليل البيانات ، التي ترد من جهات التنفيذ ، وبيان مدى مسايرتها أو انحرافها عن الخطة .

(د) موافاة جهات التنفيذ ، بالملاحظات التي تسفر عنها عملية فحص ودراسة المعلومات الواردة منها .

(هـ) تدريب وتوجيه الموظفين المختصين بأعمال المتابعة ، في الوزارات والمصالح الحكومية .

●● المادة الثالثة : تنسق الوزارات والمصالح الحكومية ، بين مهام ما يكون موجوداً بها ، من وحدات للتخطيط وللميزانية وللمتابعة ، وتراعي اعتباراً من تاريخ صدور هذه القواعد ، إدماج هذه الوحدات معاً ، في إدارة موحدة ، تسمى إدارة التخطيط والميزانية والمتابعة ، بحيث تتولى المهام التالية :

(أ) إعداد الخطط الخاصة بالوزارة أو المصلحة ، بما في ذلك الخطة

الخمسية، وفقاً للتعليمات المنظمة لهذا الأمر، وكذلك خطط التنفيذ السنوية.

(ب) إعداد مشروع الميزانية السنوية، بما يتمشى مع الخطة الخمسية، وما يحقق أهدافها طبقاً لقواعد إعداد الميزانية ونماذجها، التي تصدرها وزارة المالية والاقتصاد الوطني.

(جـ) إعداد جداول التنفيذ، على ضوء ما هو معتمد في الميزانية.

(د) التنسيق مع وزارة التخطيط، في دراسة ما تدعو إليه الحاجة، من إعادة جدولة المشاريع.

●● **المادة الرابعة: لوزارة التخطيط أن تتولى بصورة مباشرة، متابعة تنفيذ المشروعات الحيوية الكبرى.** ويُصْدِرُ وزير التخطيط في مستهل كل سنة مالية، قراراً يحدد نتيجة هذه المشروعات.

●● **المادة الخامسة: ترفع وزارة التخطيط، في محرم من كل عام، تقريراً إلى مجلس الوزراء، يتضمن استعراضاً للإنجازات المحققة، والمتوقع تحقيقها، في ضوء أهداف وسياسات خطة التنمية.** ويتضمن بيان ما يكون قد صادف التنفيذ من عقبات، والاقتراحات الخاصة بمعالجة ذلك، وتزويد الجهات المعنية، بصور من التقارير، التي تعدها وزارة التخطيط. وللوزارة أن ترفع أثناء السنة، تقارير للمجلس، بالملاحظات التي تراها، حول تنفيذ المشروعات الحيوية الكبرى وغيرها، أو ما يكون لديها من اقتراحات.

●● **المادة السادسة: مع مراعاة تزويد هيئة التحقيق والتأديب، بنسخ من تقارير متابعة تنفيذ الخطة، تقوم الهيئة وفقاً للنظام، وبالتعاون مع وزارة التخطيط، بتقصي أسباب التقصير، في تنفيذ المشروعات.** وللهيئة أن ترفع تقريراً بنتائج ذلك لرئيس مجلس الوزراء.

●● **المادة السابعة: تشكل لجنة من وزير التخطيط، ووزير المالية والاقتصاد الوطني، وثلاثة وزراء آخرين، يتولى تسميتهم نائب رئيس مجلس الوزراء، يحيل إليها رئيس مجلس الوزراء، موضوعات متابعة تنفيذ الخطة، التي ترد بتقارير وزارة التخطيط، أو تقارير هيئة التحقيق والتأديب،** والتي يتطلب الأمر فيها، الاستقصاء من الوزير المختص، عن أسباب التأخير أو التعثر في تنفيذ المشروعات. وترفع اللجنة لرئيس مجلس الوزراء، نتيجة استقصائها ورأيها في الموضوع، واقتراحاتها بالعلاج المناسب.

وفي تقديرنا أن هذه القواعد، لا تحتاج إلى تحليل أو تفسير، وإن كنا نرى أنها بمثابة السياج، الذي يحيط مشاريع خطة التنمية، ليحميها من التعثر أو المصاعب، التي قد تتعرض لها أثناء التنفيذ، الأمر الذي يؤكد حرص حكومة المملكة العربية السعودية، على أن تأخذ المشاريع التنموية مسارها الصحيح لتحقيق الأهداف المرجوة منها.

التقرير الابتدائي للخطة

أصدرت **إدارة المتابعة والمعلومات، بوزارة التخطيط،** في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٠هـ، **التقرير الابتدائي، عن متابعة خطة التنمية الثانية (١٣٩٥ ـ ١٤٠٠هـ)**، الذي يتكوّن من (٤٠٥) صفحات من القطع الكبير، وقسمته إلى ستة فصول[١٨].

فقد تضمن **الفصل الأول**، ملخص أهداف الاقتصاد الوطني، والإنتاج المحلي الإجمالي، والإدارة المالية لتنفيذ الخطة، والموارد البشرية، وأهم العقبات التنفيذية، والتضخم، وازدحام الموانئ، والإسكان، إلى جانب إبراز متوسط معدل النمو السنوي، في القطاعات غير البترولية، مثل: الزراعة، والتعدين، والمحاجر «بدون الزيت»، والصناعة «بدون تكرير الزيت»، والكهرباء والغاز، والبناء والتشييد، والتجارة، والنقل والمواصلات، والخدمات المصرفية، والخدمات الفردية والاجتماعية، والقطاع الحكومي، والقطاع البترولي، والقطاع الخاص «غير البترولي»، وما تحقق «تقريباً» في كل تلك القطاعات، ونسبه المئوية.

أما **الفصل الثاني** من التقرير، فقد خصص للتأهيل البشري، وتضمن ملخص أهداف التعليم، والتقدم الذي أحرزه تعليم البنين (**وزارة المعارف، معهد العاصمة النموذجي، مدارس الثغر النموذجية**)، وتعليم البنات (**الرئاسة العامة لتعليم البنات**)، والتعليم العالي (**جامعة الملك سعود، جامعة الملك عبد العزيز، جامعة البترول والمعادن، الجامعة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كليات البنات**)، وكذا التدريب (**معهد الإدارة العامة، التدريب المهني، شؤون العمل والعمال**).

وأشار **الفصل الثالث** إلى ما تحقق إنجازه في مجال التجهيزات الأساسية، وتشمل: **الهيئة الملكية للجبيل وينبع والنقل**: (الطرق، المؤسسة العامة للموانئ، الطيران المدني، المؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية، المؤسسة العامة للسكك الحديدية)، **والمواصلات**: (المواصلات السلكية واللاسلكية، المديرية العامة للبريد)، **والبلديات**: (وزارة الشؤون البلدية والقروية)، **والبناء والتشييد**: (الإسكان، الأشغال العامة)، **والمؤسسات العامة للكهرباء، والهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس**.

أما **الفصل الرابع** من التقرير، فقد أوضح ما تحقق في مجال الخدمات الاجتماعية، مثل: **الخدمات الصحية** (وزارة الصحة، جمعية الهلال الأحمر السعودي)، **والخدمات الاجتماعية** (الشؤون الاجتماعية والرعاية الاجتماعية، الضمان الاجتماعي، المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، الرئاسة العامة لرعاية الشباب)، **والخدمات القضائية** (وزارة العدل)، **والخدمات الإعلامية** (وزارة الإعلام).

وتضمن **الفصل الخامس**، المنجزات التي تمت في مجالي التجارة والصناعة، بينما تحدث **الفصل السادس** والأخير، عن الموارد الطبيعية مثل: **الزراعة** (البنك الزراعي العربي السعودي)، **والمياه** (المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة)، **والبترول** (المساحة الجوية وإعداد الخرائط)، **ووزارة البترول والثروة المعدنية، والأرصاد الجوية**.

ولا شك أن هذا التقرير، يوضح الحقائق مدعمة بالأرقام للمنجزات التي تحققت، خلال خطة التنمية الثانية، وهي المنجزات التي تستهدف في المقام

الأول ، تنمية إمكانات وقدرات المواطن السعودي ، في كافة المجالات . ولعلي أترك لغيري من المتخصصين في شؤون التخطيط والتنمية ، مهمة إلقاء الضوء بشكل فعال ومؤثر ، وبأسلوب علمي يبين أثر تلك المشاريع ، على البناء والنسق الاجتماعيين ، للمجتمع السعودي .

الإعداد للخطة الثالثة

رفع معالي وزير التخطيط (الأستاذ **هشام محيي الدين ناظر**) إلى مجلس الوزراء الموقر ، خطاباً برقم و/١٦٦ وتاريخ ١٠/٤/١٣٩٨هـ ، يشتمل على الخطوط العريضة للاستراتيجية المقترحة ، لخطة التنمية الثالثة (١٤٠٠ ــ ١٤٠٥هـ) . وقد رأى مجلس الوزراء الذي انعقد مساء يوم ١٧/٥/١٣٩٨هـ ، إتاحة الفرصة ، لمن يرغب من الوزراء ، في البحث والاستيضاح ، فيما اشتمل عليه خطاب معالي وزير التخطيط ، من خطوط عريضة ، تمهيداً لاستكمال دراسته ، من قبل مجلس الوزراء ، وأن تكوّن لجنة برئاسة معاليه ، وعضوية كل من : (مع الاحتفاظ بالألقاب) **فيصل البشير ، فاروق أخضر ، منصور التركي ، صالح العمير ، حسن أبو ركبه ، عبد الله البنيان ، أحمد المالك ، منصور أبا حسين ، عبد الوهاب عطار ، صالح المالك ، إبراهيم العواجي ، عبد العزيز التركي ، العميد يوسف السلوم ، المهندس عبد العزيز الزامل** ، لدراسة التفاصيل ، ورفع ما تتوصل إليه اللجنة ، إلى مجلس الوزراء ، للنظر فيه .

وبعد أن عقدت اللجنة عدة اجتماعات ، رفع وزير التخطيط خطاباً إلى جلالة الملك خالد ــ يرحمه الله ــ برقم و/٢٧٥ وتاريخ ١٥/٦/١٤٠٠هـ ، وأرفق معه خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية ، للفترة الزمنية الممتدة من شهر رجب عام ١٤٠٠هـ ، إلى شهر رجب عام ١٤٠٥هـ ، وهي الخطة التي أعدت بموجب استراتيجية محددة ، كان قد صدر بها قرار مجلس الوزراء رقم ٢٢٢ وتاريخ ١٤/٨/١٣٩٩هـ . وفي ضوء ذلك ، أصدر مجلس الوزراء ، في جلسته المنعقدة يوم ١٩/٦/١٤٠٠هـ ، القرار رقم ٩٦ ، بالموافقة «على خطة التنمية الثالثة ببرامجها ومشاريعها المرفقة ، ويراعى في تنفيذها قرارات مجلس الوزراء الصادرة بشأن الخطتين الأولى والثانية» ــ كما جاء ذلك في مقدمة الخطة ــ .

القادة .. والخطة

قال جلالة الملك خالد ــ يرحمه الله ــ في خطابه الذي وجهه إلى أفراد المجتمع السعودي ، مساء يوم ١٩/٦/١٤٠٠هـ ، بعد أن أقر مجلس الوزراء ، **خطة التنمية الثالثة** : «إن تحقيق هذه الخطة الخمسية الثالثة الجديدة ، مسؤولية كبيرة مشتركة ، لا تتم إلا إذا شعر كل مسؤول في الدولة ، بضخامة مسؤوليته ، وأخلص في القيام بواجبه ، وبذل تعاونه مع الآخرين ليستقيم البناء شامخاً بإذن الله»[١٩] . ونضرع إلى «الله تعالى أن يحقق أهدافنا وآمالنا ، وينعم على بلادنا باستمرار الأمن والاستقرار والتقدم ، لتكون أمتنا في مقدمة الأمم الناهضة» .

أما صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز (جلالة الملك حالياً) ، فقد قال : «إن هذه الخطة ستكون لبنة جديدة ، لرفع شأن شعب هذا البلد ورفاهية مواطنيه» .

ونستطيع أن نلمس من هاتين الكلمتين ، رغبة القيادة السياسية في المملكة العربية السعودية ، في تحقيق المزيد من الرفاهية لأعضاء المجتمع السعودي ، والتأكيد على أن ذلك لن يتم إلا إذا استشعر كل مسؤول ، واجبه فأداه بإخلاص ، وتعاون مع كل الجهات المختصة ، بتنفيذ مشاريع وبرامج الخطة .

مقدمة الخطة الثالثة

تُعَدُّ خطة التنمية الثالثة ــ كما جاء في مقدمتها ــ «بمثابة خلاصة للنتائج الرئيسية ، التي أسفرت عنها عملية واسعة النطاق ، للإعداد لتنمية المملكة ، خلال السنوات الخمس ، التي تمتد خلال الفترة من عام ١٤٠٠هـ ، إلى عام ١٤٠٥هـ . ولذلك تعتبر الخطة ، حصيلة مساهمة العديد من الهيئات والأفراد ، العاملين في القطاعين العام والخاص ، ممن يجمع بينهم اهتمام مشترك لتنمية المملكة . كما أن خطة التنمية الوطنية ، أكثر من مجرد مجموع مساهمات الأفراد ، بل إنها بيان متناسق ، من الأفكار وبرامج العمل ، تستند إلى الخطوط العريضة ، للأولويات الوطنية المتفق عليها ، وإلى تقدير موضوعي ، لإمكانات نمو الاقتصاد الوطني .

وتتكوّن الخطة في مجموعها ، من ثلاثة أجزاء رئيسية :

★ **أولا :** الخطوط العريضة للتنمية ، خلال فترة الخطة الخمسية الثالثة ، والسياسات الإنمائية التي سوف تسير على هديها ، الوزارات والدوائر الحكومية ، ومؤسسات القطاع العام .

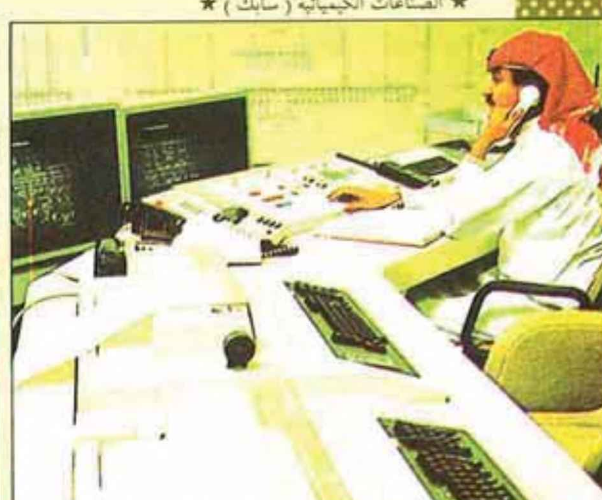
★ **ثانياً :** الخطط التشغيلية للوزارات والمصالح والمؤسسات الحكومية ، وتشمل تفاصيل البرامج ، وتوزيع النفقات ، لتنفيذ السياسة الإنمائية .

★ **ثالثاً :** التحليلات والتقديرات المتعلقة بالاقتصاد ككل ، وموارده البشرية ، ومستوى النشاط الاقتصادي ، وحصص القطاعات المختلفة في الناتج والإنفاق .

وهذا المجلد (خطة التنمية الثالثة) ، هو ملخص للأجزاء الثلاثة المذكورة ، ويستعرض الملامح الرئيسية للمنهج الذي تتبعه المملكة ، في تحقيق التنمية والإنجازات المتحققة حتى وقتنا الحاضر (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ويشرح استراتيجية خطة التنمية الثالثة ، ضمن الأهداف البعيدة المدى للتنمية . ويتضمن عرضاً لأهم البرامج والمشاريع ، التي ستنفذ من قبل مختلف الوزارات والمصالح الحكومية ، ومؤسسات القطاع العام ، خلال خطة التنمية الثالثة .

وفي تقديرنا أن هذه المقدمة ، لا تحتاج إلى إيضاح أو تفسير ، فهي توضح وتفسر نفسها بنفسها ، إذ أجملت خصائص وسمات التنمية في المجتمع السعودي ، بما في ذلك تنمية الاقتصاد الوطني ، والموارد البشرية ، ووضع برامج لتطوير ورفع كفاءة القدرة الأدائية ، لكل الوزارات والمصالح والدوائر الحكومية ، المسؤولة عن إمداد أعضاء النسق الاجتماعي السعودي ، بما يمكّنهم

★ الصناعات الكيميائية (سابك) ★



★ الكمبيوتر . . في المراقبة ★



★ تعبئة المواد البتروكيميائية ★

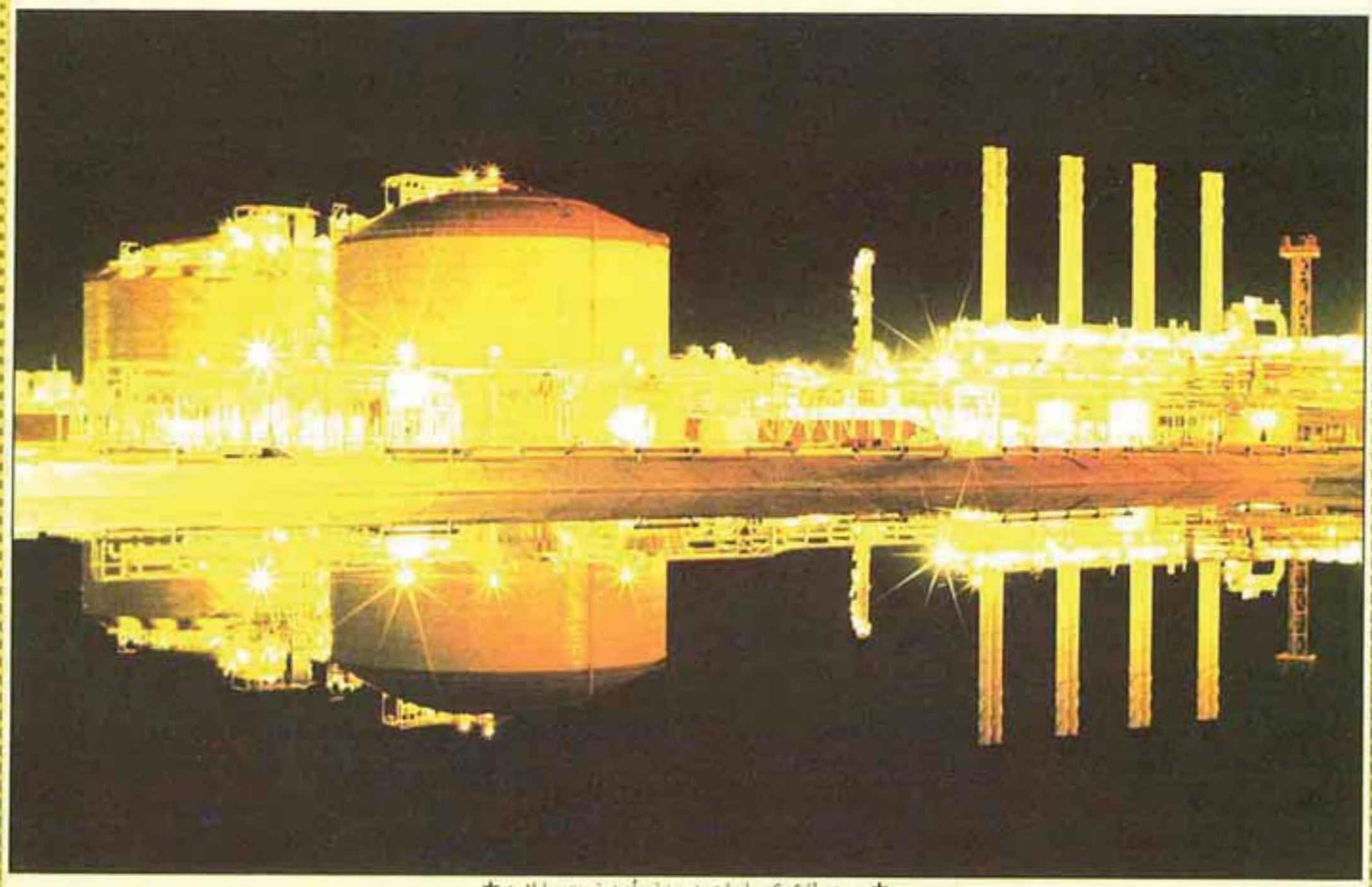
من القيام بأدوارهم ومسؤولياتهم ، تجاه التنمية الشاملة ، الأمر الذي يعزز من جهود الدولة في هذا المجال .

أسس ومبادئ التنمية[٢٠]

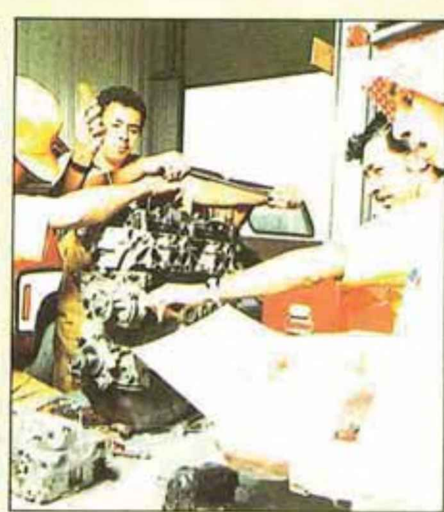
تتمثل العلامة المميزة ، لمسيرة التنمية ومنهجها في المملكة العربية السعودية ، في أن أهدافها المادية والاجتماعية ، تستند إلى المبادئ والقيم الإسلامية ، والتراث الثقافي للمجتمع السعودي . وتنعكس هذه المبادئ والقيم في :

● التزام الدولة وتمسكها بمبادئ الشريعة الإسلامية ، والحفاظ على التقاليد والقيم الثقافية والأخلاقية المرتبطة بها .

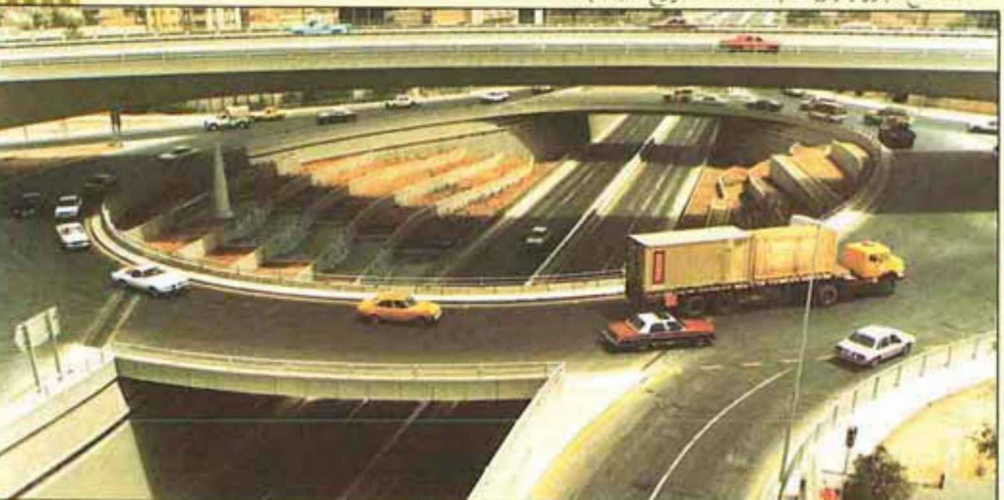
● **الأهمية المعلقة على تحقيق الرفاهية الاجتماعية** ، وحاجات المواطن السعودي ، بإنشاء سلسلة من المؤسسات ، وتقديم الخدمات دون مقابل ، لتحقيق هذه الأغراض .



★ مصنع للبتروكيمياويات (صدف أحد فروع سابك) ★



★ اليد الوطنية في مضمار الصناعة ★



★ جسر الخليج ★

● **دعم الحرية الاقتصادية**، ضمن إطار المصلحة العامة.

وهذه المبادئ والقيم، تشكل الأساس لأهداف التنمية بعيدة المدى، في المملكة العربية السعودية، وتنعكس في استمرارية مسيرة التنمية المتوازنة، في كل خطة من خطط التنمية الخمسية. وهذه الأهداف هي:

★ **الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية الإسلامية**، من خلال تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية ونشرها ودعمها.

★ **تعزيز الدفاع عن الدين الإسلامي**، وعن المملكة، واستمرار ترسيخ الأمن الداخلي والاستقرار الاجتماعي فيها.

★ **مواصلة مسيرة التنمية الاقتصادية المتوازنة**، من خلال تطوير موارد المملكة، وزيادة دخلها من النفط في المدى البعيد، والحفاظ على الموارد القابلة للنضوب. وبذلك يتسنى تحسين الرفاهية الاجتماعية لكل المواطنين، وتحقيق القوة الاقتصادية، التي تمكنهم من بلوغ الأهداف الأساسية الأخرى للتنمية.

★ **تخفيف الاعتماد على إنتاج النفط الخام** ، كمصدر رئيسي للدخل الوطني .

★ **تنمية القوى البشرية** ، عن طريق التعليم والتدريب ، ورفع المستوى الصحي .

★ **استكمال التجهيزات الأساسية اللازمة** ، لتحقيق تلك الأهداف الأخرى .

وانطلاقاً من كل ما تقدم يمكن القول ، إن التنمية في المملكة العربية السعودية ، تعتمد على مجموعة من الأسس والمبادئ ، التي باتت تشكل قاسماً مشتركاً أعظم ، في كل خطط التنمية للمجتمع السعودي ، منها ما هو بعيد المدى ، مثل التزام المملكة ، في كل ما يصدر منها وعنها من قرارات ونظم وتنظيمات ، بما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلى جانب الحفاظ على التقاليد والقيم الثقافية والأخلاقية ، النابعة من هذين المصدرين (الكتاب والسنّة) والمرتبطة بهما . وهذا ما يسميه علماء الاجتماع بـ « **العامل العقائدي** » ، الذي يرون أنه يكتسب أهمية بالغة ، في كل تخطيط تنموي ، من شأنه أن يحدث تغيراً اجتماعياً مقصوداً ومخططاً له ، في بنية وتكوين وتركيب أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية .

كما أن من بين الأهداف البعيدة المدى ، تحقيق **الرفاهية الاجتماعية** (Social Weifare) التي يُعرِّفها علماء الاجتماع على أنها « نسق منظم من الخدمات الاجتماعية والمؤسسات ، يرمي إلى مساعدة الأفراد والجماعات ، للوصول إلى مستويات ملائمة للمعيشة والصحة . كما يهدف إلى قيام علاقات اجتماعية سوية بين الأفراد ، بتنمية قدراتهم ، وتحسين الحياة الإنسانية ، بما يتفق مع حاجات المجتمع »[٢١] . وإلى جانب هذا وذاك ، فإن تلبية حاجات المواطن السعودي ، عبر إقامة عدد من المؤسسات ، وتقديم الخدمات له دون مقابل ، والعمل على دعم الحرية الاقتصادية ، في إطار المصلحة العامة ، كل ذلك من بين الأهداف البعيدة المدى ، التي تلتزم بها خطط التنمية في المجتمع السعودي .

ولما كانت تلك الأهداف ترتبط في علاقة تبادلية ، مع أهداف تضمن استمرار عمليات التنمية بشكل متزن ومتوازن ، فإننا نستطيع أن نرى تلك الأهداف في : محافظة المجتمع السعودي ، على القيم الدينية والأخلاق الإسلامية ، اعتماداً على تطبيق ونشر ودعم الشريعة الإسلامية ، والعمل على تعزيز الدفاع عن الدين الإسلامي ، الذي يعد مصدر الحكم والتشريع في المجتمع السعودي ، وكذا تعزيز الدفاع عن المملكة ، انطلاقاً من قوله تعالى **﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾**[٢٢] . وكذا الاستمرار في تحقيق هدفين هامين وأساسيين ، لا يقوم المجتمع بدونها ، وهما **ترسيخ الأمن الداخلي ، والاستقرار الاجتماعي** ، إذ إن الأمن ضرورة حياتية للإنسان ، وهو الذي يحرك الطاقات الإبداعية الكامنة فيه لتتفتح ، ولتؤتي ثماراً طيبة ، لأنه في ظل الأمن ، يستطيع الكائن البشري ، أن يأمن على نفسه وماله وعرضه وأسرته . وكل هذه العوامل مجتمعة ، تمكّنه من المساهمة في بناء مجتمعه . كما أن **الاستقرار الاجتماعي** (Social Stapility) يعني « استمرار الأنماط الاجتماعية والثقافية في الجماعة أو المجتمع ، بدون أي تغيير مفاجئ أو جذري ، في أي جانب من جوانبه لهذه الأنماط »[٢٣] . يضاف إلى ذلك أن الاستمرار في دعم مسيرة التنمية الاقتصادية المتوازنة ، الذي يمكن أن يتأتى عبر تطوير موارد المملكة ، وما يترتب على ذلك من زيادة الدخل الوطني ، في الوقت الذي تحافظ فيه البلاد ، على مواردها القابلة للنضوب ، كل هذا من شأنه أن يمكّن الدولة ، من تحسين مستوى الرفاهية الاجتماعية ، لكل فرد من أفراد المجتمع السعودي ، والعمل على رفع مستوى القوة الاقتصادية ، بغية تحقيق الأهداف الأساسية للتنمية .

وتأتي بعد ذلك أهداف ثلاثة في غاية الأهمية . أولها « تخفيف الاعتماد على إنتاج النفط الخام كمصدر رئيسي للدخل الوطني » . وهذا معناه ، البحث عن بدائل أخرى ، تشكل على المدى القريب والبعيد ، مصادر تمويل لدخل المملكة ، في ظل اقتناع الدولة ، بأن هذا المورد (الزيت) قابل للنضوب . ولكي لا تتأثر خطط التنمية ، بهذا العامل المتغير ، وحتى يظل المواطن السعودي ، آمناً ومستقراً ، فإن الاتجاه إلى إيجاد بدائل ، تشكل مصادر رئيسية للدخل الوطني ، أمر تتطلبه طبيعة المرحلة التي يعيشها المجتمع السعودي .

وثاني تلك الأهداف تنمية القوى البشرية ، باستخدام ثلاثية التعليم ، والتدريب ، ورفع المستوى الصحي . وهذه الثلاثية ، يترتب عليها إيجاد المواطن المنتج والفعال ، ليكون عنصر دعم وبناء ، لخطط التنمية ، التي من المستحيل أن تحقق أهدافها ، ما دام المواطن في منأى عن التدريب والتعليم والعناية بصحته ، فهو قوة بشرية هائلة ، لا بدَّ من أن تُسْتَثْمَرَ ويُستفاد من إمكاناتها وقدراتها .

أما **الهدف الثالث** والأخير ، فقد تبدى في استكمال التجهيزات الأساسية ، مثل بناء الطرق ، **والمدن الصناعية** (في الجبيل وينبع على سبيل المثال) ، وبناء المرافق التي تعد ركيزة ، لتحقيق الأهداف الأخرى للتنمية .

ولا شك أن المتمعن في طبيعة كل تلك الأهداف ، يدرك مدى شمولية وعمومية التنمية في المملكة العربية السعودية ، ومن ثم يسهل على الباحثين والدارسين ، قياس الأثر الذي أحدثته هذه التنمية ، سواء أكان ذلك في البيئة الطبيعية ، أم في البيئة الاجتماعية .

استراتيجية الخطة الرابعة

يرى أحد علماء الاجتماع أن مصطلح « **استراتيجية** » (Strategy) منقول « من العلوم العسكرية ، إلا أنه شاع استخدامه في العلوم الاجتماعية والاقتصادية في عشرات السنين الأخيرة »[٢٤] . وتأسيساً على هذا ، فإن **مصطلح « استراتيجية » في علم الاجتماع يعني « الإطار العام الذي تصاغ في ظله خطة التنمية ، لتحقيق الأهداف البعيدة المدى ، وهي عادة أن تكتسب الجماهير ، القدرة على قيادة التنمية . بمعنى أن يصبح أي نمو ، يؤدي إلى نمو آخر ، بطريقة تلقائية ذاتية منتظمة »**[٢٥] .

ويمكن إجمال استراتيجية خطة التنمية الرابعة ، للمملكة العربية السعودية (١٤٠٥ ــ ١٤١٠هـ) ، في النقاط التالية[٢٦] :

(١) **المحافظة على القيم الإسلامية**، وتطبيق شريعة الله وترسيخها ونشرها.

(٢) **الدفاع عن الدين والوطن**، والمحافظة على الأمن والاستقرار الاجتماعي للبلاد.

(٣) **تكوين المواطن العامل المنتج**، بتوفير الروافد التي توصله لتلك المرحلة، وإيجاد مصدر الرزق له، وتحديد مكافأته على أساس عمله.

(٤) **تنمية القوى البشرية**، والتأكد المستمر من زيادة عرضها، ورفع كفاءتها لتخدم جميع القطاعات.

(٥) **دفع الحركة الثقافية**، إلى المستوى الذي يجعلها تساير التطور، الذي تعيشه المملكة.

(٦) **تخفيف الاعتماد على إنتاج وتصدير النفط الخام**، كمصدر رئيسي للدخل الوطني.

(٧) **الاستمرار في إحداث تغيير حقيقي**، في البنية الاقتصادية للبلاد، بالتحول المستمر نحو تنويع القاعدة الإنتاجية، بالتركيز على الصناعة والزراعة.

(٨) **تنمية الثروات المعدنية**، وتشجيع استكشافها واستثمارها.

(٩) **التركيز على التنمية النوعية**، بتحسين وتطوير أداء ما تم إنجازه، من منافع وتجهيزات، خلال خطط الدولة التنموية الثلاث.

(١٠) **إكمال التجهيزات الأساسية اللازمة**، لتحقيق التنمية الشاملة.

(١١) **تحقيق التكامل الاقتصادي والاجتماعي**، بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

ومقارنة استراتيجية خطة التنمية الرابعة، بما سبقها من خطط، يتضح لنا أن هناك استراتيجيات تم الأخذ بها في الخطط الثلاث، وجاءت الخطة الرابعة لتؤكد عليها من جديد، بينما ظهرت استراتيجيات جديدة في هذه الخطة، لم تكن مدرجة في الخطط السابقة. ويستطيع الباحث المتابع، معرفة ذلك، إذا أمعن النظر جيداً، في تلك الخطط.

إقرار الخطة الرابعة

في مساء يوم الأربعاء ٢٩ جمادى الآخرة عام ١٤٠٥هـ، (٢٠ مارس (آذار) عام ١٩٨٥م)، أقر مجلس الوزراء، في جلسة عقدت برئاسة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، خطة التنمية الرابعة، بقرار يحمل رقم ١٣١، على «أن يراعى في تنفيذها تطبيق قرارات مجلس الوزراء الصادرة بشأن الخطط الأولى والثانية والثالثة».

وكان معالي وزير التخطيط، قد رفع خطاباً إلى جلالة الملك فهد برقم ١/٢١٠٢ وتاريخ ١٤٠٥/٦/١٢هـ، وأرفق معه خطة التنمية الرابعة للمملكة العربية السعودية، عن الفترة من ١٤٠٥ ـ ١٤١٠هـ، التي أعدت بموجب الاستراتيجية، التي أقرها مجلس الوزراء، بقراره رقم ٣٦ وتاريخ ١٤٠٤/٢/٢٤هـ.

وقد ألقى جلالة الملك فهد ـ حفظه الله ـ كلمة إلى المواطنين السعوديين، استعرض فيها جهود التنمية الذي خططت له المملكة العربية السعودية، ونفذته خلال الخمس عشرة سنة الماضية. ولعل ما جاء في هذه الكلمة، من نقاط جوهرية، تبرز الآثار التي نجمت عن استخدام التخطيط التنموي السليم، جديرة بأن نضعها أمام القارئ العربي والمسلم، بصفة عامة، مستخدمين في ذلك لغة الأرقام، التي تعد أنجح لغة، لتقبل القرارات، وما يتمخض عنها من نتائج.

منجزات التنمية في ١٥ عاماً

من أبرز منجزات التنمية في المملكة العربية السعودية، خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية (من ١٣٩٠ ـ ١٤٠٥هـ) ما يلي[٢٧]:

حجم الواردات المفرغة عبر موانئ المملكة[١]

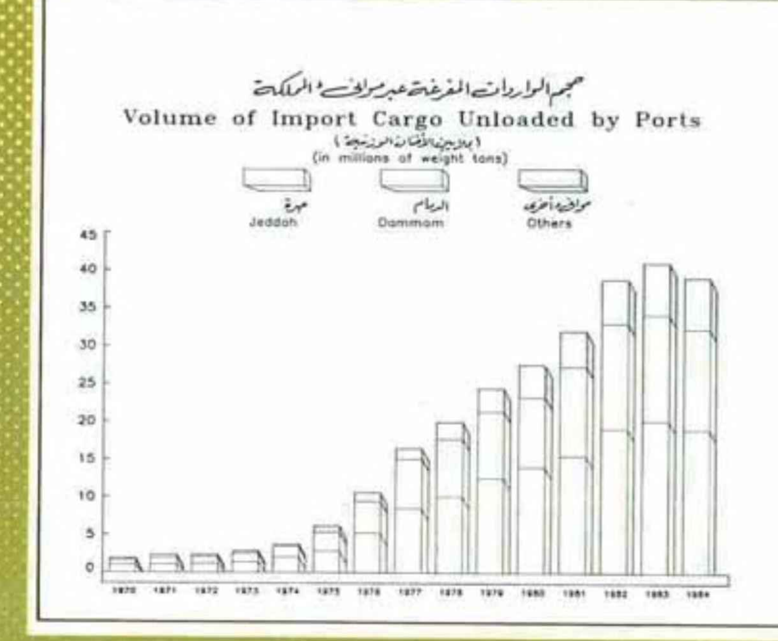
● **قفزت الطاقة الاستيعابية لموانئ المملكة العربية السعودية من مليوني طن وزني عام ١٩٧٠م، إلى ما يقرب من ٤٩ مليون طن وزني عام ١٩٨٤م.**

● **زاد حجم البضائع المفرغة في موانئ المملكة من ١,٨ مليون طن وزني عام ١٩٧٠م، إلى ما يقرب من ٣٨,٩ مليون طن وزني عام ١٩٨٤م.**

● **احتل ميناء جدة الإسلامي المركز الأول بين موانئ المملكة من حيث تفريغ البضائع، فارتفع حجم البضائع المفرغة إلى حوالي ١٩ مليون طن وزني عام ١٩٨٤م.**

● **احتل ميناء الملك عبد العزيز في الدمام المركز الثاني من حيث حجم البضائع المفرغة، فارتفع إلى ١٣,٣ مليون طن وزني خلال الفترة نفسها.**

(١) المصدر: منجزات خطة التنمية، ص ٨٦.





★ مصنع للغازات الصناعية ★



★ مطار الملك خالد بالرياض (من الداخل) ★

في تلك الفترة أنفقت الدولة ، أكثر من ألفي بليون ريال .. وحقق الاقتصاد الوطني معدلات نمو استثنائية بأعلى معيار ، إذ بلغ متوسط النمو في الاقتصاد غير البترولي ١٢٪ ، وارتفع حجم الاستثمار إلى ٦٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي غير البترولي .. فما هي الحصيلة لهذا الإنفاق الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً ، في الفترة المحدودة التي تم فيها :

(١) توسعت **شبكة الطرق الرئيسية المعبدة** ، من حوالي ثمانية آلاف كيلومتر ، إلى أكثر من ثلاثين ألف كيلومتر .. بالإضافة إلى اربعة وأربعين كيلومتراً من الطرق الزراعية .

(٢) ازداد **عدد الهواتف العاملة** ، من تسعة وعشرين ألفاً ، إلى تسعمائة وتسعة وأربعين ألف خط هاتفي .

(٣) بُنيت أكثر من خمسمائة وخمسين ألف وحدة سكنية ، معظمها من قبل الدولة ، أو بقروض قدمتها الدولة للمواطنين .





★ صورتان لوحدة البولي إيثيلين منخفض الكثافة الخطي ★



★ وحدة جلايكول الإيثيلين ★



★ مصنع ابن سينا للميثانول (سابك) ★

(٤) ازداد **عدد الأطباء**، من حوالي ألف طبيب، إلى أربعة عشر ألفاً وثمانمائة وسبعة وستين طبيباً.. وزادت أسِرَّةُ المستشفيات، من حوالي سبعة آلاف سرير، إلى ثمانية وعشرين ألفاً وثلاثمائة وخمسة وثمانين سريراً.

(٥) ارتفعت القدرة الكهربائية المركبة، من أربعمائة ميجاوات، إلى ستة عشر ألفاً وأربعمائة وثمانية وأربعين ميجاوات.

(٦) زاد إنتاج **محطات التحلية**، من حوالي خمسة ملايين جالون في اليوم، إلى حوالي خمسمائة مليون جالون في اليوم (مليون وثمانمائة وثلاثة وتسعين ألفاً وتسعمائة وثلاثة وثلاثين متراً مكعباً في اليوم).

(٧) زاد عدد طلاب وطالبات **المدارس الابتدائية**، بنسبة مائة واثنين وتسعين في المائة، **والمرحلة المتوسطة** بنسبة ثلاثمائة وخمسة وسبعين في المائة، **والمرحلة الثانوية** بنسبة سبعمائة واثني عشر في المائة، ليصبح عدد الطلبة والطالبات، في جميع المراحل، مليونين ومائة ألف طالب وطالبة،

في أكثر من أربعة عشر ألفاً وستمائة وسبعين مدرسة ، **وسبع جامعات** .

(٨) ارتفع **إنتاج القمح** من مائة وثلاثين ألف طن ، إلى حوالي مليونين وسبعة وأربعين ألف طن .

(٩) تضاعف **إنتاج التمور** ، فارتفع إلى حوالي أربعمائة وأربعين ألف طن .

(١٠) زاد **إنتاج الأسمنت** ، من حوالي سبعمائة ألف طن ، إلى تسعة ملايين وستمائة وثمانية وعشرين ألف طن .

(١١) ارتفع **إنتاج الأسمدة** ، من أربعة وعشرين ألف طن ، إلى أكثر من ثمانمائة وواحد وتسعين ألف طن .

(١٢) لدى المملكة الآن ، أحدث **المدن الصناعية** في العالم ، في **الجبيل وينبع ورابغ** ، يُسَوَّقُ إنتاجها في جميع أرجاء المعمورة . ولم تعد صادرات المملكة ، قاصرة على النفط الخام ، كما كانت في الماضي ، بل إنها دخلت في صناعة البتروكيماويات والأسمدة والصناعة الأخرى .

(١٣) نفذت الحكومة أكثر من ستمائة وخمسين مشروعاً **للبلديات** ، في مدن وقرى مختلفة ، منها ستة وتسعون مشروعاً للمياه ، ومائة وتسعة مشروعات للمجاري ، وثلاثمائة وخمسة عشر مشروعاً للسفلتة والتحسين ، وستة وثمانون مشروعاً للمباني .

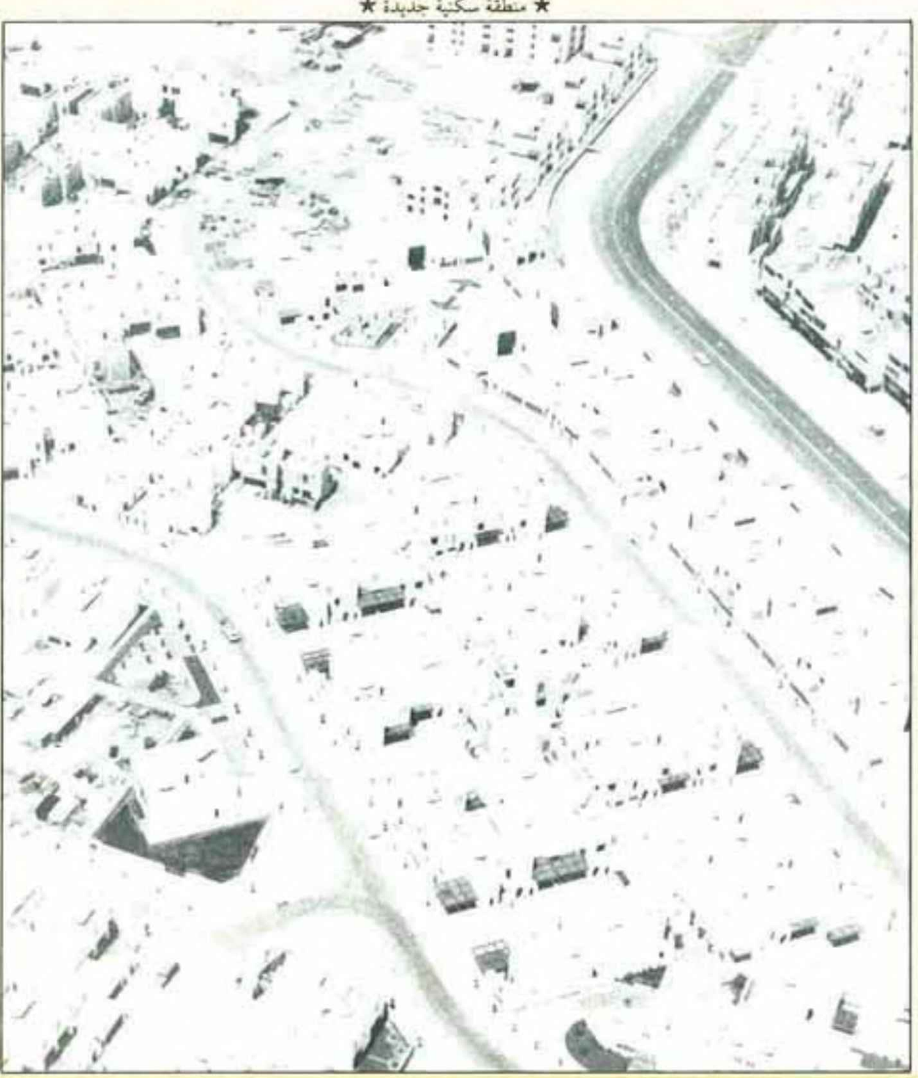
(١٤) قامت الحكومة بتطوير **مرافق الحج** ، فأنشأت عشرين نفقاً ، وخمسة عشر جسراً للمشاة ، وشبكة طرق أطوالها مائة كيلومتر ، وخزانات للمياه ، مجموع سعتها أكثر من مليون وثمانمائة ألف متر مكعب ، وأعمال صرف صحي تكفي لثلاثة ملايين حاج ، وتم إزالة خمسة ملايين متر مكعب من الصخور ، لتهذيب سفوح الجبال ، وتوسعة منطقة الجمرات .

(١٥) بلغ عدد **المساجد** بالمملكة ، أكثر من عشرين ألف مسجد . وقد قامت الحكومة ، بتوسعة مسجد نمرة بعرفات ، وتكملة وتوسعة مسجد الخيف بمنى ، وتقوم حالياً بتوسعة المسجد النبوي الشريف ، وقد أنشأت وشغلت مطبعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

(١٦) بنهاية عام ١٤٠٤هـ ، وزعت الحكومة حوالي خمسمائة وستين ألف هكتار من الأراضي ، استفاد منها ثمانية وثلاثون ألف مزارع ، وأكثر من ألف وخمسمائة مشروع زراعي متخصص ، وعشر شركات زراعية .

(١٧) بلغ مجموع الإعانات التي دفعت للمواطنين لأغراض مختلفة حتى

★ منطقة سكنية جديدة ★



الهيئة الملكية للجبيل وينبع

● أنشئت الهيئة الملكية للجبيل وينبع بموجب المرسوم الملكي رقم م/٧٥ وتاريخ ١٣٩٥/٩/١٦هـ (١٩٧٥/٩/٢١م) .

● تتمتع الهيئة بكيان فريد من نوعه ، ضمن الجهاز الحكومي للمملكة العربية السعودية ، حيث إنها ذات صلاحيات ومسؤوليات خاصة .

● تتلخص أهداف الهيئة الملكية للجبيل وينبع في :

أ ـ التطوير الكامل للمنشآت والتجهيزات اللازمة لتحويل الجبيل وينبع إلى مجمعين صناعيين كاملين مع كافة المرافق الاجتماعية والسكنية المتعلقة بذلك .

ب ـ بما أن الصناعات الثقيلة الواسعة النطاق ، التي أقامتها الهيئة في الجبيل وينبع ، تشكل المقومات الأساسية في برامج التصنيع في المملكة ، فإن الهيئة تؤدي دوراً حاسماً في التنظيم الحديث لاقتصاد المملكة العربية السعودية .

جـ ـ تتولى الهيئة تدريب القوى العاملة الوطنية السعودية في كلا المجالين التقني والإداري ، لكي تقوم تلك القوى بإدارة وتشغيل الصناعات الجديدة ، والمنشآت ،

الآن (عام ١٤٠٥ هـ)، أكثر من ثلاثة وخمسين ألف مليون ريال، منها حوالي واحد وعشرين ألف مليون ريال للمواد الغذائية، واثني عشر مليون ريال لاستهلاك الكهرباء، وثمانية آلاف مليون ريال للإعانات الزراعية، وأحد عشر ألف مليون ريال للضمان الاجتماعي، وذلك بالإضافة إلى إعانات أخرى مختلفة، للشؤون الاجتماعية، والرعاية الاجتماعية، والنقل الجماعي، والأندية، بلغت أكثر من ألفي ومائتي مليون ريال.

(١٨) بلغ إجمالي القروض المقدمة من **صندوق التنمية العقارية** منذ إنشائه حتى الآن، أكثر من ستة وسبعين ألف مليون ريال، ومن **صندوق التنمية الصناعية** أكثر من خمسة وأربعين ألف مليون ريال، ومن **البنك الزراعي** أكثر من ستة عشر ألف مليون ريال، ومن **صندوق الاستثمارات العامة** أكثر من خمسة وخمسين ألف مليون ريال، ومن **بنك التسليف** أكثر من ألف وستمائة مليون ريال، ومن **برامج الفنادق والمخابز والمستشفيات والمقاولين** أكثر من ألفي وثمانمائة مليون ريال، ليبلغ ما قدمته الدولة من قروض للمواطنين لأغراض مختلفة، حوالي مائة وتسعة وثمانين ألف مليون ريال حتى الآن (عام ١٤٠٥ هـ).

يقول جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وهو يستعرض منجزات التنمية في المملكة[٢٨]:

«لقد اعتمدت المملكة العربية السعودية، في سياستها الاقتصادية، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، على الحرية الاقتصادية، واتباع سياسة السوق والاقتصاد المفتوح، حيث يكون المجال واسعاً، أمام المواهب والمبادرات الفردية، لتحقيق مصالحها، ضمن إطار المصلحة العامة، وتكون الأسعار والأجور وقوى السوق الأخرى، هي الأساس في توجيه عوامل الإنتاج.

ولهذا شجعت حكومة المملكة العربية السعودية، **القطاع الخاص** ودعمته، مما نتج عنه بناء ما يزيد على ألف وخمسمائة مصنع منتج حتى الآن (عام ١٤٠٥ هـ)، كما تم إنشاء عشرات الشركات المشتركة، مع شركاء عالميين.

ومع نمو اقتصاد المملكة وزيادة قوته، أصبحت المملكة واحدة من الدول الرائدة في التجارة العالمية، إذ بلغت وارداتها من السلع والخدمات في تلك الفترة، حوالي ألف وثمانمائة بليون ريال، من جميع أنحاء العالم. وقد سمحت المملكة أيضاً لبلدان كثيرة بالمشاركة في تنفيذ مشاريع التنمية، ولمواطنيها بالعمل المثمر البنّاء في بلادنا، مما نتج عنه مشاركة عالية صحيحة، في

والتجهيزات، وكافة المنظمات الاجتماعية في الجبيل وينبع.

د ـ إنشاء صناعات كبرى أساسية بترولية الأسس وكثيفة الطاقة، وتوفير مواقع لإقامة الصناعات الثانوية التي تستمد مواردها الأولية من منتجات الصناعات الأساسية، إلى جانب توفير مواقع أخرى لإقامة صناعات مساندة، تزود الصناعات الأساسية والثانوية بالسلع والخدمات اللازمة لها.

هـ ـ تنمية القدرة على إيجاد وتطوير السبل التقنية والتنظيمية التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج ورفع مستوى المعيشة.

و ـ الهيئة هي السلطة الوحيدة المخولة بتطوير التجهيزات الأساسية في كل من الجبيل وينبع.

ز ـ تقوم الهيئة باتباع سياسة التنويع الإقليمي للإنتاج الصناعي الذي سيؤدي إلى رفع مستوى الدخل الحقيقي للمملكة، وزيادة فرص العمل المتاحة لجميع مواطني المملكة.

ح ـ تعمل الهيئة الملكية للجبيل وينبع تحت إشراف الحكومة العربية السعودية، بميزانية مستقلة وصلاحيات خاصة، فيما يتعلق بالأنظمة الإدارية والمالية القائمة.

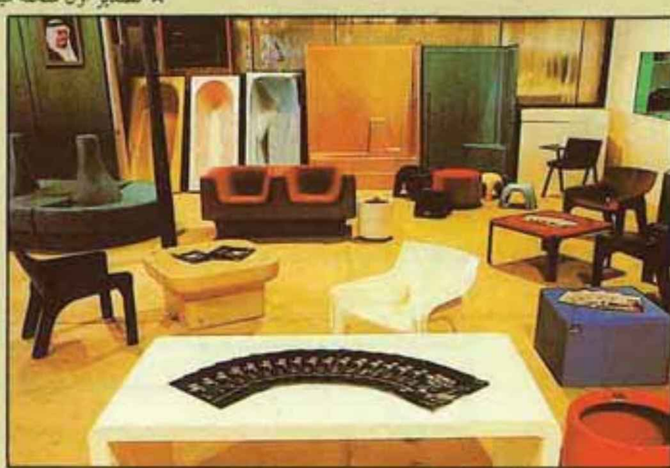
***

جدول التخطيط لتشييد الصناعات الأساسية في الجبيل وينبع

الجبيل

ينبع

★ تصدير أول شحنة ميثانول من مصنع الرازي ★



★ منتجات صناعية سعودية ★



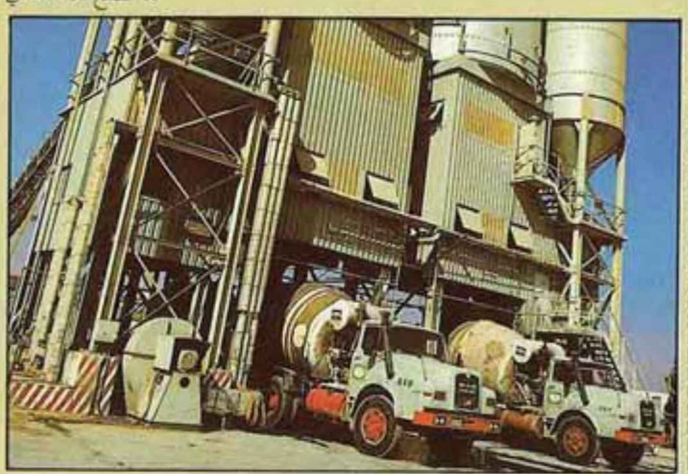
★ مصنع الرازي للميثانول (سابك) ★

مجهود حضاري رفيع . ولهذا نحن ندخل المرحلة القادمة بإذن الله ، بعزيمة وثقة . وبالرغم من التدهور في السوق النفطية ، وفي الإيرادات تبعاً لذلك ، فسياستنا الاقتصادية مبنية أساساً ، على تخفيف الاعتماد على تصدير النفط الخام ، كمصدر وحيد للدخل في البلاد .

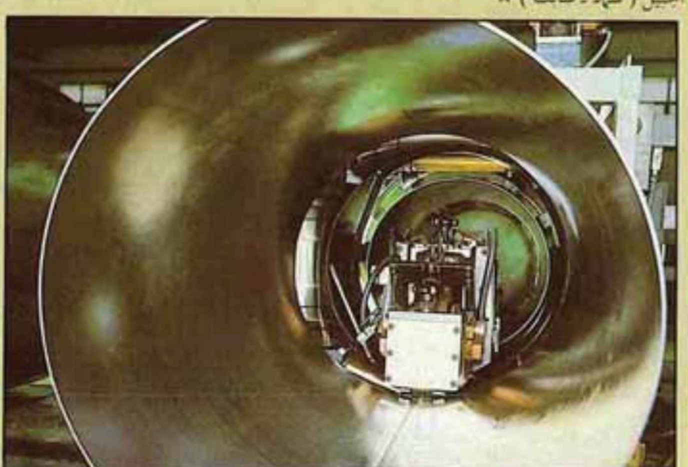
ما يحدث في السوق النفطية (أيها الإخوة) دليل علمي ، على حكمة الأهداف التي حددناها في جميع خطط التنمية ، وحكمة السياسات التي اتبعناها ، في تنفيذ الأهداف الاقتصادية والاجتماعية ، وفي مقدمتها تخفيف الاعتماد على تصدير النفط الخام ، وذلك بالاستثمار المجدي ، في الصناعة والزراعة والتعدين .

من ناحية ثانية ـ يقول جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ـ قامت حكومة المملكة العربية السعودية ، بثقة وبعد نظر ، باستثمار مواردها ، عندما كانت أسواق النفط العالمية ، تستوعب أكبر كمية من الإنتاج ، بأسعار مناسبة ، فحوّلت دخلها لمجهود إنمائي ، لا مثيل له في التاريخ ، نقطف ثماره الآن ونحمد الله عليه .

★ مصنع للأسمدة في الجبيل (سماد ـ سابك) ★



★ إنتاج وتسليم الخرسانة الجاهزة ★



★ صناعة البراميل الفولاذية ★

فمن الطبيعي إذن ، بل ومن الحكمة ، أن نتكيف بشكل بناء ، مع الظروف الجديدة . فنحن ـ والقول هنا لجلالة الملك فهد ـ قد وضعنا كل هذا الجهد الذي ذكرته ، عندما زاد الإنتاج ، فبلغ حوالي عشرة ملايين برميل في اليوم ، وزاد الدخل إلى ما يزيد عن ثلاثمائة وثمانية وستين ألف مليون ريال في السنة ، وبما أن إنتاجنا في الوقت الحاضر (عام ١٤٠٥ هـ) ، لا يزيد عن أربعة ملايين برميل في اليوم ، فإن الحكمة تقتضي التكيف مع المستويات الحاضرة ، إلى أن نتمكن بإذن الله ، من الإنتاج المجزي في القطاعات الأخرى » .

وأشار جلالة الملك فهد إلى المشاريع الجديدة التي ستنفذ ، في السنة المالية (١٤٠٥ ـ ١٤٠٦ هـ) ، وهي ألفي مشروع ، تشمل مجالات التعليم ، والصحة ، والرعاية الاجتماعية ، والزراعة ، والبلديات ، والمرافق الخاصة بالشباب والرياضة ، والإعلام ، وتوسعة بعض الموانئ ، وإنشاء الطرق ، والاتصالات الهاتفية والبرقية ، وتدعيم القطاع العسكري ، واستمرار صناديق الإقراض في تقديم القروض للمواطنين ، ودعم المشاريع الصناعية .

الخـلاصـة

بعد معالجتنا لهذه القضية ، يمكن أن نطرح السؤال التالي : **ما نوعية وأبعاد التنمية في المجتمع السعودي؟** . من واقع خطة التنمية الرابعة ، يمكن الإجابة على هذا السؤال إذ تقول الخطة[٢٩] :

« تقوم أبرز سمات التنمية في المملكة العربية السعودية ، على أساس الاسترشاد بالقيم الإسلامية ، وتعاليم الدين الحنيف ، وتعمل مؤسساتها وفق المنهج الإسلامي القويم . لذلك من الطبيعي ، أن تسير عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ضمن إطار مبادئ الإسلام وقواعده . وستظل الأساس الذي تستند إليه استراتيجيات التنمية ، وأهدافها ، وسياساتها .

وبهذا المنهج ، وضمن هذا الإطار ، استطاعت المملكة أن تحقق التوازن بين التطور الحضاري والعمراني ، والمادي والاجتماعي ، وتحسين مستويات المعيشة ، والمبادرات الفردية ، وبين المحافظة على المبادئ والقيم الدينية .

ويمكن القول ، إن عمليات التنمية التي تمت في المملكة ، فريدة في نوعها ، من حيث الوقت القصير الذي تمت فيه ، ومن حيث العمق والشمولية . . إذ استطاعت تفادي الجوانب السلبية للتنمية ، التي عانت منها أكثر الدول النامية الأخرى ، كعدم التوازن ، والإفراط في استغلال الموارد الطبيعية ، وارتفاع الأسعار ، أو تجاهل الضمان الاجتماعي . فالتخطيط في المملكة العربية السعودية ، يتجاوز مجرد إيجاد التوازن الفني ، وإعداد الخطط ، حيث إن الإنسان السعودي ، وتحقيق طموحاته ، وتلبية احتياجاته ، وتحسين مستوى معيشته ، هو الهدف الأسمى للتنمية .

ولم تقتصر التنمية على مجال واحد ، أو قطاع واحد ، بل شملت كافة القطاعات ، الاقتصادية ، والاجتماعية ، في جميع مناطق المملكة . وباختصار استندت المملكة ، في تحقيق أهدافها التنموية ، على المبادرات الفردية ، والقيم الإسلامية ، والحرية الاقتصادية ، وسياسة الاقتصاد المفتوح .

ومنذ خطة التنمية الأولى ، كانت أهداف التنمية شاملة في نطاقها ، حيث تضمنت ثلاثة أبعاد : **البعد الاقتصادي ، والبعد الاجتماعي ، والبعد التنظيمي** . وتناول البعد الاقتصادي تنمية التجهيزات الأساسية ، والصناعات الأساسية ، والزراعة . وتناول البعد الاجتماعي ، رغبات أفراد الشعب السعودي وطموحاتهم وإمكاناتهم ، فتوسعت فرص التعلم المجاني بكافة مراحله ، كما أصبح التدريب متاحاً في مجالات عديدة ، لكسب المهارات والقدرات ، التي تساعد على مواجهة مشكلات الحياة ، وتوفرت مرافق الخدمات الصحية المجانية ، والخدمات الاجتماعية للمسنين ، والعجزة ، وذوي العاهات ، وأصحاب الدخل المحدود ، وأعطيَ الإسكان اهتماماً خاصاً ، من خلال القروض والتسهيلات الميسرة .

وتناول البعد التنظيمي ، إدخال تغييرات أساسية ، على التنظيم الإداري ، واللوائح والأنظمة ، فأنشئت مؤسسات جديدة ، وصدرت أنظمة ولوائح مرنة ، تواكب متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، مما أدى إلى توسع الطاقات الاستيعابية للاقتصاد الوطني .

وأخيراً اتصفت تجربة المملكة العربية السعودية ، الفريدة هذه ، بكبر وسعة عمليات التنمية وأساليبها . فخلال فترة الخطط الثلاث ، استطاعت أن تحقق قدراً كبيراً من مبيعات الزيت ، حيث بلغت مبيعاتها لتلك الفترة ، ما مجموعه ٣٥ بليون برميل ، أو ما يعادل استهلاك سنتين كاملتين للعالم الحر ، من الزيت الخام ، حسب معدلات ١٤٠٠ ــ ١٤٠١هـ ، و ١٤٠١ ــ ١٤٠٢هـ .

وفي خلال هذه الفترة ، بلغت نفقات الدولة ٢٠٠٠ بليون ريال ، وحقق الاقتصاد معدلات نمو استثنائية على صعيد عالمي ، حيث بلغ متوسط النمو في الاقتصاد غير البترولي ١٢٪ سنوياً ، وارتفع حجم الاستثمارات إلى ٦٠٪ ، من الناتج المحلي الإجمالي غير البترولي .

الصناعات الأساسية المخطط اقامتها

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الجبيل		
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]		[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]		[illegible]
[illegible]		[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]		[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]		[illegible]
ينبع		
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]

ارقام وحقائق

- أنفقت الهيئة الملكية ٥٠ مليار ريال سعودي على التجهيزات الأساسية لبناء مدينتين صناعيتين في كل من الجبيل وينبع .
- بلغت مساحة ما تم تجهيزه في المدينتين ٤١٠ كيلومترات مربعة .
- أصبح عدد سكان المدينتين ــ الآن ــ ٧٢ ألف نسمة .
- هناك ٣٠ مليار ريال سعودي معتمدة في الخطة الخمسية الرابعة الحالية (١٤٠٥ ــ ١٤١٠هـ) للإنفاق على خدمات المدينتين الصناعيتين المشار إليهما .



★ تربية الدواجن ★



★ تربية الأبقار وإنتاج الألبان ★



★ الاهتمام بالزراعة ★

الهـــوامش

(١) التعريف الإجرائي للمفاهيم يعني، تحويل الأفكار النظرية المجردة، إلى أشياء يمكن قياسها، والتعبير عنها بشكل علمي، في الواقع الاجتماعي. انظر: محمد الجوهري وعبد الله الخريجي. طرق البحث الاجتماعي. القاهرة: مطبعة الجد، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص ٧٦.

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون، القاهرة، دار الشعب، (د. ت)، ص ٣٩.

(٣) محمد شفيق غربال وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة: دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩م، ص ١٤.

(٤) كان هدف «أوجست كونت» إصلاح المجتمع، ليعيش الناس في توافق وانسجام، ومذهبه مبسوط في كتابه «محاضرات في الفلسفة الوضعية»، وقد بيَّن فيه المراحل الثلاث التي اجتازها الفكر في تطوره: اللاهوتية التي تعلل الأشياء بقوى خارقة، والميتافيزيقية التي تعلل الأشياء بمبادئ مجردة، والوضعية التي تعلل الأشياء بالمشاهدة والتجارب تأييداً للفروض. وتتفاوت العلوم بساطة وتركيباً. فأبسطها: الرياضة، فالفلك، فالفيزياء، فالكيمياء، فعلم الاجتماع. وكل منها يعتمد على سابقه، والاجتماع يعتمد عليها جميعاً وكلها في خدمته. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص ١٥١٧.

(٥) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ط ٥، ترجمة محمود عودة وآخرين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م، ص ٢٨.

(٦) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م، ص ٣١٦.

(٧) محمد سيد محمد، الإعلام والتنمية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٢١.

(٨) محمود الكردي، التخطيط للتنمية الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ص ٧٠ ـ ٧١.

(٩) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ص ٤٥١ ـ ٤٥٢.

(١٠) محمد فؤاد حجازي، التنمية الاجتماعية، محاضرات لطلبة قسم الاجتماع بجامعة الملك عبد العزيز بجدة (د. ت)، ص ٣٩.

(١١) أحمد عبده، معجزة فوق الرمال، ط ٣، بيروت، المطابع الأهلية اللبنانية، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٧م، ص ٥٤١.

(١٢) المرجع السابق، ص ٥٤١.

(١٣) المملكة العربية السعودية ـ وزارة التخطيط، أنظمة وقرارات مجلس الوزراء المتعلقة بالتنمية في المملكة.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) المملكة العربية السعودية، الهيئة المركزية للتخطيط، خطة التنمية، ١٣٩٠هـ، الرياض، مطابع وزارة التخطيط، (د. ت)، ص ٢٥

(١٦) أحمد كمال أحمد، التخطيط الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م، ص ٥٧.

(١٧) المملكة العربية السعودية، وزارة التخطيط، خطة التنمية الثانية، جدة، دار عكاظ للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، ص ٢٨.

(١٨) المملكة العربية السعودية، وزارة التخطيط، ادارة المتابعة والمعلومات، التقرير الابتدائي، متابعة تنفيذ خطة التنمية الثانية، ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠هـ، جمادى الآخرة، ١٤٠٠هـ.

(١٩) المملكة العربية السعودية، وزارة التخطيط، خطة التنمية الثالثة، ١٤٠٠ ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥م.

(٢٠) خطة التنمية الثالثة، المرجع السابق، ص ٣١.

(٢١) أحمد زكي بدوي، المرجع السابق، ص ٣٩٩.

(٢٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢٣) أحمد زكي بدوي، المرجع السابق، ص ٣٩٦.

(٢٤) محمد فؤاد حجازي، المرجع السابق، ص ٣٨.

(٢٥) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢٦) المملكة العربية السعودية، وزارة التخطيط، استراتيجية خطة التنمية الرابعة، ١٤٠٥ ـ ١٤١٠هـ (١٩٨٥ ـ ١٩٩٠م)، الرياض، مطابع وزارة التخطيط، (د. ت)، ص ٠١.

(٢٧) وزارة التخطيط، منجزات خطة التنمية.

(٢٨) جريدة عكاظ، ع ٦٨٥٧، غرة رجب ١٤٠٥هـ.

(٢٩) خطة التنمية الرابعة، المرجع السابق، ص ٣٧.

مدينة الجبيل الصناعية

● تقع مدينة الجبيل الصناعية على بعد حوالي ٨٠ كيلومتراً إلى شمال مدينة «الدمام» على ساحل الخليج العربي في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية .

● تبلغ المساحة التي يشملها المجمع الصناعي والسكني في الجبيل ٩٠٠ كيلومتر .

● يبلغ عدد السكان في مدينة الجبيل الصناعية ـ في الوقت الحاضر ـ خمسين ألف نسمة .

● تستفيد من خدمات المدينة الصناعية في الجبيل ١٦ صناعة أساسية ، يضمها ١٦ مصنعاً ، ومساحة تبلغ ٢٠٠٠ هكتار ، و ٦١ صناعة مساندة تعمل ، و ١٥ أخرى تحت الإنشاء ، وهناك صناعات تحت التصميم .

● تبلغ مساحة الأراضي التي تخص الصناعات الثانوية والمساندة ٩٦٠ هكتاراً .

● من المتوقع أن يبلغ عدد سكان هذه المدينة ١٨٠ ألف نسمة .

● بلغ مجموع المصروفات في مضمار الخدمات للجبيل قرابة ٣٠ ألف مليون ريال سعودي حتى شهر رجب عام ١٤٠٥هـ .



مدينة ينبع الصناعية

● تقع مدينة ينبع الصناعية على البحر الأحمر ، على بعد ١٩ كيلومتراً جنوب مدينة ينبع البحر ، و ٣٥٠ كيلومتراً شمال مدينة جدة .

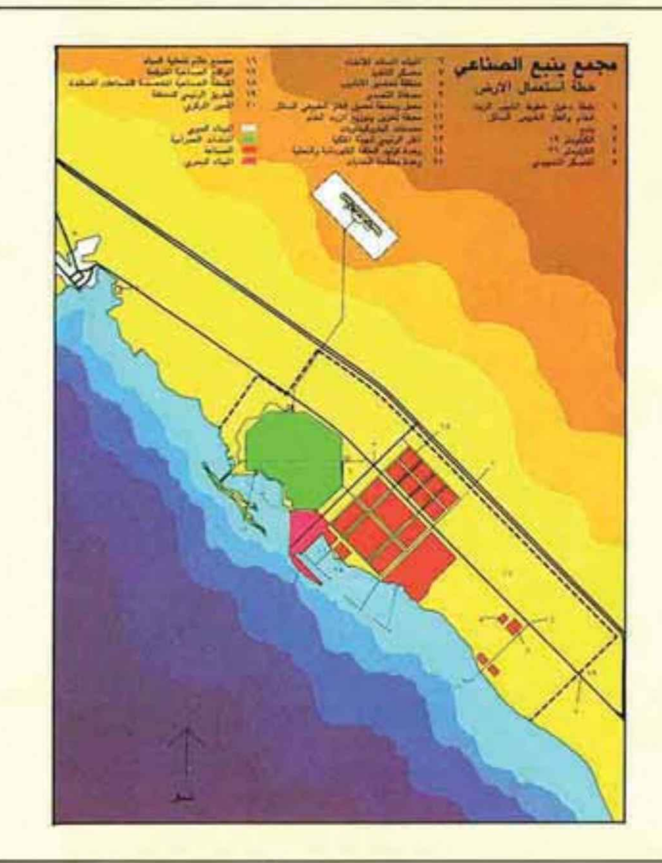
● تبلغ المساحة التي يشملها المجمع الصناعي والسكني في ينبع ١٥٠ كيلومتراً مربعاً .

● يبلغ عدد السكان في مدينة ينبع الصناعية ٢٢ ألف نسمة تقريباً .

● تستفيد من خدمات المدينة الصناعية في ينبع ٥ مصانع لصناعات أساسية على مساحة ١٩٧١ هكتاراً ، و ٢٢ صناعة مساندة تعمل ، و ٧ تحت الإنشاء ، بجانب ٧ صناعات تحت التصميم . ويخصص للصناعات الثانوية والمساندة ٨٠٠ هكتار .

● من المتوقع أن يبلغ عدد سكان مدينة ينبع الصناعية (١٢٥) ألف نسمة .

● بلغ مجموع المصروفات في مضمار الخدمات للمدينة الصناعية في ينبع أكثر من ٢٠ مليون ريال حتى شهر رجب عام ١٤٠٥هـ .





الحضر .. المدينة العائدة من أعماق التاريخ

بقلم : عبدالجبار محمود السامرائي

★ مدينة الحضر في أحضان الغروب ★

الحضر ، مدينة تأريخية عريقة ، تقع على بعد (٣٤٥) كلم عن بغداد ، وعلى بعد (١١٠) كلم من (الموصل) إلى جنوبها الغربي ، ومنطقتها اليوم منطقة بادية لا تتوافر فيها المياه الجارية ولا الزروع الوافرة ، شأنها في هذا شأن (تدمر) و (البتراء) وغيرهما من المدن الصحراوية التي نمت وازدهرت في ظرف خاص ملائم لوجودها ، في أماكن منعزلة واقعة على طرف البوادي المحاددة أو الفاصلة بين أكبر إمبراطوريتين اقتسمتا العالم القديم في القرون الأولى للميلاد ، وأعني بهما إمبراطورية الرومان وإمبراطورية الفرثيين .

والحضر ، عاصمة لمملكة عربية كانت لها حدود طبيعية هي نهر دجلة من الشرق ونهر الفرات من الغرب ، وكذلك جبال سنجار من الشمال ومشارف (المدائن) من الجنوب ، إلا أن نفوذها امتد في الشمال إلى ما وراء (سنجار) ، فوصل إلى نهر (الخابور) و (نصيبين) .

وكانت الحضر دويلة من بين الدويلات الكثيرة التي كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي ضمن السيطرة العامة للإمبراطورية الفرثية ، في العصر الذي أطلق عليه المؤرخون العرب **« عصر ملوك الطوائف »** ، لأن نظام الحكم كان يقوم على طوائف لكل منها سلالتها الحاكمة المتمتعة بشبه استقلال في إدارة شؤونها الداخلية ، وفي ممارسة حرياتها ونظمها الدينية والقومية ، ولها حق ضرب النقود وجباية الأموال ، ولكنها مرتبطة بالمركز الفرثي في طيسفون (المدائن) بالدفاع المشترك عن طريق تقديم المعدات والمال والرجال عند الحاجة .

لقد تناول الكتبة العرب والرومان أخبار الحضر ، ودهش العرب لمبانيها ، فنسبوا بناءها إلى **الجن** ووصفوها في بعض أشعارهم . وتبدو الحضر للمشاهد من بعيد ، كما لو أن أهلها ولّوا عنها وهجروها ، على رجاء العودة إليها قريباً ، ولكن ، دون أن يعاودها أحد منهم ، فبقي كل شيء منها على حاله .. ولولا تقلبات الطبيعة بأنوائها العاصفة ، ورياحها السافية التي جعلت عاليها سافلها في مواضع ، وطمست معالم مواضع أخرى ، فإن الحضري الذي قضى سنة ٢٤١ م ـ وهو العام الذي سقطت فيه الحضر بيد **سابور الأول الساساني** ـ يكاد لا يجد تغييرات تجلب انتباهه ، لو بعث حياً ، وهو يتجول في قصور مدينته ومعابدها أو بين أسوارها وقلاعها .

ومهما يكن من شأن ، فإن الحضر من المدن العراقية القديمة القليلة التي احتفظت بمعالمها بعد أن انتهى دورها التاريخي ، لأنها بقيت محصورة ببادية الجزيرة البعيدة عن طرق السابلة ومواقع المدن المعمورة .

تاريخ الحضر

(١) دور التكوين : بعد أن سقطت مدينة **(نينوى)** عام ٦١٢ ق . م ، وزال كيان **الآشوريين** من مسرح التاريخ إلى الأبد ، أخذت القبائل العربية تتدفق إلى جزيرة بادية العراق الشمالية من الغرب والجنوب الغربي ، وحدثت هجرة واسعة جديدة ، امتدت شمالا إلى **(نصيبين)** و **(ديار بكر)** فزعزعت الاستقرار في جميع بلدان الشرق ، وأدت تلك الزعزعة إلى نمو كيان **الأنباط في منطقة (البتراء)** ، وإلى اندفاع قبائل عربية جديدة شمالا إلى ما وراء **مدينة (الرها)** ـ ايدسا قديماً وأرفة الحالية ـ وإلى **سهل (أنطاكية)** ، وكان تدفق القبائل العربية سريعاً وكبيراً ، لدرجة أن الأقاليم الشمالية من ما بين النهرين صارت تعرف بعد سقوط نينوى بنحو قرن من الزمن باسم **(عربايا)** نسبة إلى العرب ، وكانت (الحضر) عاصمة هذا الإقليم .

وبعد ذلك أخذت مدينة (الحضر) بالنمو والاتساع ، وقد ساعدت جملة عوامل على ذلك ، أبرزها :

أ ـ العامل الديني : لقد كانت الحضر مركزاً دينياً سامياً للقبائل العربية المحيطة بها ، تمتثل لأوامر كهانها وتؤدي طقوس عباداتها في معابدها . ولا تزال المعابد الكبيرة والصغيرة شاخصة حتى اليوم ، وكانت تنقل إليها القرابين من مختلف أنحاء العالم .


★ قائد مجهول الاسم / الحضر ★



ب ـ العامل العسكري : نشأت الحضر وازدهرت في بادية لا ماء جار فيها ولا أمطار كافية للزرع ، وكان العامل العسكري هو الأساسي لوجودها في هذا المكان المنعزل القاحل . فقد كانت المدينة حصناً استراتيجياً منيعاً للفرس في الجزيرة بين نهري دجلة والفرات ، وكانت موضع قلق لكل قائد روماني أراد التقدم إلى **طيسفون (المدائن)** سواء عن طريق دجلة أم عن طريق الفرات ، لأنها **واقعة تقريباً في منتصف المسافة بين النهرين** ، ولا يمكن لأي قائد عسكري تركها والاستمرار على التقدم جنوباً .

وبعد فتح **الإسكندر المقدوني** (٣٣١ ـ ٣٢١ ق . م) لبلاد الشرق ، وما أعقب ذلك من تأسيس مدن ، وظهور شبكة من الطرق والمسالك تتشعب من **بابل** إلى جميع الجهات ، توسعت الحضر لوقوعها على أحد طريقين يربطان بين عاصمة السلوقيين **(سلوقية)** الواقعة في أرض (المدائن) على دجلة ، وأنطاكية الواقعة في سهل **(الإسكندرونة)** في أعالي سورية .

وبعد ازدياد أهمية الحضر الاستراتيجية للدفاع عن الإمبراطورية الفرثية ، منذ الحروب الطاحنة التي دارت رحاها في آسيا الصغرى مع الرومان في زمن **الملك الفرثي (إفراط الثالث ٦٩ ـ ٥٧ ق . م) وابنه (وورود الثاني ٥٧ ـ ٣٦ ق . م)** ، توسعت المدينة توسعاً كبيراً .

ونتيجة لاستمرار الخطر الروماني طيلة العصر الفرثي ، برزت القبائل العربية في الحضر كقوة عسكرية أساسية يحسب لها الحساب في الدفاع والهجوم .

وقد ساعد الحضر على القيام بهذا الدور العسكري ، تمرس أهلها في شؤون الحرب ، ونزعتهم التواقة إلى الحرية والاستقلال ، ومكانتها الدينية بين القبائل العربية ، وموقعها الجغرافي المنعزل ، الذي جعلها أقل عرضة لهجمات الأعداء ، وأكسبها أهمية خاصة للسيطرة على طرق الاقتراب من العاصمة

الكبرى (طيسفون) تلك الطرق التي كانت بمحاذاة نهري دجلة والفرات .

جـ ـ **العامل التجاري** : كانت الحضر تسيطر على طرق القوافل المتنقلة في بادية جزيرة العراق ، إذ كانت السفن تأتي من **الهند والصين** إلى الموانئ الواقعة في أعالي الخليج العربي محملة بالحرير والتوابل والأخشاب والعطور والأحجار الكريمة ، وتؤوب إلى بلادها محملة بمنتوجات الشرق القديم وأوروبا من ملابس صوفية وتحف عاجية ومعادن . ويبدو أن السفن المحملة بسلع الهند والصين تعودت ـ في العصر الساساني ـ الإبحار حول الجزيرة العربية ، لتصل إلى المدن الواقعة في أعالي البحر الأحمر ، فضعفت حركة القوافل على الطرق العابرة للوادي ، فأثر ذلك كثيراً على المدن الصحراوية ، ومنها (الحضر) على وجه الخصوص .

ونتيجة لحركة التبادل التجاري النشيطة ، فقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في الحضر ، وتجمعت فيها صنوف النفائس والطرف مما جعل الحياة فيها هانئة لينة . . . ثم أخذت الحضر بالتوسع مع الزمن حتى أصبحت سوقاً واسعاً ومركزاً تجارياً عظيماً تنقل إليها البضائع من أنحاء العالم لتباع فيها .

(٢) دور السادة : انتهى دور التكوين في نحو منتصف القرن الأول للميلاد بظهور **حكم (السادة)** . واستمر هذا الدور ما يقرب من القرن . وقد تعاقب على الزعامة فيه أشخاص يلقبون بـ **(مريا)** أي (السيد) .

ومن المحتمل أن أولئك السادة كانوا من عائلة واحدة ، وكانت الحضر في زمنهم تقوم في تصريف شؤونها بنفسها دون وصاية من أحد .

ومن الأحداث البارزة في هذا الدور ، محاولة **(دومتيان ٨١ ـ ٩٦ م) إمبراطور روما** ، عبور الفرات للسيطرة على العراق . . إلا أنها لم تفلح . وتبلورت في إبان تلك الغمرة ، فكرة تحصين الحضر للدفاع عن العاصمة (طيسفون) وتطويرها إلى قاعدة عسكرية متقدمة تحتد فيها القبائل العربية لصد الرومان ومنعهم من عبور الفرات .

وبعد أن تمكن **(تراجان) إمبراطور الرومان** من عبور الفرات ثانية في شتاء عام ١١٥ ـ ١١٦ م ، خضعت الحضر للحكم الروماني . إلا أن هذا النصر الخاطف لم يدم لروما طويلاً ، فقد أعلنت الحضر مع عدد من المدن والأقاليم العصيان . ولما سمع (تراجان) بذلك ـ وكان في مدينة بابل ـ لزيارة المكان الذي مات فيه الإسكندر ، بعث بجنوده في الحال لقمع تلك الثورات ، وسار بنفسه إلى الحضر وشدد عليها الحصار . بيد أن مساعيه لاقتحام أسوارها باءت بالفشل ، فانكفأ عنها منسحباً إلى أنطاكية في سورية ، حيث مات بعد ذلك بقليل في عام ١١٧ م ، ثم ماتت معه أحلامه . لأنه كان يطمح إلى تحقيق المزيد من الفتوحات ، وأن يكمل ما بدأه الإسكندر المقدوني من قبله .

ويرجح أن **(نصرو مريا)** (السيد) ، أحد أفراد العائلة التي ظهر منها ملوك الحضر فيما بعد ، هو الذي قاد المعركة الدفاعية عن الحضر ضد هجوم (تراجان) الروماني ، فبدد أحلامه ، وعاشت الحضر بعد هذا النصر اللامع فترة سلم واستقرار .

(٣) دور الملوك : بدأ هذا الدور بعد منتصف القرن الثاني للميلاد بقليل ، وانتهى بسقوط الحضر في عام ٢٤٠ م ، أو ٢٤١ م . **ومن المحتمل ان (ولجش) كان أول من نصب نفسه ملكاً على الحضر . واتخذ له لقب (ملك العرب)** .

وهذا يعني أن الحضر بلغت شأواً من المنعة والشهرة والنفوذ ، بحيث أصبحت أهلاً لتكون مملكة مستقلة للعرب في بادية شمالي العراق .

وفي هذا الدور توسع نفوذ الحضر حتى بلغ **(نهر الخابور)** . ويؤكد ذلك شاهد شعري للشاعر العربي الجاهلي **(عدي بن زيد)** من قصيدة كتبها إلى **(النعمان بن المنذر)** جاء فيها :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ
دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً
فللطير في ذراه وكور

ومن الملوك الذين لقبوا أنفسهم بملك العرب : (سنطروق الأول) ، وربما يعني هذا أن نفوذه قد امتد بعيداً في الجزيرة ، وساعده على ذلك السلام والاستقرار اللذان سادا بلدان الشرق في زمنه ، واستمرا مدة ناهزت الثلاثين عاماً .

وفي عهد ملك العرب (عبد سميا) حاول **(سفيروس) إمبراطور الرومان** ان يغزو الحضر سنة ١٩٨ م ، مرتين ، وقد حاصرها لمدة عشرين يوماً ، وأحدثت جيوشه ثغرة في أسوارها ، بيد أنه لم يستثمر الفوز ، فتمكن الحضريون أن يسدوا الثغرة ليلاً . وتمرد الأوروبيون من جنود (سفيروس) لعدم السماح لهم بدخول المدينة ، إذ كان يطمع بالاستحواذ على الكنوز التي اشتهر بها المعبد الكبير والتي تكون من نصيبه إذا كان في مقدمة المقتحمين . فاضطر أن يستخدم جنوده السوريين لاقتحام

★ سنطروق الأول ★

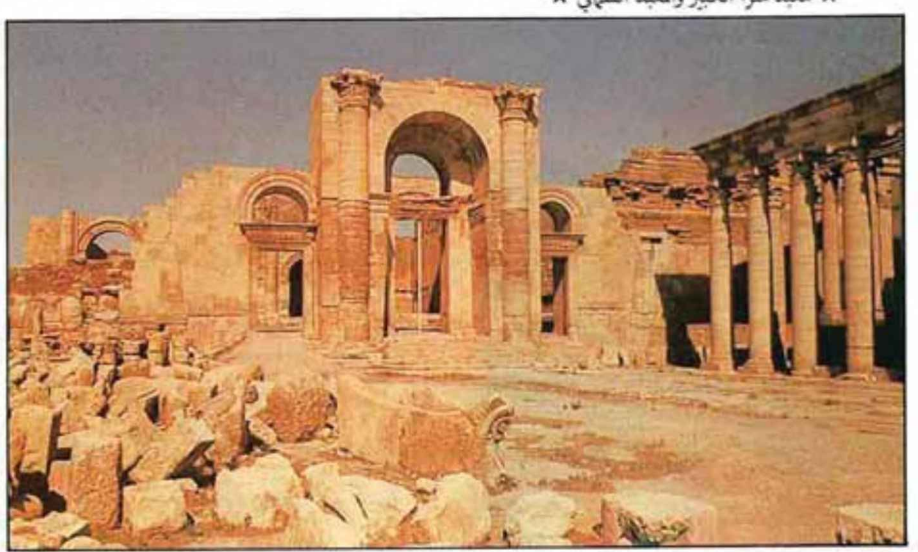


★ معبد مثرا الكبير والمعبد الشمالي ★

الأسوار، إلا أنهم دحروا ولقي معظمهم مصرعهم بقذائف (النار الحضرية) التي اشتهرت بها الحضر وعرفت باسمها.

ومع أن هذه الحملة لم تحقق أهدافها المرسومة، إلا أنها تركت الدمار والخراب في العراق وأوهنت كثيراً الحكم الفرثي في طيسفون (المدائن).

ولما ذاع صيت الحضر وصمودها الرائع، اعتلى عرشها (**سنطروق الثاني**) بعد (عبد سميا)، وامتد نفوذ المملكة بعيداً إلى الخابور وعبر الفرات، مما حدا بسنطروق الثاني، إلى أن يلقب نفسه بـ (**المظفر ملك البلاد العربية**).



★ البوابة الشمالية لمدينة الحضر ★

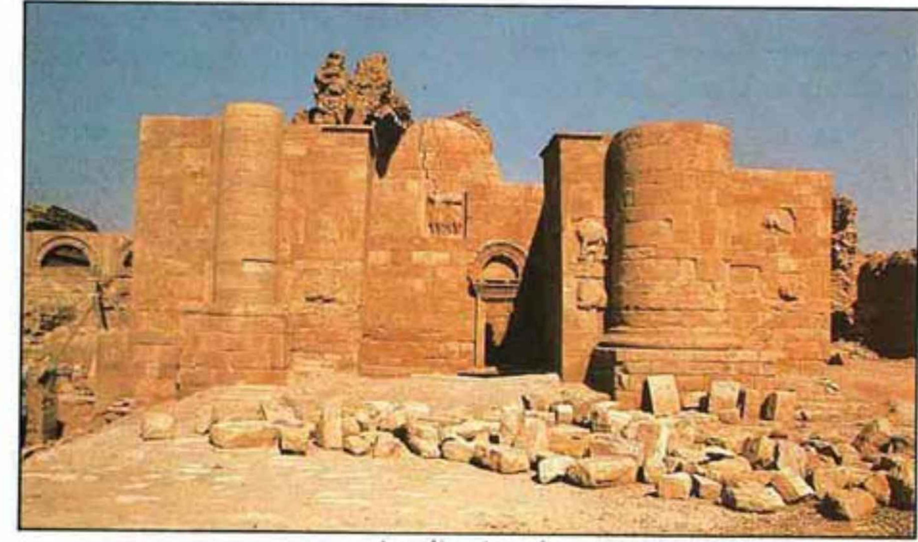
ويبدو أن (سنطروق) الثاني اتخذ هذا اللقب، لأنه تولى بنفسه الدفاع عن الحضر في زمن أبيه، الذي يحتمل أنه كان طاعناً في السن. وصارت الحضر تتصل بمن تشاء وتحالف من تشاء، ولها استقلالها وسيادتها الكاملة.

الحضر والساسانيون

وفي سنة ٢٢٠ م، تقدم (**أردشير**) حفيد (ساسان) حاكم إقليم (فارس) في جنوبي إيران نحو العراق، بعد أن تحالف مع (**الميديين**) وحكام (**حدياب**) ومع (**دومتيان**) ملك (**كركوك**)، فتمكن من السيطرة على العراق وتوج نفسه ملكاً في (طيسفون)، فأسدل الستار على الإمبراطورية الفرثية إلى الأبد.

بيد أن (الحضر) وأقاليم أخرى لم تعترف لأردشير بالولاء، فتحالفت مع الرومان الذين

★ واجهة مرن بعد الصيانة ★



★ من المباني الأثرية ★

كانت جيوشهم قريبة من الحضر، تقيم في **مدينة (سنجار)**.

ونتيجة لذلك التحالف، أقامت الحضر حامية رومانية في عهد (إسكندر سفيروس) منذ عام ٢٣٥ م، تقريباً. وكان الحضريون ينعمون بالعيش الرغيد في ظل الرومان.

بيد أن الحضر لم تلبث أن دخلت في المحنة من جديد، فقد حاصرها **الملك الساساني (شابور الأول)** لسنة كاملة (من ١٢ نيسان (أبريل) عام ٢٤٠ م، إلى الأول من نيسان (أبريل) عام ٢٤١ م)، فاضطرت إلى الاستسلام بعد أن فقدت في النهاية أية قدرة على الصمود، فدخلها (شابور) ظافراً، فأسر أبناءها، وأخذ كل ما فيها من غالٍ ونفيس، ودخلت بعد ذلك الحضر في دائرة النسيان.

فقد هُجرت المدينة عندما ظهرت **(الزرادشتية)** كعقيدة رسمية لجميع الشعوب التي كان الساسانيون يهيمنون عليها، ولتغلغل الديانة المسيحية فيما بعد إلى وادي الرافدين من الغرب.

وبعد هذا التطور، لم تبق للحضر تلك الأهمية الاستراتيجية، للتبدل الحاصل في الحدود بين الإمبراطوريتين العظميين في هاتيك العصور، ولضعف الرومان بانتقال مركز الحكومة من (روما) إلى **(بيزنطة)**، تلك التبدلات التي أوهنت نفوس الرومان، وأفقدتهم الشيء الكثير من مجدهم العسكري، ولا سيما بعد تلك الخسائر الفادحة التي تكبدها الجيش الروماني ومعهم إمبراطورهم **(فاليران)**



الذي وقع أسيراً بيد (سابور الأول) الساساني عام ٢٦٢م.

وكان لظهور (الحيرة) الواقعة بالقرب من مدينة (النجف) العراقية، كقاعدة جديدة للقبائل العربية، دوراً هاماً في إضعاف المقومات لوجود (الحضر)، فقد وجه ملوك العرب **المناذرة** - من الحيرة - شؤون جميع القبائل العربية، من أعالي العراق إلى (نجران) المتاخمة لبلاد اليمن. وهكذا كتب على (الحضر) أن تختفي من مسرح التاريخ.

سكان الحضر القدماء

●● **الآراميون**: كان الآراميون عنصراً مهماً متنفذاً من سكان (الحضر)، وقد أثروا كثيراً في اللغة والكتابة والمعتقد والفنون والأسماء العلمية، وكانت **اللغة الآرامية** قد انتشرت قبل زمن الحضريين بقرون بين الآشوريين والبابليين وأزاحت اللغات الدارجة في العراق من أمامها.

●● **العرب**: ذكر **المؤرخ الروماني (بليني)** في تأريخه الذي وضعه في عام ٧٨م، أسماء قبائل عربية، كانت تقطن إقليم (عربايا) - أي بلاد مملكة الحضر - وأشهرها: (**أورى**) التي كانت أوسع القبائل انتشاراً، تحتل أعلى الجزيرة من الفرات إلى دجلة، و (**الدمانوس**) التي كانت تسكن على شواطئ الفرات الأوسط، و (**سلماتي**)، و (**ماسي**) الساكنتان على نهر (**بلوكتا**) الذي يظن أنه (**الثرثار**)، (وهو نهر مندثر سابقاً وبحيرة حالياً لاستيعاب مياه فيضان دجلة).

غير أن هذه الأسماء لم ترد حتى الآن في الكتابات المكتشفة في الحضر، فإن هذه الكتابات تذكر أسماء قبائل أخرى مثل **بني تيماء** الذي يظن أنهم جاءوا من **مدينة تيماء** في أعالي الجزيرة العربية، **وبني بلعقب، وبني عصيليا، وبني رفشمش، وبني أقلة** وأسماء بيوتات مثل: **بيت عقوبا وبيت رفشا**.

وقال **المؤرخ الروماني (ديوكاسيوس)** في معرض كلامه عن حصار (**سبتيموس سويروس**) للحضر إنها كانت دولة عربية، يضاف إلى ذلك أن ملوك الحضر، لقبوا أنفسهم في كتاباتهم بملوك العرب.

وقيل إن الحضر كانت عاصمة دولة (الضجاعم القضاعية العربية)، والله أعلم.

●● **جاليات أخرى**: وكانت في الحضر جاليات، من اليونان والرومان والماديين والفرثيين والأنباط والسريان، وأغراب من قوميات أخرى، شأنها في ذلك شأن أي مدينة كبيرة، غير أن هذه الجاليات كانت محدودة العدد، والكثير منها لم تكن تقيم فيها دائماً، كما أنها انصهرت في بوتقة ثقافة الحضر السائدة.

الاسم.. والمسمى

●● **حطرا**: وهو مشتق من الآرامية (حطرا). وقد ورد اللفظ في بعض الكتابات على الحجر، وعلى بعض المسكوكات المضروبة في الحضر باسم (**حطرا دي شمش**) أي الحضر مدينة الشمس.

●● **الحضر**: ولا يعرف الأصل الآرامي في تسمية (الحضر)، إلا أن البعض يعتقد أنها تعني مكان التحضر والسكن بما يطابق المعنى، باللغة العربية، إلا أنه من المحتمل أن يكون اسم موضع بهذا اللفظ في الأزمنة الآشورية.

التخطيط.. والمباني

مدينة الحضر مدورة الشكل تقريباً، يحيط بها خندق عميق محكم الجوانب، وسور مدعم بـ (١٦٣) برجاً، وبعدد من القلاع، ويتكون هذا السور من جدارين، عرض كل واحد منها ٣م، و ٢,٥م، والمسافة بينهما ١٢م، عند البوابة الشمالية.

وأنت على مشارف المدينة ترى سداً ترابياً بشكل طوقاً يحيط بها قطره نحو ٣ كم، ولا يعرف إن كان هذا السد خارجياً أم حلقة أحكم بها العدو حصاره للمدينة.

أما دخولك إلى المدينة، فيتم عبر مدخل يؤدي إلى **حارة المقابر الشرقية البرجية** المبنية بالحجارة التي تسقف ردهاتها الأقبية بما يدل على خبرة العرب بالبناء (بالعقادة).

وبعد اجتيازك هذه المنطقة تأتي إلى بناء مستطيل هو **المعبد الكبير** بمساحته الضخمة (٤٣٧,٥م × ٣٢٢,٥م)، وعند عبورك إحدى بواباته الشرقية، تكون في ساحة رحبة تحتل ثلاثة أرباع مساحة البناء. ويفصل الساحة عن حارة بيوت العبادة جدار حاجز تخترقه مجموعتان من البوابات الثلاثية، وأمام الجدار الحاجز تشاهد معبداً قوامه غرفة مقامة على مصطبة حولها صفان من الأعمدة، وإلى يمينه ترى معبداً يتألف من ثلاثة أواوين، أوسطها أكبر من الجانبين، قوامه إيوان كبير أوسط إقامة الملك (سنطروق الأول)، وقد وجد فيه الآشوريون إفريزاً يحكي قصة دينية، تعد من أجمل ما كشف عنه التنقيب حتى الآن.

وبعد اجتيازك إحدى بوابات المجموعة الجنوبية - بيسار **معبد الأعمدة** - تأتي مجموعة من الأواوين تدل على ما بذله المعماريون العرب من همة في تشييد مدينة الحضر.

أما الأواوين الشرقية التي تواجهك، فقوامها ثمانية، ستة منها مرتبة بمجموعتين، شمالية وجنوبية تشكل كل ثلاثة منها مجموعة، ويكون أوسطها هو الأكبر، وخلف وفوق جناح الإيوانين الصغيرين غرف لحاجيات المعبد ورجال الدين. وترى إلى يمينك معبداً تخلو واجهته من الزخرفة هو **معبد (شحيرو)** أو (نجمة الصباح) وأمامه معبد بثلاثة أواوين يطلق عليه **معبد (الراية)**.

وعند دخولك الإيوان الكبير في المجموعة الجنوبية، تأتي إلى فسحة مساحتها (٣٠ × ١٥م) مرصوفة بالمرمر المعرق. أما الجدران فتزينها الزخارف الهندسية والنسور التي هي العنصر الرئيسي في عبادة الحضريين.

ولو نظرت إلى يسارك فوق إفريز زخرفي،

لشاهدت كتابة عربية تعود إلى النصف الثاني من **العصر العباسي** لسلالة حكمت الموصل آنذاك . وفي الجدار النهائي للإيوان ، الذي يواجهك عند الدخول ، يوجد باب يقودك إلى داخل **معبد الحضر المربع (معبد الشمس)** بغرفته المربعة والممر المسقف الذي يدور حوله .

أما **الإيوان الكبير** في المجموعة الشمالية فيماثل الإيوان الكبير في المجموعة الجنوبية بصورة عامة . وعندما تغادر الأواوين الشرقية ، لتتجه صوب الجنوب ، يواجهك معبد بثلاثة أواوين أيضاً ، أمامه حفرة كبيرة لا يعرف الغرض من عملها ، ويحتمل أنها كانت بحيرة صناعية .

وفي خلال تجوالك بأجزاء مدينة الحضر ، يمكنك مشاهدة قصر كبير أمام البوابة المكتشفة ، ويمثل **البوابة الشرقية** التي تحاذي الشارع العام المؤدي للفضاء . كما تشاهد أكثر من عشرة معابد صغيرة منتشرة في مناطق عديدة من المدينة زودت بكتابات وتماثيل عديدة .

لقد أدرك الحضريون بتخطيط مدينتهم بهذا الأسلوب جملة أمور مهمة منها :

١ ــ أن **السور** الدائري يعني أكبر مساحة في أقصر خط .

٢ ــ أن **الأبراج** التي تكون على السور الدائري أصلح للدفاع ، لأن مدى الرؤية من المزاغل أو الشرفات التي على تلك الأبراج تكون بزاوية منفرجة واسعة .

٣ ــ جعلوا **البوابات** مزورّة نحو يمين الداخل لصعوبة اقتحامها عند الحصار .

٤ ــ جعلوا المعبد الكبير مركزاً للشكل الدائري ، لأن ذلك المعبد كان أيضاً مقراً لندواتهم واجتماعاتهم ، فيسهل عليهم إدارة الدفاع عن المدينة ــ وهم في المركز ــ أين كان الهجوم عليها .

ويبدو أن أثر الحضر المعماري بقي إلى ما بعد الإسلام ، فقد بنى الخليفة العباسي **(أبو جعفر المنصور)** مدينته المدورة (بغداد) على نمط الحضر في ازدواج أسوارها وازورار بواباتها والخندق المحيط بها ، وأن المسجد الجامع وقصره كانا في وسط الدائرة تماماً ، ليكونا على مسافة متساوية من جميع أطرافها ، كما هو شأن المعبد الكبير في الحضر ، الذي كان بالإضافة إلى واجباته الدينية ، منتدى المدينة ومجمع ذوي الرأي والشورى ، ومركزاً للقيادة في الحضر .

الحضر اليوم

أخذت الحضر تستعيد في عصرنا هذا شهرتها القديمة ، من خلال الأعمال والتنقيبات الواسعة والمستمرة التي تقوم بها **المؤسسة العامة للآثار والتراث العراقية** منذ عام ١٩٥١ م .

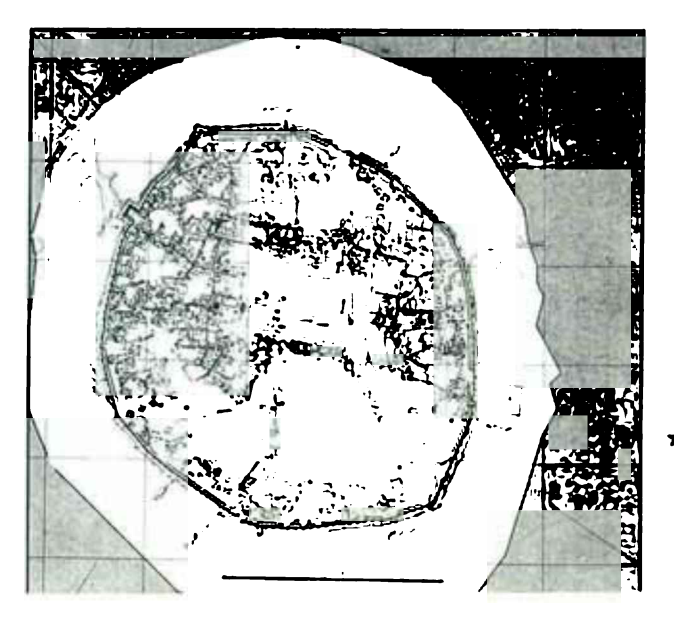
وبعد أن رممت معالمها وأجريت الصيانة على مبانيها ، أصبحت الحضر عنصر جذب لروّاد الآثار من مواطنين وسياح ، يجذبهم إليها سحر موقعها في وسط البادية ، بعيداً عن صخب المدينة الحديثة ، وتعقيدات الحضارة المعاصرة .

وبسبب من شهرة الحضر العالمية والمحلية ، بدأ الناس يسكنوها من جديد منذ عام ١٩٤٦ م ، فتوسعت بمرور الأيام إلى أن أصبحت مركزاً لقضاء باسم (الحضر) يتبع لمحافظة (نينوى) فشيدت فيه حديثاً أبنية إدارية ومدرسة وجامع ومستوصف وفندق سياحي كبير ، ودار استراحة قريب من أبنية الحضر الفخمة والتاريخية ، ويحتوي الدار المذكور على عشرين غرفة للنوم ذات سريرين ، وصالة للاستراحة ، وصالتين للطعام ، تتوافر فيها كافة مستلزمات الإقامة المريحة للنزلاء ، إضافة إلى وجبات الطعام التي يقدمها المطعم إلى الزائرين لتلك المنطقة الأثرية العريقة .

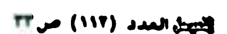
وهكذا بدأت الحياة تدب ثانية في أرض الحضر العربية من جديد ، بعد أن زالت دولة الحضر وأفل نجمها أزماناً طويلة . والتنقيب ما يزال مستمراً في الحضر ، وقد يكشف لنا عن كثير مما يغمض علينا من شأن هذه الحاضرة العربية ، وإن كنا لا نستهين بالمعلومات الوثيقة التي وصلت عنها حتى الآن .

الخاتمة

نستخلص مما تقدم ، أن الحضر من المدن العربية الخالدة في التاريخ ، وقد بلغت أوج مجدها في القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، حيث كانت حاضرة لجزيرة العراق ، يقصدها كل ذي مأرب ، وتنهال إليها الثروات من كل أوب ، وقد تمكنت الحضر من أن تدخل التاريخ بكونها المدينة الوحيدة التي استطاعت أن تتحدى أطماع الرومان والفرس وأن تصمد أمام محاولاتهم العديدة للاستيلاء عليها ، والنيل من سيادتها وعزتها .

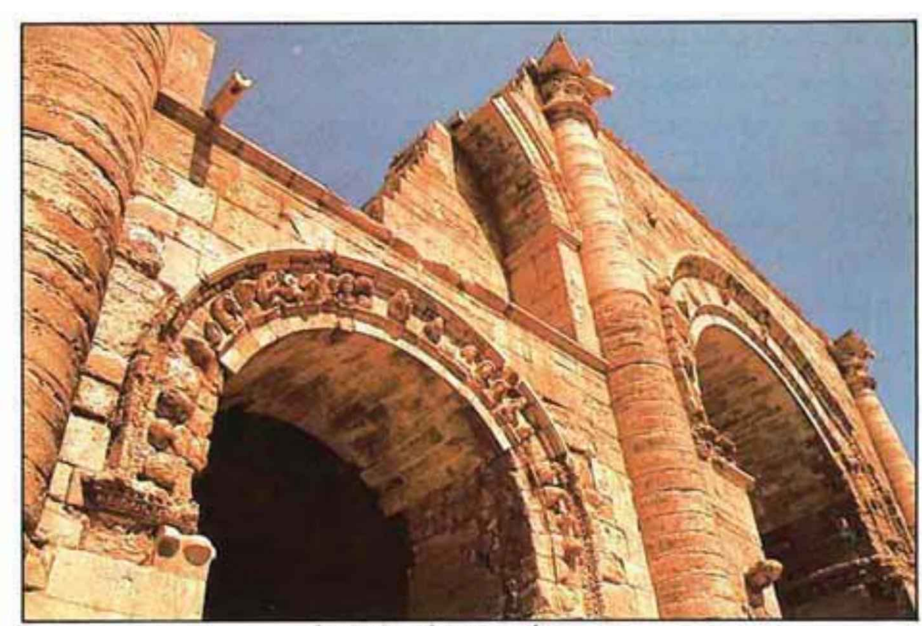


★ مخطط مدينة الحضر المدورة



لقد كان لمدينة الحضر دورها الكبير في دفع عجلة الحضارة على طريق التطور ، في عصر التحمت فيه على مسرح التاريخ — في أقطار جنوب غربي آسيا — حضارات متباينة ، من عربية وآرامية وآشورية وفرعونية ويونانية ورومانية ، فانتقت الحضر من ذلك الخضم الحضاري ما راق لها ، ووافق مزاجها ، فصاغت فنونها وصناعاتها بما ينسجم وشخصيتها ، وجسمت معتقداتها وآراءها على الحجر في النحت والبناء ، بفكر وقّاد متفتح متطلع ، وبروح صافية مستقرة تعتد بذاتها ، وتشعر بأن فضاء البادية التي تعيش فيه لا حدود له ولا سلطان للغريب عليه .

ولما تبدلت الأحوال غير الأحوال ، في بلدان الشرق القديم ، في منتصف القرن الثالث للميلاد ، كبت الحضر كبوتها الكبرى ، ونامت نومتها الطويلة ، وانتهى لذلك دورها الريادي والحضاري ، وطواها النسيان . . إلى أن جاء النصف الأول من هذا القرن ، فأزاح الغبار عن أبنيتها وبدأت تنهض رويداً رويداً ، وتنزلها القبائل العربية — وسائرها من شمّر — لتستقر فيها ، معتمدة على مياه الأمطار . . وإذا كان لنا من كلمة أخيرة عن الحضر العربية ، فإنها باختصار (متحف لمدينة نموذجي في وسط الصحراء) .

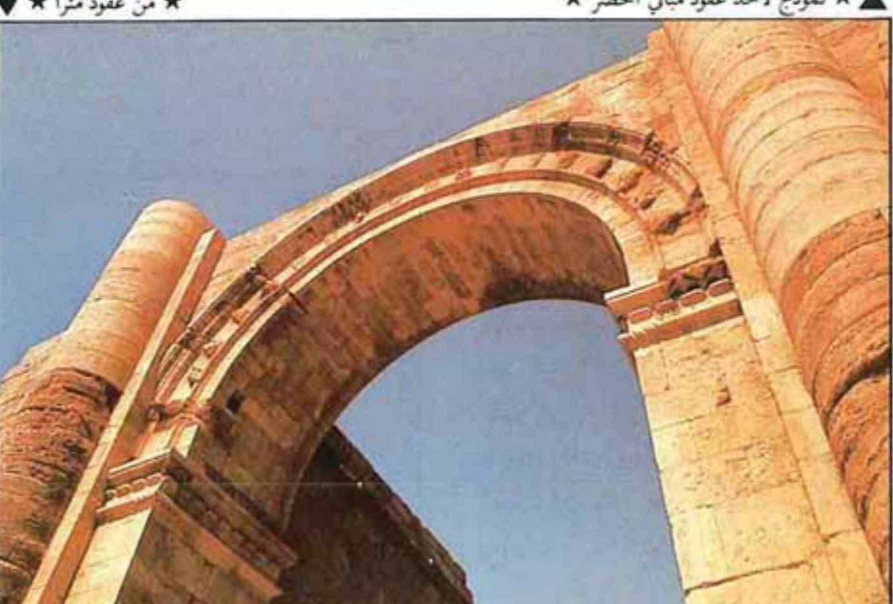


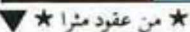
★ من عقود الحضر الشمالية ★



▲ ★ نموذج لأحد عقود مباني الحضر ★

★ من عقود مترا ★ ▼





١ — فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : الحضر مدينة الشمس ، وزارة الإعلام ، مديرية الآثار العامة — بغداد ١٩٧٤ م .

٢ — الحضر المدينة التي تطلسمت بألا تفتح ولا تهدم أسوارها إلا بدم حامة ورقاء ، مجلة (آفاق عربية) ، العدد الأول ، السنة الأولى — بغداد ١٩٧٥ م . (كاتب الموضوع مجهول) .

٣ — المؤسسة العامة للسياحة : العراق ، دليل سياحي — بغداد ١٩٨٢ م .

٤ — ماجد عبد الله الشمس : الحضر ، مطبعة شفيق — بغداد ١٩٦٨ م .

٥ — شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، وزارة الثقافة والإعلام . السلسلة الفنية (٤٩) — بغداد ١٩٨٢ م .

٦ — يوسف عطار باشي : الحضر (موضوع منشور في أحد أعداد (المجلة العسكرية) العراقية في الخمسينات) — بغداد .



الراحمون يرحمهم الرحمن

شعر: فؤاد شاكر

مشت وهي في أسمالها تتعثرُ — فتاة عليها عفة الطهر مئزرُ

تسائلني: في ذلة وتفجع — ومدمعها من قلبها يتفجَّر

ومن حولها، طفل، وأم، وطفلةٌ — وشيخ، على أعطافه يتكسر

إذا سترت وجهاً حيياً ببرقع — تبدى به الفقر الذي ليس يستر

تقول: أهذا عمرك الله ما ترى — من العري يكسونا فهل أنت مبصر؟

أجدك ما بال القلوب تحجرت — وما كان عهدي أنها تتحجر؟!

فأين سراة القوم من كل سيد — يشار إليه بالبنان ويكبر؟!

أتبصر جسماً، رق عنه نحوله — ودق عن الرؤيا فما ثم ينظر

فمن عورة كادت ترى تحت طمرة — ومن سوأة كادت من العري تظهر

يراوحها قر الشتاء ببرده — ويلفحها حر الهجير ويصهر

فقلت وقلبي كاد بين ضلوعه — رثاء وإشفاقاً لها، يتفطر

لك الله، إن الله أكرم راحم — يوفق من للخير منا ميسر

وما الفقر عار للفقير وإنما — على شعبه الوزر الذي ليس يغفر

على الشعب عار أن يرى فيه بائس — يجوس خلال الليل، يطوي وينشر

على الشعب لوم، أن يرى فيه أرمل — وأم وأيتام، بهم، تتعثر

على الشعب موت أن يرى فيه جاهل — من الرأي والعرفان والعلم، مقفر

فيا أيها الشعب الذي أنت سامع — تأوه أفلاذ به تتسعر

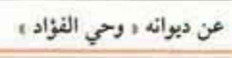
أيرضيك أن تمسي وشطرك طاعم — قرير، وشطر آخر يتضور

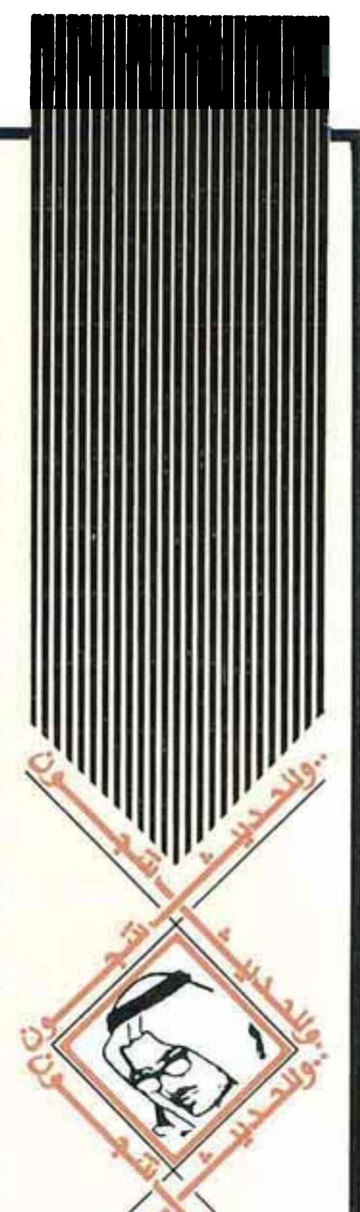
فإن كنت ترضى: فالحياة رخيصة — وإن كنت لا ترضى فما أنت معذر!!

فيا شيعة الخير العميم وأهله — لأنتم بحق الله أولى وأجدر

ألستم بني القوم الألى كان فضلهم — له المثل العليا، شعار ومظهر

عن ديوانه «وحي الفؤاد»





أبـــو الأســود الــدؤلــي؟

أبو الأسود الدؤلي أو الديلي ، شخصية تاريخية مثيرة حقاً .. تدعو إلى العَجب .. لتعدد جوانب العظمة فيها .. أو كما قال البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، في كتابه (خزانة الأدب) ١/ ٢٨١ ، رواية عن الجاحظ: «أبو الأسود الديلي ، معدود في طبقات من الناس ، وهو فيها مقدم ، ومأثور عنه الفضل في جميعها ، كان معدوداً في التابعين ، والفقهاء ، والمحدثين ، والشعراء ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضرين الجواب ، والشيعة ، والبخلاء ، والصلع الأشراف ، والبخلاء الأشراف» .

هكذا نجد الجاحظ يعجب بشخصية أبي الأسود ، ويصنفه في عدة طبقات ، مما يدل على تعدد ميزاته ، وأوجه فضله .

ولا مراء في هذا لمن عرف مكانة هذا الرجل .. خاصة وأنه قد وجد من عني بالتنويه بهذه المكانة ، إذ قد ألفت عنه كتب قائمة بذاتها ، ذكر طرفاً منها الزركلي في (الأعلام) ، إلى ما جاء عنه في المؤلفات التي تحدثت عن تاريخ النحو ونشأته .. إذ تشيد بفضله على هذا العلم .. فهو إن لم يكن مخترعه .. فإنه واضع خططه وأسسه وقواعده الأولى .

نجد ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ، يذكره في طبقاته ، تحت باب التابعين من الطبقة الأولى من الفقهاء والمحدثين من أهل البصرة ، من أصحاب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فيذكر اسمه وهو (ظالم بن عمرو) ذاكراً نسبه إلى (كنانة) ، ويقول عنه : كان شاعراً متشيعاً ثقة ، استخلفه عبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ على البصرة لمَّا خرج منها ، وأقره علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عليها .. فهو إذن شاعر وأمير .. وهذا ما عناه الجاحظ حينما وضعه في طبقة الشعراء ، وفي طبقة الأمراء ..

أما شعره فتروي كتب الأدب قطعاً منه ، بل له ديوان صغير مطبوع ..

أما تشيعه ، فإن من الواضح أنه المقصود به ، هو انضمامه إلى أصحاب الإمام علي في الفتنة ، وليس المقصود التشيع المذهبي ، كما يدل على ذلك المصطلح الحالي متى أطلق .. ومن المعروف في تاريخه ، أنه بعد مقتل الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ قصد معاوية فبالغ في إكرامه .. وعرف له مكانته .

والموهبة الأدبية عند أبي الأسود لا تقتصر على الشعر ، فقد كان كاتباً أيضاً ، كتب لعبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ ، حينما كان والياً على البصرة .

وأبو الأسود شاعر حكيم ، يصوغ تجاربه الحياتية نصائح وحكماً ليستفيد منها الآخرون .

فهو حينما يفشي أحد أصدقائه سره .. يصوغ قصته شعراً ، ليخرج منها إلى الحكمة التي يريد أن يهديها للناس :

وكنت إذا ضيعت سرك لم تجد	سواك له إلا أشت وأضيعا

أو يقول :

وكنت متى لم ترع سرك تنتشز	قوارعه من مخطئٍ ومصيب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه	وما كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد	فحق له من واحد بنصيب

وهو الذي يقول ينصح ابنه أبا حرب :

وما طلب المعيشة بالتمني	ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها يوماً ويوماً	تجيء بحمأة وقليل ماء

والبيت الأول يذكرنا بقول شوقي :

وما نيل المطالب بالتمني	ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ولكننا لا نجد في شعر أبي الأسود ، أو على الأقل في النماذج المتاحة ، تلك الطلاوة التي نجدها في شعر شوقي ، فإن أبا الأسود ميّال إلى صوغ حكمه في أسلوب مباشر ، بعيداً عن التطرية اللفظية .

وأبو الأسود هو صاحب البيت المشهور :

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة

وقد دخل الهجاء في قاموس أبي الأسود الدؤلي ، وبيته في هجاء عدي بن حاتم السنّي من شواهد النحو :

جزى ربه عني عدي بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ورُمي أبو الأسود بالبخل .. وسلكه الجاحظ في كتابه عن البخلاء ، وروى بعض نوادره في بخله . ويدل بعض هذه النوادر على حضور بداهته ، وميله للنكتة .. فقد روى الجاحظ في البخلاء ، أن اعرابياً أكل معه فرأى له لقماً منكراً ، وهاله ما يصنع فقال له : ما اسمك؟ قال : لقمان . قال أبو الأسود : صدق أهلك أنت لقمان!

ومما يروي له الجاحظ أيضاً في (البخلاء) قوله : «ليس من العز أن تتعرض للذل ، ولا من الكرم ان تستدعي اللؤم ، ومن اخرج ماله من يده افتقر ، ومن افتقر فلا بد له من أن يضرع ، والضرع لؤم ..» .

وبعض ما يروى عنه من القصص كشواهد على بخله ، لا يدل على ذلك ، فقد رُوي -مثلاً- انه سمع رجلاً يقول : من يعشي الجائع؟ فعشاه ، فلما ذهب ليخرج قال : هيهات! تخرج فتؤذي غيري من المسلمين كما آذيتني!! ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح ..

وواضح من القصة ، أن أبا الأسود فعل ذلك ، وهو أمير على البصرة ، أو على قضائها له من السلطة ما يملك معه أن يضع الأرجل في الأدهم (أي القيد) ، وأنه فعله من باب ما نسميه اليوم مكافحة التسول .. أما وقد (عشّى) الرجل ، فهذا لا يدل على بخله .. أو على الأقل لا يدل على شح شديد يصل حد التشنيع عليه .. ولعله كان صاحب رأي في الاقتصاد لا يسلكه في عداد البخلاء الذين يصح أن يضرب بهم المثل .

ويروى من حضور بديهته ، أنه عندما قيل عنه : أبو الأسود أظرف الناس لولا بخل فيه . قال : لا خير في ظرف لا يمسك ما فيه .

وقد نفى ابن حجر في الإصابة الرواية التي تقول إن أبا الأسود شهد بدراً .. وعده من كبار التابعين ، وليس من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومصداقاً لما قاله الجاحظ عن تعدد ميزاته فإنا نجد ترجمته في طبقات النحويين كما في « إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي ، وفي طبقات الشعراء ، كما في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (الترجمة ١٦٩) ، وقد عده في الشعراء ، = والتابعين ، والمحدثين ، والبخلاء ، والمفاليج ، والنحويين والعُرج .. وها نحن نجد ابن قتيبة هنا يذكره في العرج والمفاليج .. كما ذكره ابن خلكان : أحول دميماً قبيح المنظر .

وقد عده ابن الجوزي في طبقات القراء ، وعده ياقوت في الأدباء ، فترجم له في (معجم الأدباء) ، وترجمته فيه أدخل في باب الشعراء .. منها في باب الأدباء .

وبعد ، فهذا طرف من حديث أبي الأسود ، وهو حديث يطول لمن يستقصيه .. وقد ترجم له الزركلي في (الأعلام) وعدد مصادره في الهامش ، كما ذكر الكثير من مصادر ترجمته أيضاً الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم في هامش إنباه الرواة ١٣/١ لمن شاء أن يتوسع في الاطلاع .

العلاقات الوثيقة بين

لقد حرصت إسرائيل منذ قيامها ، بالاتفاق مع حكومة جنوب إفريقيا العنصرية على كتمان معظم أسرار العلاقات القائمة بين البلدين ، وذلك إلى يومنا هذا ، وخاصة في ميادين صناعة الأسلحة ، والتعاون النووي ، وتدريب المرتزقة ، وتأهيل الخبراء الفنيين والعسكريين ، وحبك المؤامرات ضد الأنظمة الوطنية في القارة الإفريقية ، خاصة وما يسمى بالعالم الثالث عامة .

ومن الجدير بالذكر أن يهود جنوب إفريقيا الذين بلغ عددهم عام ١٩٨٤ م ، حوالي (١١٨) ألفاً ، كانوا يدعمون الكيان الصهيوني منذ بداية تأسيسه دعماً مادياً ، ويتعاطفون معه معنوياً ، وبشكل ملفت للنظر ، وصل إلى أن حجم مساعداتهم المادية هذه تصنف بالدرجة الثانية بعد الولايات المتحدة الأميريكية ، ويبلغ حجمها ثلاثة أضعاف فيما لو قسمت على الشخص الواحد ، مقارنة بحجم المساعدات المالية الدولية التي يقدمها صهاينة العالم لحكومات العدو الإسرائيلي .

تبادل المنافع

هذا ، وإن حركة الهجرة النشطة بين البلدين مستمرة وقوية . ويقدر عدد الصهاينة من الإسرائيليين الذين يعيشون تحت ظل نظام جنوب إفريقيا العنصري حالياً بـ **٢٥ ألفاً** . ويعد هذا العدد أكبر تجمع دولي للإسرائيليين خارج فلسطين المحتلة .

ويوجد الإسرائيليون في جنوب إفريقيا من أجل تنفيذ عقود عمل معينة ، وخاصة في مجال الطاقة النووية وغيرها ، وصناعة الأسلحة ، وتدريب مرتزقة النظام . مقابل ذلك يعيش حالياً حوالي (٨٥٠٠) يهودي من جنوب إفريقيا في إسرائيل ، ليس فقط لتلازم أفكارهم الصهيونية مع ممارسات الكيان الصهيوني فحسب ، بل لدعم الحكومات الصهيونية المتعاقبة على الحكم في إسرائيل عن كثب ، ومساعدتها في تنفيذ عمليات التصفية الجماعية للفلسطينيين . أما الصهاينة الباقون في جنوب إفريقيا ، فهم مكلفون بتنفيذ المؤامرات السرية ضد ثوار إفريقيا ، وتصفية أعضاء منظمة تحرير ناميبيا (**سوابو**) الوطنية ، وشن الاعتداءات على ما يجاور جنوب إفريقيا من حكومات وطنية ، وذلك بتنسيق مع نظام بريتوريا العنصري ، وأجهزة (**الموساد**) الصهيونية التي تمد شبكاتها العديدة في مختلف أنحاء القارة الإفريقية ، وترفد النظام العنصري في بريتوريا بآخر المعلومات عن حركة الثوار الأفارقة .

وفي ضوء كل هذا ، يوجد تناقض حاد بين ما يدعيه صهاينة جنوب إفريقيا من تعاطفهم الشديد ، ودعمهم المزعوم للحركة المضادة للعنصرية المتزايدة الانتشار في جنوب إفريقيا ، وذلك انطلاقاً من معاناتهم السابقة تحت ظل ممارسات نظام ألمانيا الهتلرية . إن هذا الموقف السياسي يضلل الرأي العام الإفريقي ، ويتناقض كلياً مع الدعم العملي والفعلي الذي تمارسه الجالية الصهيونية تجاه النظام العنصري في بريتوريا .

الدعم المادي والبشري

ولم ينس نظام بريتوريا دعم صهاينة جنوب إفريقيا له ، حيث سارع بتقديم العون المادي والمعنوي لإسرائيل ، وذلك في حروبها الأربع التي شنتها ضد الأمة العربية . ففي عام ١٩٦٧ م ، أشرف **جون فورستر** رئيس وزراء حكومة جنوب إفريقيا آنذاك بنفسه على نقل مساعدات مادية للكيان الصهيوني قدرت بـ (٢٠,٥) مليون دولار . كما سافر مئات الصهاينة من جنوب إفريقيا إلى إسرائيل آنذاك ، للمشاركة مع القوات العسكرية الصهيونية في حربها ضد العرب . هذا ، بالإضافة إلى دعم نظام جنوب إفريقيا العسكري للكيان الصهيوني ، وتقديمه مختلف صنوف الأسلحة والعتاد والطائرات . وقد قدر حجم مساعدات صهاينة جنوب إفريقيا لكيان العدو الصهيوني آنذاك ، أي عام ١٩٧٣ م ، بحوالي (٣٠) مليون دولار إضافة إلى رحيل (١٥٠٠) جندي للمشاركة في العدوان الإسرائيلي على الأمة العربية .

إسرائيل وجنوب إفريقيا

بقلم: د. سامي الرباع

قاسم مشترك

وقد ساهم ضغط البلدان المتحررة في العالم، والحركات الوطنية المناهضة للعنصرية على المنظمات الدولية في عزل النظام الصهيوني ونظام جنوب إفريقيا العنصري، حيث أدانت الأمم المتحدة رسمياً في قراراتها «عنصرية نظام بريتوريا العنصري وإمبريالية الإسرائيليين». ورغم أن مفعول هذا القرار لم يكن له تأثير عملي كبير على صعيد دولي، إلا أنه ساهم في عزل النظامين بشكل ملحوظ. وبعد أن وجد نظام جنوب إفريقيا العنصري والكيان الصهيوني الشوفيني نفسيهما يعيشان نفس ظروف العزلة الدولية والخوف الدائم من البلدان المحيطة بهما، ساعد ذلك في إيجاد مزيد من التقارب بينهما خاصة أنهما يلاقيان الدعم المتميز من الغرب عامة والولايات المتحدة الأميركية بصورة خاصة.

تطور العلاقات

وتطورت العلاقات بين إسرائيل وجنوب إفريقيا بشكل ملحوظ عام ١٩٧٦ م، وخاصة بعد زيارة جون فورستر رئيس وزراء الحكومة في بريتوريا آنذاك، حيث التقى بكبار الشخصيات الصهيونية، والقادة العسكريين البارزين للكيان الصهيوني، وزار العديد من المواقع العسكرية والمصانع الحربية. وتركزت المباحثات بين الطرفين آنذاك حول موضوع تمويل مشروع صنع جيل جديد من الطائرات المقاتلة. وبعد هذه الزيارة تبادل الطرفان التمثيل الدبلوماسي على مستوى السفراء. ومنذ ذلك الحين، والزيارات الرسمية بين الكيانين العنصريين مستمرة دون انقطاع.

هذا، وقد أصدر صندوق النقد الدولي مؤخراً أرقاماً (يشك في صحتها) عن حجم التبادل التجاري بين النظامين العنصريين. حيث قدر حجم صادرات جنوب إفريقيا بحوالي (٠,٦٪)، وواردات نفس النظام من إسرائيل بـ (٠,٥٪). والواقع أن حجم واردات التجارة بالماس والمعدات العسكرية لم تؤخذ بعين الاعتبار رغم أهميتها الكبيرة، حيث إن إسرائيل أهم شريك تجاري لنظام بريتوريا بعد الولايات المتحدة الأميركية. فبعد أن تصدر جنوب إفريقيا الماس الخام، مثلاً، إلى إسرائيل بأسعار زهيدة، تقوم أشهر الشركات الصهيونية التي تحتكر المتاجرة بهذه المادة القيمة، بتقطيعه وصقله لتبيعه بأغلى الأسعار، علماً بأن إسرائيل تحتل المرتبة الأولى في العالم بالمتاجرة بالماس بعد المتاجرة بالمعدات العسكرية.

واتسع التعاون بين النظامين العنصريين ليشمل نظام جنوب إفريقيا بالفحم لإسرائيل بكميات تسد حاجاتها التي بلغت عام ١٩٨٤ م، حوالي (٣) ملايين طن سنوياً. مقابل ذلك يزود الكيان الصهيوني نظام بريتوريا العنصري بالمعدات الإلكترونية، والمنسوجات، والمنتجات الكيميائية والزراعية.

وتعد إسرائيل وسيلة تجارية ثمينة بالنسبة لاقتصاد جنوب إفريقيا، حيث إن (٥٠٪) من الصادرات الإسرائيلية تصرف بسهولة في أسواق البلدان الغربية، وخاصة منها الأعضاء في السوق الأوروبية المشتركة. كما أن حوالي (٢٨٠٠) منتوج إسرائيلي يباع في أسواق الولايات المتحدة الأميركية وكندا، رغم المقاطعة الدولية للكيان الصهيوني.

وتستورد العديد من الدول الأوروبية الحديد والفولاذ الذي يصل إسرائيل نصف مصنع وبأسعار زهيدة من جنوب إفريقيا (مما يجعله أرخص من الإنتاج المحلي الأوروبي والأميركي)، ثم تكمل معاملته في مصنع ازكور بالقرب من تل أبيب، ثم يصدر إلى أوروبا وأميركا الشمالية، وهو يحمل عبارة «صنع في إسرائيل». ويتبع مصنع ازكور مصانع كور الإسرائيلية التي تساهم بنسبة (٥١٪) من رصيده، في حين يساهم مصنع اتحاد فولاذ جنوب إفريقيا بـ (٤٩٪) من ميزانيته. وإذا علمنا بأن مصانع كور العالمية تحوي أقوى النقابات العمالية الإسرائيلية، التي تحمل شعارات تنادي بالمقاطعة التجارية ضد نظام جنوب إفريقيا العنصري، لوضح لدينا النفاق الصهيوني الذي لا يتوانى عن التعاون مع أي طرف، مهما كان نوعه إذا كان في ذلك خدمة لمصالحه المادية.

الميادين العسكرية

وقد اتسع نظام التعاون بين النظامين العنصريين في العشرين سنة الماضية، ليشمل ميادين أخرى، حيث شمل أيضاً الوسائل الحربية سيما وأن النظامين يعملان بشكل دؤوب على تصفية الحركات الوطنية المناهضة للاحتلال. وكثف الطرفان من جهودهما خلال أعوام

العلاقات الوثيقة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا

الستينات ، لتصفية أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ، ومنظمة سوابو لتحرير ناميبيا ، التي تحتلها جنوب إفريقيا . وقد ساهمت تلك الممارسات الإرهابية في عزل هذين النظامين دولياً أكثر فأكثر . فأصدرت منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٦٣ م ، قراراً بمقاطعة تصدير وبيع الأسلحة لجنوب إفريقيا ، مما أدى بالحكومة العنصرية هناك إلى اللجوء لصديقها القديم إسرائيل للتزود منه بالأسلحة والخبرات العسكرية التي تحتاجها ، مقابل تقديم الأموال والمواد الأولية بأسعار رخيصة . ومنذ عشرين سنة والعلاقات بين البلدين تتسع وتزداد قوة . هذا ، وقد تحول أغلب الضباط الصهاينة إلى تجار أسلحة بعد تقاعدهم مستغلين خبراتهم السابقة مع النظام العنصري في جنوب إفريقيا لا سيما في المجال التجاري .

علاوة على ذلك **يشمل التعاون بين إسرائيل وجنوب إفريقيا التدريب العسكري والتأهيل ، حيث يحضر سنوياً أكثر من (٢٥٠٠) خبير عسكري إسرائيلي لتدريب ضباط القوات البحرية والجوية والبرية في جنوب إفريقيا . كما يوجد بالمقابل العديد من ضباط جنوب إفريقيا في إسرائيل لتدريب الجنود الصهاينة على استخدام الأسلحة التي يشتريها الإسرائيليون من جنوب إفريقيا .**

الجاسوسية

وتتعاون إسرائيل مع جنوب إفريقيا في مجال المعلومات التجسسية ، سيما وأن خبرة إسرائيل بالشؤون الإفريقية هي أوسع من حجم المعلومات الموجودة بحوزة حكومة بريتوريا ، وذلك عبر شبكات الموساد وعملائها التي تمد أذرعها الأخطبوطية في مختلف أنحاء القارة الإفريقية . فهي – أي إسرائيل – ترصد تحركات منظمة سوابو الوطنية ، وتراقب عملياتها لتزود الحكومة العنصرية بجنوب إفريقيا بأخبارها . وتنجح إسرائيل بذلك بسبب خبرتها الطويلة في رصد تحركات مناضلي منظمة التحرير الفلسطينية . كما أنها تدرب سنوياً العديد من ضباط جنوب إفريقيا في إسرائيل على مختلف الوسائل الإرهابية والقمعية .

وعلى إثر **الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ م** ، ومحاولة تصفية على منظمة التحرير الفلسطينية ، أرسل الإسرائيليون إلى حكومة جنوب إفريقيا وثائق سرية مهمة استحوذوا عليها أثناء اقتحامهم لمكاتب منظمة التحرير في **بيروت وصيدا** والخاصة منها بحزب المؤتمر الوطني الإفريقي المعارض للنظام العنصري القائم في جنوب إفريقيا . كما شجع غزو لبنان نظام بريتوريا على غزو **أنغولا** في بداية عام ١٩٨٤ م ، وعلى ممارسة الضغوط العسكرية المختلفة على **موزمبيق** . كما زودت الحكومة الإسرائيلية حكومة جنوب إفريقيا بمعدات عزز بها النظام العنصري سيطرته على الحدود التي بلغت كلفتها أكثر من مليوني دولار منها أجهزة تجسس ، ورصد التقاط معلومات ، وأجهزة حربية ، وأسلاك إلكترونية شائكة ، وألغام .. إلخ .

ورغم المقاطعة التي أعلنتها منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٧٧ م ، والتي منعت فيها بيع الأسلحة لنظام بريتوريا العنصري ، **إلا أن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا الغربية** استمرت على عقد صفقات بيع الأسلحة من جميع أنواعها إلى حكومة جنوب إفريقيا . فقد زوّد العدو الصهيوني نظام جنوب إفريقيا بطائرة تجسس تقاد أوتوماتيكياً دون طيار ومزودة بكاميرات إلكترونية ، وقد استخدمها هذا النظام بالفعل ضد **أنغولا وموزمبيق** . كما يتعاون الطرفان في صنع طائرة **هيلوكوبتر من طراز سكوربيون** يستخدمانها حالياً . هذا ، ويتعاون الطرفان في مجال **بناء المطارات الحربية** .

ومؤخراً خطط الكيان الصهيوني ببيع طائرات مقاتلة من طراز **ارافا** ، وأجهزة تجسس أخرى إلى جنوب إفريقيا . وخططت حكومة بريتوريا شراء طائرات مقاتلة من **طراز كفير** من إسرائيل ، ولكن الأمبريكان يعارضون حالياً هذه الصفقات باعتبارهم الجهة التي تجهز محركات هذه الطائرات ، ولا يريد الأمبريكان زيادة الإساءة إلى سمعتهم الدولية .

ومنذ زيارة رئيس الوزراء السابق فورستر في جنوب إفريقيا عام ١٩٧٦ م ، لإسرائيل ونظام بريتوريا ينوي شراء ثلاث حاملات طائرات من **طراز ريشيف** من إسرائيل ، وصنع نسخ أخرى . ولا يقتصر النظام العنصري في بريتوريا على استيراد الأسلحة ، بل إنه يصنع بعضها بنفسه . فقد بدأ منذ مدة بصنع **صواريخ غابريل** تستخدم على ظهر طائرات ريشيف . وكما ذكرنا آنفاً ، يعتمد نظام جنوب إفريقيا في تسليحه على بعض الدول الأوروبية .

التعاون النووي

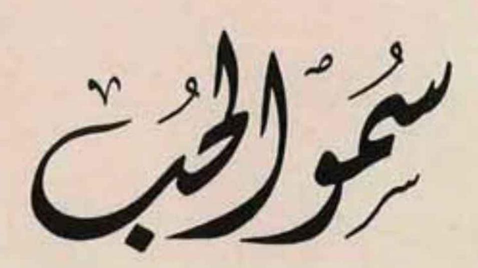
ومن أوجه نشاطات التعاون المتعددة بين تل أبيب وبريتوريا ، هو

التعاون النووي وخاصة للأغراض العسكرية ، حيث تمتلك إسرائيل منذ عام ١٩٧٣ م ، **الأسلحة النووية** . ويقدر عدد القنابل النووية المختلفة الأحجام التي بحوزتها (٣٠) **قنبلة نووية** ، وتصنع بمعدل قنبلتين كل عام . وتحاول إسرائيل أن تفيد جنوب إفريقيا من خبرتها النووية هذه . والدليل على ذلك أن أجهزة رصد **القمر الصناعي الأميريكي بيغ بيرد** رصد التحضير لانفجار نووي في صحراء **كالاهاي** . وكذلك أجهزة الرصد السوفييتية أكدت احتمال وقوع ذلك التفجير منذ عام ١٩٧٧ م . وبعد عامين من ذلك ، اي في ٢٢ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٩ م ، رصد قمر صناعي أميريكي آخر يدعى **فيلو** انفجاراً نووياً محدوداً في عمق جنوب المحيط الهندي ، وفي أطراف **جزيرة إدوارد** .

هذا ، وقد عبرت المنظمة الدولية لمراقبة التسرب النووي ــ في العديد من المناسبات ــ عن قلقها تجاه التطور النووي في كلا البلدين العنصريين إسرائيل وجنوب إفريقيا .

المراجع

- Sachar, H.M., A History of Israel: From the Rise of Zionism to our Times. New York 1976.
- Kreinin, M., Israel in Africa. New York 1964.
- Tahtinen, D. R., The Arab – Israeli Military Balance Today. Washington, D.C. 1973.
- Roth, S., Middle East Balance of Power after the Yom Kippur War. Cambridge, Mass. 1974.
- Blechmann, B.M., & Kaplan, S.S., The Use of Armed Forces as a political Instrument. Brookings Study. Washinton, D.C., 1977.
- Allon, Yigal, the Making of Israel's Army. London, 1974.
- Vital, D., The Origins of Zionism. London, 1975.
- Heer, G., The Implicit Israeli – South African Alliance. London, 1980.
- Dickmann, D., Zum Verhältnis Israel – Südafrika. Berlin, Alternativ – verlag, 1983.



شعر: سعد البواردي

قُم نُعانقْ في هــوانا الأنجما
فلقــد شــطَّ بقلبينــا الظَّما
يُولد الحبُّ مضيئاً .. بــاسماً
إنَّها منــه مصــابيح السَّما
إن قلبــاً قــد حنــا هامَتَه
ما أصابَ السهـمُ منه إذ رمى
وعيــوناً أطبقــت أجفانُها
تــطعم الحُبَّ هــزيلاً مُعْتِما
دون شوق . وطموح واعــدٍ
نتساوى في هوانا و « الدُّمــى »





زيارة للحيّ القديم*

شعر: عبدالعليم القباني

* «باب سدرة»: حيٌّ من الأحياء الشعبية العريقة بالإسكندرية أمضى فيه الشاعر طفولته وشبابه كله وعندما ألمّ الشاعر الستين من عمره قام بزيارة له، فكانت هذه القصيدة».

يا بابَ أحلامي ومَهْد فُتوني ... ومنار أفكاري ونبع فنوني

أرأيت طفلك، كيف عاد محطماً ... طللاً، ينوء بزحمة الستين؟

كم ظلَّ يقتحم الصعابَ ويرتقي ... صَخْرَ الطريق بصبوة المفتون

واليوم عاد، بقيةً من ضيغمٍ ... يهتزّ بين تمرّد وسكون

لم تغتصبه الحادثاتُ شموخَه ... وهوى بهيكله، مرورُ سنين

يا «باب سدرة» قد أتيتُ فهل ترى ... تدري بأنك لم تزلْ تغريني

بدروبك الشُّمْر التي قد صاغها ... زمنٌ تململ من أسى وحنين

وبكل دار قد تقادم عهدها ... أقْوَتْ، وكانت واحة المطحون

وبكل ما تطوي «الملاءات» التي ... أبدين شكّي واحتوين يقيني

بالأعين النجلاء، وهي تميتني ... من نظرة، ونظرة تحييني

كنّ الفداء، إذا شكوت من الضنى ... واليوم: من منهن لا تشكوني؟

يا «باب سدرة» والهوى بك كامن ... وصباي، والظمأ الذي يرويني

أترى بناتك مثلما قد كنّ في ... عهدي؟ نواضر لؤلؤ مكنون؟

فالأمهات، وكن في وهج الصبا ... ريُّ الظميء، وفرحة المحزون

خلّفتهنّ وغبتُ إلا صورة ... أبقى من الآمال في تكويني

وأنا ابن أمسي، ما يزال يشدّني ... للأمهات، ويستثير شجوني

عذراً بنات الحي إن جوانحي ... لمّا تزل قُصمى بسكر جفوني

وبكن من فتن الشباب بقية ... منهن لمّا كن في العشرين

يا «باب سدرة» قد أتيتك ضائقاً ... بالصبر محترقاً بنار ظنوني

فأثرتني لمّا تركتُ مشاعري ... نهباً لثرثرة الحسان العين

يضحكن من قولي، فأضحك ساخراً ... مني، ومن زمن يخدُّ جبيني

وأقول من فيكن غير بخيلة ... فيقلن: من للعاشق المسكين

حسبي بنات الحي: من دلّ الصبا ... فلقد شرقتُ بغصّة المحزون

أو هكذا تنساب آمالي سُدىً ... وتضيق نافذة الرغائب دوني؟

يا «باب سدرة» قد أتيتك عاتباً ... فلقد رجعتُ بصفقة المغبون

أو هكذا يُطوى الشراع وتنطفي ... أقباسُ عمر، كان غير ضنين؟

واعود متكئ الجراح كأنما ... قلبي يدوس على شفا سكّين

الشباب.. والتنمية

بقلم: د. حامد عبد المقصود عبد الهادي

*** الشباب الذي نقصده في هذا المجال هو الشباب الجامعي، الذي برزت مكانته الاجتماعية في المجتمعات الحديثة نتيجة نمو التعليم، واتساع آفاقه، والذي أصبح لمكانته هذه اعتباراتها، وبالتالي أصبح من المهم جداً أن تستثمر طاقاته، وتوجه أفضل توجيه.

هذه المكانة الاجتماعية للشباب، تفرض علينا اعتبارات هامة ينبغي ألا نغفلها منها:

●● إن مفهوم الشباب يعبِّر مدلوله عن تلك الفئة الاجتماعية، التي تنمو وتزداد عدداً في التركيب الاجتماعي للمجتمعات، كما أنها هي الفئة الاجتماعية التي تتسم – وينبغي أن تكون كذلك – بأعلى درجة من النشاط والحيوية، وأنها المرحلة التي تتميَّز بخصائص دينامية منفردة، يمكن استثمارها بتدريب الشباب في مرحلة مبكرة على تحمل المسؤولية، وعلى مواجهة المواقف بأساليب علمية، ويتحقق ذلك عن طريق الممارسة العملية، والمشاركة البناءة، وإتاحة الفرص أمام الشباب للإسهام في الإنتاج بصورة إيجابية. وهي أمور تلقي على عاتق الكبار أن ينهضوا بنقل خبراتهم ومعارفهم إلى الشباب على نحو يتيح لهم فرصة استيعاب هذه الخبرات، بما يسهم في نهاية الأمر في تحقيق حسن استغلال طاقاتهم، واستثمارها لصالح المجتمع.

●● إن الشباب هم أكثر فئات المجتمع تطلعاً إلى المستقبل، وبالتالي ينبغي أن يكونوا هم أكثر الفئات رغبة في التطوير، وتقبل الحديث من التجارب الاجتماعية. وهذا يفرض على من يتصل بهم من الآباء، والموجهين، والأساتذة، أن يبصروا الشباب بالثوابت والمتغيرات من العقائد والأفكار، حتى لا يجنح بهم من لا يدرك طبيعة التكامل بين الأصيل والمستحدث، وبالتالي يمكن عن طريق هؤلاء الشباب تكوين المداخل الصحيحة لحل ما يتصوره البعض من تناقض زائف بين ما هو أصيل، وما هو معاصر. وبذلك ينطلق الشباب نحو المستقبل مزوداً بقيمه الأصيلة، وعقيدته الدينية الثابتة، ويتقبل في نفس الوقت مصادر القوة الحديثة الكامنة في العلم النافع، والتقنية المفيدة.

●● إن الشباب، وإن كانوا يتجهون بحكم تكوينهم النفسي والاجتماعي إلى نوع من الاستقلال في الرأي، وإثبات الذات، إلا أن توفر الظروف الواقعية، وتهيئة المناخ المناسب للحوار الموضوعي، وأساليب التنشئة السليمة، يمكن أن تكون أسساً لتوجيه هذه الطاقات نحو ما يهيؤهم لتحمل المسؤولية في المستقبل، والقيام بالدور الاجتماعي المنوط بهم، عندما ينهون مرحلة الإعداد للحياة، وينخرطون في تنظيمات العمل الاجتماعي في مختلف جوانبه.

●● إن الشباب بما أتيح لهم من فرص التعليم التي يوفرها لهم المجتمع، لا يمكن إغفال نتائج تحقيق هذه الفرص في مستقبل المجتمع نفسه، ولا يمكن طرح حصيلتها من النتائج الاقتصادية للتنمية، إذ يمثل الشباب في الواقع جانباً هاماً من جوانب الاستثمار الاقتصادي والاجتماعي في آن واحد. ويترتب على ذلك ضرورة تدعيم انتماء هؤلاء الشباب لمجتمعهم، وارتباطهم بأهدافه وقضاياه الأساسية، وفي مقدمتها قضية التنمية بطبيعة الحال، وبذلك لا ينعزل عن مجتمعه في فترة من أهم فترات البناء والتطور.

هذه هي دعائم المكانة الاجتماعية للشباب في المجتمع بوجه عام، وللشباب الجامعي الذي سوف نركز الحديث عنه بوجه خاص، والتي تفرض علينا أن نوجه اهتمامنا وطاقاتنا في الجامعة إليه. ويؤكد هذا الأمر ما نلاحظه من دراستنا للهرم السكاني في المجتمع، فكبر حجم الجيل الناشئ والشباب، يطرح على المؤسسات التربوية، وعلى الأسرة مجموعة من التحديات تتطلب سياسة رشيدة، وبرامج متنوعة تمكن الشباب من أن يكون قوة إيجابية. على أننا لا يجب أن ننسى أن التقصير في تحقيق ذلك، قد يخلق أزمات نفسية واجتماعية، كما قد يدفع إلى الانحرافات في السلوك الفردي والاجتماعي.

مفهوم التنمية

ما التنمية؟ وما أهدافها؟ وما مجالاتها؟ وأي مجال يكون للشباب فيه دور واضح وفعال. خاصة أن الشباب نفسه يمثل هدفاً هاماً من أهداف التنمية ومقاصدها؟.

في غير ما تكرار للتحليل الذي نتناوله في هذا المجال في قاعات الدروس والمحاضرات، واتساقاً مع عمومية الهدف من مثل هذا المقال، نستطيع القول **إن التنمية كما هو معروف ومسلَّم به في تكاملها وآثارها ونتائجها العامة هي: «عملية موحدة تستهدف إحداث تغيير كمي وكيفي في المجتمع على مراحل زمنية مخططة...»**. ولقد جرى العرف بين المحللين العلميين لهذه العملية على تقسيمها من قبيل التوضيح إلى **مصطلحين: تنمية اقتصادية** تركز على التغيير في الظواهر

الشباب.. والتنمية

الاقتصادية ، وعوامل الإنتاج الطبيعية والفيزيقية ، **وتنمية اجتماعية** تهتم بتطوير الموارد البشرية كماً وكيفاً . على أن من الأفضل والأوفق أن نطلق عليها الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي للتنمية باعتبارها عملية شاملة . . . ولما بينهما من تكامل لا ينبغي إغفال أحدهما ، أو تركيز الاهتمام عليه فحسب . . . ذلك لأن الملاحظ أن المجتمعات التي تضع في أهدافها التركيز على التنمية في جانبها الاقتصادي ، وما يصاحبه من تطورات سريعة في « تكنولوجيا » التغير المادي ، تقاسي هذه المجتمعات من حدوث فجوة ثقافية ، تتمثل في الإخفاق في إحداث التغيرات الإيجابية في السلوك والعلاقات الاجتماعية اللازمة لمواكبة التنمية الاقتصادية ، وإنتاج السلع واستهلاكها . هذا ، فضلاً عن الإخفاق في تحقيق الهدف من توزيع ثمرات هذه التنمية الاقتصادية ، الذي يتمثل في تلبية الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع .

من هنا تتضح أهمية التنمية الاجتماعية ، ويبرز أمامنا الجانب الاجتماعي للتنمية ، الذي يهدف إلى إيجاد صيغة من التوازن بين الإنتاج السلعي ، وإنتاجية الخدمات التي تستند إلى الدور الاجتماعي للعمل الإنساني بوجه خاص ، بحيث تهدف هذه الصيغة ، إلى تحقيق التكامل بين الجانبين الاقتصادي والاجتماعي ، وزيادة مردود كل منهما بالنسبة للآخر . ومن هنا أيضاً ، أصبحت قضية **التنمية الشاملة** من التحديات التي تواجه المجتمعات النامية بوجه عام ، والعربية منها بوجه خاص ، والتي تركز عليها في جهودها الحكومية منها والأهلية ، وتوجه لها إمكاناتها الفنية والتنظيمية .

وتعتمد **التنمية الشاملة** ـ اقتصادية واجتماعية ـ على التحريك الفعال لطاقات المجتمع ، الذي يتحقق من خلاله التفاعل الإيجابي بين هذه الطاقات ، التي يمكن تحديدها في : **الطاقات البشرية** التي تتمثل في حجم السكان عامة ، والشباب خاصة ، بما يملكون من قدرات معرفية ، وخبرات ومهارات إنسانية ، في مجالات العمل الاجتماعي المتنوعة ، وهذه الطاقات لا بد أن تتناسب مع طموحات المجتمع في حاضره ومستقبله كماً وكيفاً . كما تتمثل في **الطاقات المادية** والموارد الطبيعية ، التي لا بد من اكتشافها واستثمارها والمحافظة عليها ، وصيانتها ، وعدم تبديدها . وكذلك تتمثل في **الطاقات المعنوية** التي تتمثل في القيم الدينية والثقافية التي تنعكس على سلوك الأفراد والجماعات ، وفي حوافزهم ودوافعهم الإنسانية في تعاملهم مع بعضهم البعض ، ومع المواقف الاجتماعية والظروف المحيطة . وهذه الطاقات ينبغي ألا تتعرض لأي اهتزاز أو اضطراب ، خاصة لدى الشباب ، لأن ذلك قد يشكل عائقاً أمام جهود التنمية . وقد يتجسد هذا العائق في ظواهر التواكل ، أو الانحرافات ، أو تغليب المنفعة الفردية ، وكذلك يبدو في اختلال التوازن بين الأخذ والعطاء ، وعدم وضوح العلاقة بين مطالب الاستهلاك والرفاهية من ناحية ، وبين مطالب الإنتاج والجهد والمسؤولية من ناحية أخرى . هذه العوائق كلها ينبغي ألا تنشأ بين أفراد المجتمع بوجه عام ، أو بين الشباب من أعضائه بوجه خاص . أضف إلى ذلك ما يتوفر للمجتمع من طاقات توجيهية تتمثل في القيادات الاجتماعية القادرة على توجيه التنمية ، وعلى شحذ الطاقات المجتمعية الأخرى ، وحشد قواها ، وتعميق التفاعل فيما بينها ، ودراسة الواقع ، وتطبيق المناهج والأساليب العلمية ، واستخدام وسائل التقنية اللازمة لتحريك هذه الطاقات جميعها .



★ الدروس الميدانية ★

نخلص من هذا التحليل إلى أن **التنمية هي عملية إرادية تهدف إلى صياغة بناء حضاري متكامل ، يؤكد فيه المجتمع هويته وإبداعه** ، وبالتالي لا تتحقق التنمية لمجرد التقليد والنقل لأنماط وأساليب تستخدمها مجتمعات أخرى تختلف في ظروفها وأوضاعها ومواردها وقيمها . كما أنها تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان باعتباره الغاية والهدف ، وتعمل على تحقيق إشباع متزايد لحاجاته الروحية والمادية والاجتماعية والثقافية ، وتوفير الطمأنينة له في حاضره ومستقبله . والإنسان ـ كل إنسان ـ هو في نفس الوقت صانع هذه التنمية ومحركها ، يتوقف على جهوده وطاقاته ، إنجازها واستمرارها . ويعني ذلك أن العامل الإنساني هو أساس كل جهد تنموي ، وبالتالي لكي تنجح هذه الجهود التنموية ، ينبغي أن تتاح



★ دراسات جغرافية ★

للمواطن فرص المشاركة في الجهود ، كما يكون له فرص المشاركة في جني الثمرات . وباعتبار أن هذه المشاركة الإيجابية هي وسيلة فعالة ، فإنها في حاجة إلى تنظيم يستند إلى سياسة اجتماعية واضحة ، تهدف إلى تحقيق مشاركة أفراد المجتمع ، كل حسب قدراته وطاقاته ، في تحمل مسؤولية العمل ، وتنفيذ الخطط ، واكتساب المهارة والمعرفة اللازمتين لممارسة العمل المنتج . كما أنها تهدف ، في نفس الوقت ، إلى المشاركة في الاستفادة من نتائج العمل وجني ثمراته على أساس من العدل الاجتماعي الشامل .

دور الشباب

إذا كانت المشاركة في جهود التنمية هي أهم الرسائل الفعالة في تحقيق أهدافها ، فهل للشباب بوجه عام ، والشباب الجامعي بوجه خاص ، دور تتحقق له من خلاله عملية المشاركة ؟ .

إن دور الشباب في الواقع ، يجسد انعكاساً لدور المؤسسات التي تسهم في تشكيل هذا الدور ، منها **الأسرة** التي تعتبر من أهم النظم الاجتماعية المؤثرة في اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية ، وبخاصة ما تغرسه في مرحلة الطفولة من قيم ومثاليات ، ومنها **المؤسسات التعليمية** من مدارس وجامعات ، ومنها **وسائل الإعلام** ببرامجها ووسائلها .

وفي ضوء ما سبق أن حددناه من أهداف هذا المقال وطبيعته ، ولما يرجى منه من فائدة نقصر التحليل على محاولة الكشف عن دور محدد للشباب عامة . . وللجامعي خاصة في المشاركة في تحقيق أهداف التنمية ، على أساس أن إقامة القاعدة الثقافية القادرة على نشر المعرفة ، والتثقيف بين شباب المجتمع هي السبيل الناجح للتنمية ، ذلك لأن التنمية في المجتمع المعاصر ، تعتمد على الكوادر العلمية والإدارية والفنية الشابة المتخصصة والواعية ، ومن خلال التدريب الملائم والمناسب لبرامج التنمية في المجتمع .

وفي ضوء ما استخلصناه من أن دور الشباب يجسد انعكاساً لدور المؤسسات التي تسهم في تشكيل هذا الدور ، نستطيع القول إن على الجامعات والمؤسسات التعليمية بوجه عام ، أن تواجه مهمة رئيسية تتلخص في العمل على مساعدة الشباب على اكتشاف دورهم الاجتماعي في الحاضر والمستقبل ، وخاصة في المجالات التنموية ، وبهذا يمكن تهيئتهم لأداء هذا الدور على أعلى مستوى من الكفاءة ومن الفاعلية ، وعلى كل من يتصدون للتوجيه العلمي والاجتماعي للشباب ، سواء كانوا أساتذة أو أخصائيين اجتماعيين ، أن يقدموا لهم الأسس المدروسة ، والقدوة الواعية ، التي ترتكز على فهم علمي ودقيق لأهداف مجتمعهم ، وإدراك واع لقيمه الإيجابية ، وأن يركزوا بوجه خاص على الجوانب الإيجابية ، والعقلانية ، ومن أبرز هذه القيم ، قيم البحث العلمي الدقيق المتفهم لأوضاع المجتمع وأهدافه ، وللبرامج التنموية التي يسعى إلى تنفيذها ، وبالتالي يتحقق الوعي التنموي الذي يعد حافزاً أساسياً لتهيئة الشباب للإسهام في تنفيذ هذه البرامج ، والمشاركة في تحقيق أهدافها ، ومن ثم يتكوّن لدى الشباب تصور واضح للنظم والخطط والوسائل المرتبطة بالتنمية . وإذا قلنا إن على الجامعات العبء الأكبر في ذلك ، يصدق القول كذلك على الدور الفعال للأجهزة الاجتماعية الأخرى كالأسرة ، والمدرسة ، ووسائل الاتصال ، التي يمكن أن تتعاون كلها كمصادر معرفية للتنمية بأهدافها ومجالاتها وخططها .

إعداد الشباب

وينطوي تحت هذا الدور إعداد الشباب إعداداً واعياً لمواجهة متطلبات عصر العلم والتقنية ، كمصادر للطاقة المحركة لكل الأساليب التي يتضمنها الدور الإيجابي الذي ينتظر أن يمارسه . وينبغي علينا أن ندرك أن التقدم العلمي والتقني ، لا يمكن أن يأخذ كامل مداه وأبعاده إذا لم تعبأ طاقة الشباب ، في إطار هدف تنموي شامل ، وحينئذ يتحقق التفاعل والتكامل بين التقدم العلمي والتقني ، وبين الأهداف التنموية ووعي الشباب بها ، وممارسته للدور الإيجابي في سبيل تحقيقها .

وهنا ــ أيضاً ــ يبرز سؤال هام . . كيف يأخذ هذا التصور طريقه إلى التنفيذ بين الشباب الجامعي بوجه خاص ؟؟ .

من بديهيات الأمور ــ كما قدمنا ــ أن الجامعات مؤسسات تربوية ذات دور هام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية . والجامعة بكل مقوماتها من قوى بشرية ومادية ، ينبغي أن





تعمل على إعداد الشباب ذوي المهارات الفنية والإدارية في مختلف التخصصات التي يحتاج إليها المجتمع كي يلتحقوا بالعمل في كل المواقع الإنتاجية، ومواقع الخدمات، وذلك كنوع من الاستثمار لهذه القوى البشرية.

وفي سبيل الإعداد لهذه القوى من الشباب، ينبغي أن تعمل الجامعة على توثيق ارتباطهم بمجتمعهم وبيئتهم، في الفترة التي يكون هؤلاء الشباب أعضاء في هذه المؤسسة التربوية والاجتماعية ذات الأثر البالغ على الحياة والمجتمع. ويتحقق ذلك حين يقضي الطلبة الجامعيون بعض أوقاتهم في الاشتراك في برنامج تعد لخدمة البيئة وتنمية المجتمع المحلي المحيط بهذه الجامعة، ويقومون خلال هذا الوقت بصرف جانب من نشاطهم في عمل منتج وذي نفع عام.

والملاحظ الآن، أن كثيراً من الدول تضع البرامج التي يشترك فيها طلابها في الجامعات، بصورة أو بأخرى في مشروعات الخدمات الاجتماعية التي تتفق واحتياجات البيئة المحلية.

ومن الطبيعي أن تكون الجامعات العربية بوجه عام، في مقدمة المؤسسات التي تركز في جهودها على الانطلاق في سبيل وضع الخطط الممكنة والمناسبة لذلك.

الشباب.. والمجتمع

ولكي يزداد ارتباط شباب الجامعة بمجتمعاتهم المحلية، وبالمجتمع بوجه عام، يمكن أن يمارسوا أثناء فترة دراستهم بعض الأنشطة التي تحقق هذه الغاية. ويمكن أن تكون نتائج هذه الممارسة واحدة من الأسس التي تراعى عند تقويمهم في فترة حصولهم على درجاتهم العلمية. ويتحقق هذا عندما تضع الجامعة في خطة الدراسة بها نوعاً من البرامج الحقلية للتخصصات الجامعية المناسبة، بحيث يمكن الربط بين هذه الأنشطة التي تهدف إلى خدمة المجتمع، وبين فروع الدراسة الجامعية. ويمكن أن يكون تقويم دور الطالب في هذه الأنشطة من بين ما يراعى عند تقدير درجة الامتياز، أو عند

★ داخل مختبر علمي ★



توزيع الخريجين على أماكن ومواقع العمل المختلفة.

وينجح هذا الأسلوب في الربط بين شباب الجامعة، وبين المجتمع حينما يتم الاقتناع بالقيام به على أساس تطوعي بتدعيم من وسائل الإعلام الجامعي، ولجان الإرشاد والأساتذة في الجامعة.

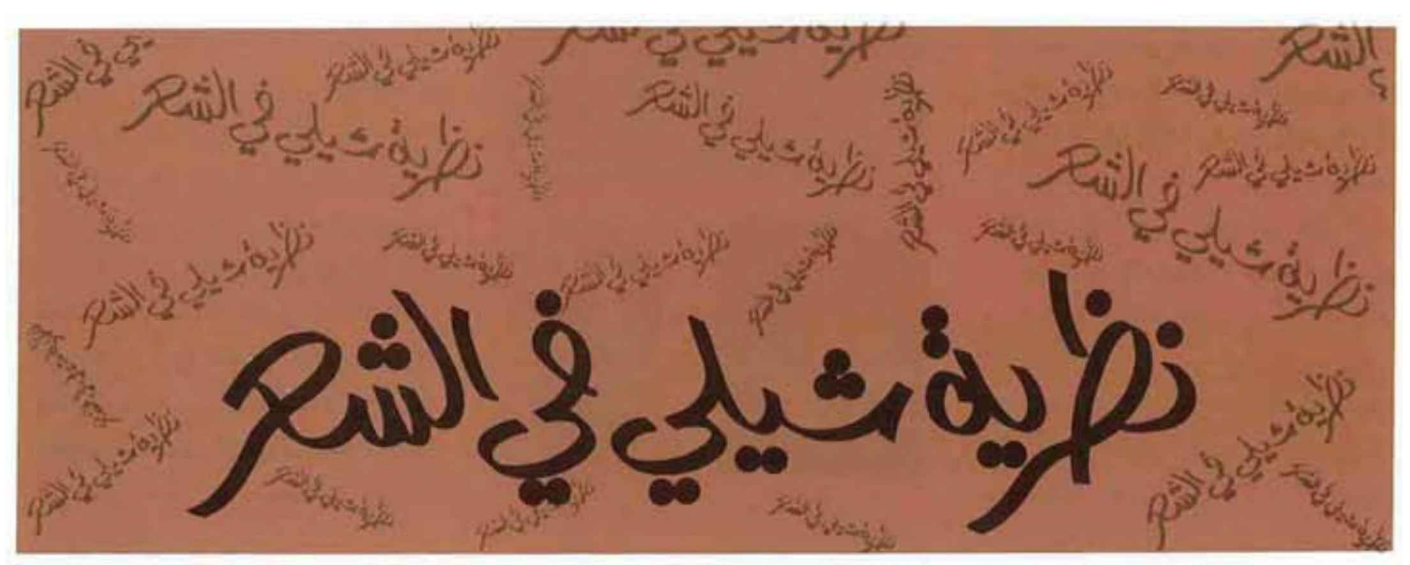
والتطبيق العملي لهذه الفكرة، يمكن أن يتم من خلال مشروعات كثيرة بعضها على المستوى العام، وبعضها الآخر على المستوى المحلي. ومن الأمثلة التي يتحملها المجال الجامعي الآن تلك التي تسهم في تنفيذها **أقسام الدراسات الاجتماعية بكليات الآداب والعلوم الاجتماعية** بالاشتراك مع الهيئات المحلية، كأن توضع الخطط المناسبة لاشتراك طلبة الجامعة في برامج منظمة ودقيقة لمحو الأمية، أو الاشتراك في مشروعات الإرشاد الاجتماعي، أو التثقيف الصحي، أو الإرشاد في مجالات المرور أو أي مشروع يمكن أن يكون نابعاً من ظروف البيئة، ويكون الإشراف على تنفيذ هذه الخطة مشتركاً بين الأقسام العلمية، وبين الهيئات المحلية كالأندية والمدارس، وغيرها من الهيئات والمؤسسات العامة.

كذلك يمكن أن تتولى **أقسام الدراسة العلمية في كليات الطب والهندسة والزراعة** بالاشتراك مع الهيئات المحلية وضع خطة لمشروعات صحية، أو إرشادية زراعية، كالمسوح الصحية خاصة بالمناطق النائية، وتنفيذ هذه المشروعات يمكن أن يتحقق، إما في «العطلة الصيفية»، وإما على فترات تتناسب مع خطة الدراسة الجامعية في هذه الكليات، ويمكن أن يكون الاشتراك فيها بصفة دورية حتى تتاح الفرصة للجميع للاشتراك فيها من جهة، والاستمتاع بالعطلة من جهة أخرى.

وعلى مستوى الجامعة يمكن أن تكوّن لجان عامة من الأساتذة والطلبة، تقوم بوضع خطة عامة مشتركة بين الأقسام ذات التخصصات التي يمكن لها أن تتكامل في أنشطتها كالدراسات الاجتماعية والطبية معاً، أو الدراسات الاجتماعية والهندسية معاً، أو العلوم الإدارية وبعض التخصصات الأخرى.. وهكذا تشترك هذه الأقسام في وضع خطة لمشروع عمل متكامل الجوانب، يتناسب مع أهدافها وطبيعة الدراسة فيها، ويتفق كذلك مع تخصصها العلمي.

على أن تتولى الجامعة الإشراف العام على المشروع، وتحديد الفترة الزمنية لتنفيذه، وبهذا تجمع الجامعة بين تحقيق الهدف التربوي وتحقيق النفع العام.

ونحن جميعاً ندرك أن من أهم ما يهدف **المجتمع العربي** إلى تحقيقه إرساء قاعدة صناعية وطنية، وينبثق عن هذا الهدف العمل على تحقيق هدف اجتماعي عام، وهو تصحيح الأفكار المنتشرة حول القيمة الاجتماعية للأعمال الفنية والمهنية. ويقضي هذا العمل توجيه شباب الجامعة، إلى الاشتراك في مشروعات تتيح لهم فرص العمل المهني في المجالات الصناعية المختلفة، ويتم ذلك بالتنسيق بين الجامعات وبين الوزارات المتخصصة: كوزارة الصناعة، والبترول، والكهرباء، والأشغال العامة، والشؤون البلدية والقروية، يلتحق بها – أي بهذه المشروعات – الطلبة الراغبون في ذلك، بهدف تأكيد قيمة العمل الفني والمهني في أذهان طلاب الجامعات، وبذلك تتحقق القيمة التربوية الكامنة في ربط التعلم بالأنشطة الاجتماعية والعمل المنتج، ويحدث بالتالي التكامل بين **الدراسة والعمل**.



نظرية شيلي في الشعر

بقلم: د. رمسيس عوض

خلص شيلي في وقت مبكر، يرجع لعام ١٨١١ م، إلى نتيجة مفادها أن الفن ـ والشعر على وجه الخصوص ـ ينبغي أن ينبني على أساس أخلاقي، ولكن مجرد الوعظ والإرشاد كان شيئاً مقيتاً. في نظره.

وقد ترك لنا شيلي مقالا واحداً، يعالج فيه فلسفة الشعر وطبيعته. ولكن هذا المقال أبعد من أن يكون مبحثاً على وجه التحديد. وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نجد أقوالا عديدة له في هذا الموضوع مبعثرة في خطاباته ومقالاته وتقديماته التي تصدر قصائده. وسوف نتوفر الآن على فحصها دون أن نبذل جهداً في التمييز بين نظريته وتطبيقه لهذه النظرية فيما أنتجه من شعر.

كان شيلي في شبابه واقعاً تحت تأثير سحر أدب الرومانس القوطي، ويبين شعره المبكر أثراً لا تخطئه العين، لذلك النوع من القصيد القصصي الذي يمكن التغني به المعروف باسم «Ballad» الذي خلفته لنا مدرسة لويس ـ سكوت. كما يبين تلك العواطف المائعة التي تميزت بها مجموعة جراي ـ جولد سميث. ولكن هذه الآثار سرعان ما حلت محلها آثار مجموعة من الكتّاب أكثر إمعاناً في التفكير وتحرراً في الرأي. فبعد أن كان شيلي واقعاً تحت تأثير الرومانس القوطي، أصبح واقعاً تحت تأثير الرواية الهادفة، كما كتبها بيدج وهو لكروفت وجودوين. والشعر الأخلاقي الذي ينطوي على الوعظ والإرشاد، كما أنتجه سازي. وأصبحت قصيدة (لعنة كيهامة) قصيدته المفضلة، كما أصبحت رواية (المرسل) التي كتبتها مس أو ونسن روايته المفضلة.

الجمال الشعري

وبتاريخ ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٨١١ م، كتب شيلي إلى إليزابيث هيتشينز يقول: «رأيي أن كل جمال شعري، لا بد أن يخضع لدرس أخلاقي يغرس في نفوس الناس، ولا بد أن تصبح اللغة الاستعارية أداة بهيجة للتعليم المفيد الذي له دلالته». وبعد ذلك الوقت، انصرف شعره ونثره على حد السواء إلى العناية إلى حد كبير بما هو ميتافيزيقي وأخلاقي دون أن يتضمن إنتاجه وعظاً أو إرشاداً. ونحن نراه أيضاً يسأل في خطاب كتبه إلى بيرون بتاريخ ٢٩ سبتمبر (أيلول) عام ١٨١٦ م: «ما عسى أن يكون مصير الجنس البشري لو أن هوميروس، أو شكسبير لم يكتبا شيئاً؟، أو لو أن التواضع الزائف، أو عدم التقدير الصحيح لقدراتهما، قد منعهما من استكمال تحقيق منجزاتهما العقلية التي لا مثيل لها، والتي أفدنا منها أكبر فائدة وأعمقها؟».

ويدلنا فحص تطور شيلي الأدبي على أن الاهتمام بالشكل كان بالنسبة إليه مسألة ثانوية، في حين كانت المادة أو الفكر شيئاً أساسياً لديه، ومن ثم فقد ارتأى أن أفلاطون وبيكون شاعران من الدرجة الأولى بفضل ما تميّزت به أفكارهما من شاعرية، ولغتهما من رصانة، وأخيلتهما من وضوح، وبفضل البصيرة الأخلاقية التي تميّزت بها كتابتهما.

الشكل والمضمون

وتقدم لنا أحكام شيلي الأدبية عوناً هاماً





لفهم فلسفة شيلي فيما يتصل بالإبداع والإنشاء.

ونحن نقف مثلاً على الكثير مما يتعلق بمفهومه عن **مكانة الشكل** في الشعر من خطاب كتبه إلى «**هنت**» في ٨ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨١٦م، أوضح فيه استقلاله عن القواعد المرعية في قرض الشعر: **«إن الحكاية التي تتضمنها القصيدة (ريمني Rimini) تثير تشويقاً من نوع شائع للغاية لا سبيل لمقاومته. رغم أنه يبدو لي أنك أخضعت نفسك لنفس قواعد الإنشاء التي تكبل عبقريتك وتقلل من أثر ما ترمي إليه»**. ونحن نراه كذلك يقلل من شأن **القواعد** في خطابه إلى **اللورد بيرون** بتاريخ ٩ يوليو (تموز) عام ١٨١٧م: **«لقد قرأت (مانفرد) بأشد الإعجاب. ومن الواضح هنا أنها تتمتع بنفس الحرية من القواعد العامة التي يتمتع بها الجزء الثالث. كما تتمتع بها «شيلون» Chillon. وهذه الحرية هي التي يفتقر إليها جميع إنتاجك المبكر باستثناء (لارا) Lara»**.

وعلى أية حال لم يكن شيلي غير عابئ بشكل شعره وأسلوبه، كما يتضح لنا من منحوظة حول «**لايون**» Laon، و«**سيثنا**» Cythna، وردت في خطابه إلى **بيرون** بتاريخ ٢٤ سبتمبر (أيلول) عام ١٨١٧م: **«إنها مكتوبة على غرار (الملكة ماب) وبنفس الهدف. ولكن نسيجها يتضمن قصة العاطفة الإنسانية المتأججة. كما أن إنشاءها يعير اهتماماً أكبر بصفاء اللغة ودقتها، واتصال أجزائها ببعضها البعض»**. وكتب شيلي إلى أحد الناشرين بتاريخ ١٣ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨١٧م، بشأن نفس القصيدة أيضاً: **«إنني أدرك في الواقع. أنه عندما تتعقد الحبكة وتمر العواطف الإنسانية بمواقف أو تطورات أكثر خطورة. فإننا نجد أن بعض أجزاء القصيدة الختامية مكتوبة بدرجة أكبر من الطاقة والوضح. وإنه إلى حد ما. لأمر يترك في النفس**


★ هوميروس ★


★ شكسبير ★

انطباعاً عاماً غير طيب أن يرى المرء عملاً يهدف صاحبه إلى أن تكون الوحدة إحدى خصائصه في حالة من التفكك والاضطراب».

وفي التقديم الذي صدر به (**لاون**) Laon، و(**سيثنا**) عام ١٨١٧م، نجد طائفة منوعة من الملاحظات التي تتصل بطبيعة ومضمون الشعر العظيم. وهنا يصر شيلي على أن لغة القريض... وذلك المزيج الأثيري للخيال.. والانتقال السريع الناعم الذي يطرأ على الشعور الإنساني الملتهب... كل هذه الأمور ينبغي أن تستخدم في الشعر، وشيلي لا يعمل أكثر من أنه يحرك المشاعر حتى يرى القارئ **جمال الفضيلة الحقة**، وعلى حد قوله: **«إن وظيفة الشاعر، هو أن يوصل إلى الآخرين تلك اللذة، وذلك الحماس اللذين ينبعان من تلك المشاعر والأخيلة، التي يشكل وجودها النابض في عقله مصدراً لإلهامه وجزائه معاً»**.

وبتاريخ ١١ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨١٧م، كتب شيلي خطاباً إلى (**جدوين**) يستنكر فيه سوء تفسير (**جدوين**) لقدراته الأدبية في (**ليون**)، و(**سيثنا**). يقول شيلي في هذا الصدد: «إنني أشعر أن العواطف التي تنطوي عليها هذه القصيدة صادقة ولا تتسم بالزيف. وكان يحلو لي لفترة طويلة في هذا الشأن أن أعتقد أن قدرتي، ترجع إلى الإحساس العاطف، وذلك الجزء من الخيال

الذي يتصل بالشعور والتأمل، وإنني قد جبلت — وتجدني في ذلك مختلفاً عن الآخرين — على أن أدرك الفروق الدقيقة والبعيدة التي تتصف بها المشاعر سواء كانت تتصل بالطبيعة الخارجية، أو الكائنات الحية التي تحيط بنا، وأن توصل إلى الآخرين تلك المفاهيم التي تنبع من النظر، نظرة شاملة إلى الكون المادي أو الأخلاقي».

ووجد شيلي أنه من العسير عليه أن يعبّر (**لهنت**) عن اشمئزازه مما هو عادي في شعر هذا الصديق. وكتب شيلي بتاريخ ٢٢ مارس (آذار) عام ١٨١٨م، بشأن قصيدة **الحوريات** التي نظمها هنت قائلاً:

«إنها شاعرية على نحو صادق.. بالمعنى المكثف والأكيد لهذه الكلمة.. ولولا بعدي عنه بمسافة تبلغ ستمائة ميل، لكنت أقول له إنه من المؤسف أن كلمة (glib) الواردة في القصيدة لم تحذف، وأن القصيدة تبلغ مبلغاً من الجمال، بالرغم من الشوائب التي تعلق بها».

وعندما وصلت عائلة شيلي إلى **إيطاليا** في أبريل (نيسان) عام ١٨١٨م، نجدها تبدأ بتعلم اللغة الإيطالية عن طريق قراءة عظماء الكتّاب الإيطاليين. ويلقي خطاب كتبه شيلي إلى عائلة **جسبورن** بتاريخ ١٦ يوليو (تموز) عام ١٨١٨م، ضوءً كاشفاً وغامراً على أفكار شيلي الأدبية. ويعلق شيلي على قدرة **اريوستو** الشاعرية بقوله:

«أين نجد الجدية الرقيقة والحساسية المرهفة، والطاقة الهادئة المتصلة التي لا يمكن للعظمة الحقة أن تخلو منها؟ إنه قاس كذلك في أوصافه، كما أن فضائله التي يفخر بها ليس سوى رذائل تكاد ألا تتوارى عن الأنظار. وهو يدافع على الدوام عن الانتقام في أقسى صوره، ويزينه بالرغم من أكثر الخرافات التي قيض لها أن تدنس العالم بشاعة. وما أبعد ما يكون الاختلاف بينه وبين حماسة **بترارك** الرفيق الوقور، بل وما أبعده حتى عن حس «**تاسو**» الأخلاقي الرفيق بالرغم من أن

الغموض يكتنفه إلى حد ما بسبب أسلوبه المصطنع » .

احتفاله بالشكل

لقد شاهدنا حتى هذا الوقت اهتمام شيلي أساساً بمادة القصيدة وما تتضمنه من فكر ، ولكن الخطاب التالي الذي أرسله إلى **« بيكول »** في ١٦ أغسطس (آب) عام ١٨١٨ م ، يبين كذلك اهتمامه بالشكل ، فهو يتحدث عن قصيدة **روزلند وهيلسين** قائلاً : « **إن تركيبها خفيف هفهاف ، وموضوعها مثالي . إن الوزن يتفق مع روح القصيدة ، ويختلف مع اختلاف مجرى الشعور** » . وعلى أي حال ، فهناك فقرة في نفس الخطاب تؤكد لنا الأهمية البالغة للفكر والروح في أي عمل فني : « يا لها من فقرة مدهشة ، تلك التي نجدها في **« فيدرو »** Phaadrus التي أظن أنها بداية إحدى خطب **سقراط** ، حيث نجد فيها مديحاً للجنون الشعري ، وتعريفاً لماهية الشعر ، وكيف يصبح الإنسان شاعراً . إن كل إنسان يعيش في هذا العصر ، ويرغب في كتابة الشعر ، يتعين عليه كنوع من الوقاية ضد نظم النقد الزائفة الضيقة الأفق التي تصاحب كل تجربة شعرية ، أن يتأثر بهذه العبارة إذا أراد أن يكون معدوداً بين الذين ينطبق عليهم تعبير **« تاسو »** الذي يتصف بالفخار والسمو معاً **(ليس هناك في العالم من يستحق اسم الخالق غير الله)** . انظر : الحاشية رقم/١ في مقال **« عن الحياة »** .

الإبداع الشعري

وفي التقديم الذي صدر به **شيلي « بروميثيوس طليقاً »** عام ١٨١٩ م ، يعطينا هذا الشاعر مفهوماً دقيقاً كاشفاً عن الشاعر وفنه ، وهنا نراه يؤكد شكل الشعر وروحه ومادته جميعاً :

« الشعر يبدع ، ولكن عملية الإبداع فيه تجيء عن طريق التجميع والتمثيل . والشاعر هو جماع النتاج الذي يتشكل من تلك القوة الداخلية التي تصيب طبيعة الآخرين بالتغيير ، كما يتشكل من تلك المؤثرات الداخلية التي تستثير هذه القوة وتكفل لها الاستمرار . والشاعر لا يتضمن جانباً واحداً ، بل كلا هذين الجانبين معاً . **والشعر التعليمي** شيء مقيت بالنسبة لي ، والشيء الذي يجد أحسن تعبير له في النثر ، يصبح مدعاة للملل في الشعر ، فضلاً عن كونه فائضاً عن الحاجة . وهدفي حتى الآن يتلخص بكل بساطة ، في أن أجعل الخيال النقي السامق الذي تتسم به تلك الطائفة المختارة التي تتميز بالتفوق الأخلاقي شيئاً مألوفاً ، رغم أني أدرك أنه حتى يجيء الوقت الذي يستطيع فيه العقل أن يحب ويحمل الإعجاب ، ويثق ويأمل ويتحمل ، فإن مبادئ السلوك الأخلاقي المتعلقة لن تكون سوى بذور ملقاة على طريق الحياة ، يدوسها عابر السبيل بالنعال دون وعي من جانبه بما يفعل ، بالرغم من أنها تشكل حصاد سعادته الذي يمكنه أن يجنيه » .

وأخيراً يعطينا **شيلي** تحليلاً مفصلاً للأسلوب الذي يتبعه في الإنشاء الدرامي في التقديم الذي صدر به قصيدته **« سنسي »** عام ١٨١٩ م :

« ينبغي أن تتداخل الأخيلة والعواطف الملتهبة في الإنشاء الدرامي ، بحيث تختزن الأخيلة ببساطة من أجل تطوير وتصوير العواطف بصورة كاملة . والخيال هو ذلك الإلهام المبدع الذي ينبغي أن يتجسد من أجل خلاص عاطفة البشر الفانية . وهكذا نجد أن أكثر الأخيلة بعداً وأشدها ألفة ، قد تكون على حد سواء ، مناسبة للأغراض الدرامية ، حينما تستخدم في تصوير العواطف الثرية التي ترفع ما هو خفيض كما تنزل بما هو رفيع إلى مستوى الإدراك ملقية بكل ظلال عظمتها في كل جانب » .



★ سقراط ★ ★ بيكون ★

وأضاف قائلاً : « إنني أتفق اتفاقاً كاملاً مع **وردزورث** والآخرين ممن يصرون على أن لغة الشعر ينبغي أن تكون لغة الناس المألوفة . **ولكنها يجب أن تكون اللغة الحقيقية التي يستعملها الناس عموماً . وليست لغة أية طبقة خاصة من طبقات المجتمع التي يتصادف أن الكاتب ينتمي إليها** » .

وفي خطاب كتبه شيلي إلى هنت بتاريخ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨١٩ م ، نراه بالرغم من تقديره للشكل ، يؤكد لنا مرة أخرى مادة القريض وروحه باعتبارهما جوهر كل شعر عظيم :

« إنني أقرب إلى التحدث عن قصيدة **(الحوريات** Nymphs) مني إلى **(قصة ريمي)** ، فالرأي عندي أن الحوريات تفوق الأخرى في كثافتها وكمالها كقصيدة بالمعنى الذي يعنيه **تاسو** وهو يتحدث عن الشعر . القصيدة الثانية تؤثر على العواطف الملتهبة ، وتكشف عن الفهم بصورة أكثر كمالا . ولكن القصيدة الأولى تثير الخيال الذي هو سيد العاطفة الملتهبة والفهم جميعاً ، كما أنه بمثابة إلهام وبمثابة الروح التي يعيشان بها ، ويستمدان كينونتهما منها » .

وتعكس هذه العبارة العلامة التي يوجهها **كولريدج** إلى نظريات **وردزورث** في الشعر .

نقده للشعراء

في حين كان شيلي يعتبر أن وردزورث شاعراً كبيراً في عصره ، وأن بيرون أعظم الشعراء جميعاً ، نراه ينظر إلى **كيتس** على أنه أساساً الشاعر الذي نظم قصيدة واحدة هي **هيبريون** ، ولكن هذه القصيدة كانت ترقى في نظره إلى مرتبة روائع الشعر الباقي على مر العصور . وفي ٢٧ يوليو (تموز) عام ١٨٢٠ م ، نجد إشارات عديدة تضيء لنا السبيل لمعرفة

نظرية شيلي في الشعر

فكرة شيلي عن مقومات الشعر العظيم : «لقد قرأت أخيراً قصيدتك **أنديمونيون** مرة أخرى ، دون أن يفارقني إحساس يتجدد بما يحتويه الشعر من كنوز ، بالرغم من أنها كنوز تظهر لنا بوفرة غير واضحة . . لقد سعيت في الشعر أن أتجنب النظام واللوازم الأسلوبية . وإني أرغب في أن يتبع الذين يفوقوني في عبقريتهم نفس هذه الخطة» .

وكتب شيلي إلى ماريان هنت في أواخر عام ١٨٢٠ م ، يمتدح قصيدة **هيبريون** التي نظمها **كيتس** ، ولكن كتب بشأن أشعاره الأخرى يقول :

«إن كتاباته الأخرى معيبة بالدرجة الكافية . وما هو أكثر سوءاً من هذا ، أنها مكتوبة بذلك النوع من الأسلوب الذي يشيع في يومنا الحاضر بين هؤلاء الذين يحلو لهم أن يتصوروا أنهم يقلدون هنت ووردزورث . . . ونحن نجد أن إباحياته كذلك التي يوجهها ضد الطبيعة الجنسية ، وضد الطبيعة البشرية بوجه عام لا تتفق مع شخصيته . وفي حالة **اللورد بيرون** نرى أن كل هذا يتفق مع شخصيته وطبيعته بوجه عام . فضلاً عن أن نور الدعابة والشعر المحيطين بهذه الإباحيات يخفيان قتامتها .

بل إنهما يدحضانها ويثبتان أن قوة الطبيعة البشرية وجمالها يمكنهما أن يظلا باقيين ، وأن ينتصرا على كل ما يبدو أنه لا يتمشى معهما . ولكن أن يجمع الكاتب بين القذارة والملل ، فتلك جريمة تقترف في حق الناس والورق المكتوب عليه» .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ، كتب شيلي إلى جيفورد مدافعاً عن **كيتس** بكيل له أعظم الثناء على **هيبريون** قائلاً : **«إن هذه القصيدة تبلغ بكل تأكيد ذروة الأسلوب الشعري . وإني أتكلم دون تحيز له من جانبي . لأن قواعد الذوق التي راعاها كيتس في قصائده الأخرى على نقيض القواعد التي اتبعها في شعري»** .

وبالرغم من أن شيلي كان يعتبر شعر اللورد



★ كيتس ★

بيرون أعظم شعر في عصره ، فإنه كان في مقدوره أن يتبيّن عيوبه . وكتب إلى ماري في ٧ أغسطس (آب) عام ١٨٢١ م ، يقول : «نجد أننا (بيرون وشيلي) ، قد تحدثنا كثيراً عن الشعر ، وعن مثل هذه الموضوعات ليلة أمس ، فاختلفنا كالعادة . . وأظن أن اختلافنا زاد عن خلافنا في أي وقت مضى» . ويحلو له – أي بيرون – أن يحتضن نظاماً في النقد ينتهي بإنتاج القصائد التي تخلو من الامتياز . وبالرغم من أنه قد أنتج قصائده ومقطوعاته البديعة نتيجة لتحديه لهذا النظام ، فإنني أتعرف على آثاره الضارة التي نلمسها في قصيدته **(دوق البندقية)** .

العقل والخيال

ويبقى مقال واحد ، كتبه في موضوع الشعر يتعين علينا أن نأخذه في الاعتبار ، فقد بدأ شيلي (دفاع عن الشعر) عام ١٨٢٠ م ، بإيضاح الفرق بين **العقل والخيال** ، وانتهى إلى أنه بالرغم من أنهما شريكان متساويان في الحياة العقلية «**فإن العقل بالنسبة للخيال مثل الآلة بالنسبة للوسيط الذي يستخدمها ، ومثل الجسد للروح ، والظل بالنسبة للمادة**» . . وعرف الشعر بأنه «**تعبير عن الخيال**» ، ومن ثم فإن الشعر هو وسيط الحقيقة . . . روحها ومادتها . . والشعر هو الذي يكتشف نظام الكون الدائم ، ويجد انسجاماً وسط فوضى الأمور المتنافرة التي

تحيط به عن طريق نشاط الخيال . ولأنه يملك هذه البصيرة ، ويحركه هذا الإحساس بالانسجام فإنه «**يصيغ أفكاره في صورة بديعة سواء كان ذلك في الموسيقى أو النحت والرسم** ، ويصبح الشاعر مبدعاً **عن طريق التعبير الملموس عن هذا النظام**» .

ومما تجدر الإشارة إليه أن شيلي يُعنى **أساساً بروح الإبداع عند الشاعر ومادته دون الشكل** ، ومن ثم فإن أي عمل فني أو فكري ، تتحدد عظمته بمدى تجسيده للانسجام والنظام والجمال الذي تكتشفه أفضل العقول وأسعدها حالاً في أفضل اللحظات وأسعدها . **وفي مثل هذا المفهوم للشعر نجد أن اللغة واللون والشكل ليسوا سوى مادة الشعر أو أدواته . وبهذا المعنى فإن مقطوعات النثر السامقة هي شعر في حقيقة الأمر** .

ويجب ألا نفهم من هذا على أي حال أن شيلي كان لا يكترث بشكل أشعاره . ولعلنا لا نجد شاعراً يجهد نفسه في تحديد فتراته الشعرية ، أو نظام وإيقاع وأخيلة شعره ، مثلما فعل شيلي . ونحن نجد أن غنائياته العظيمة ، وقصائده المطولة ، تكشف أساساً عن ذروة الصنعة .

وإحساساً منه بطبيعة الإيقاع والنظام الموجودين في الكون ، وفي كل أشكال الحياة في واقع الأمر ، أمكن لشيلي أن ينقل ذلك الإيقاع والانسجام إلى شعره . وكان من رأيه أنه حتى أن يصبح الإنسان شاعراً ، فإنه يجب عليه (**أن يدرك**) ما هو حق وجميل – وبكلمة أخرى – أن يستبين الخير الموجود في العلاقة القائمة بين الكينونة والإدراك ، وبين الإدراك والتعبير . **وحيث إن الشعر يحرك فينا إحساساً بالحب والجمال . . وحيث إن سر الأخلاق العظيم يكمن في الحب . . وحيث إن أداة الخير الأخلاقي الكبرى هي الخيال ، فإن الشعراء يتقلدون الزعامة الأخلاقية العظيمة . ومن ثم فإنهم مشرعو العالم غير المعترف بهم** .



الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

حين يكون اللقاء مع باحث ومحقق ومبدع، تتعدد القضايا، وتتشعب الموضوعات بكل ما فيها من ثراء وخبرة وعلم.

ولقاؤنا في هذا العدد مع أحد رجالات البحث والتحقيق والتربية، وعضو المجامع العلمية العربية، وصاحب عشرات المصنفات التي أثرى بها مكتبتنا العربية، وحائز على عدد من الجوائز العلمية والأدبية التي توجت أخيراً بحصوله على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي لعام ١٤٠٦هـ، عن عمله في كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» لمؤلفه العماد الأصبهاني، وذلك لتحقيقه الجزء الخاص بشعراء العراق في ستة مجلدات ضخمة.. إنه العالم الجليل والباحث العراقي الأستاذ محمد بهجت الأثري.

الأعمال البارزة

●● ما أهم مؤلفاتكم؟

● كل مؤلف في موضوعه، مهم في نظر صاحبه ـ كأولاده، ولكل واحد خاصيته. وقد ألّفت في اللغة، وفي الأدب، وفي التاريخ والسير، وفي البلدانيات، وفي الاجتماع، وكتبت نثراً فنياً، وقرضت الشعر في مختلف أغراضه، وحققت كتباً مختلفة الموضوعات وبسطت فيها يد الشرح لزيادة الإفادة والإمتاع، وفي كل واحد منها سكبت من وَهَج روحي ونور عيني كأمثالي من المعنيين بالتأليف، فلا احس أن شيئاً منها أهم من الآخر.. لكن قد يبدو لي أن تسألني: ما أكبر آثارك حجماً، وتقاضاك مجهوداً كبيراً وعمراً أنفقته فيه؟ فأنا أذكر لك من الشعر (الديوان) الذي لازمني قرض قصائده: مطوّلاته وقصاره، من سن العشرين إلى هذه الساعة، وقد نشر **المجلس الأعلى للعلوم والآداب والفنون بمصر**، في سنة ١٩٧٤م، جزءً منه في نحو (٤٠٠) صفحة باسم (**ملاحم.. وأزهار**)، وقدم له نقيب شعراء مصر الأستاذ **عزيز أباظة** ـ يرحمه الله ـ مقدمة ماتعة، ولدي مما لم أنشره نحو ضعفيه.. وفي التأليف (**معجم الأقاليم**)، وهو بضعة مجلدات كبار أنفقت فيها خمسة عشر عاماً من العمر، وسيمثل للطبع قريباً إن شاء الله.. وفي التحقيق، الذي بسطت فيه يد الشرح (**خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء العراق**)، **تأليف عماد الدين الكاتب القرشي الأصبهاني**، كاتب الدولتين: النورية، والصلاحية الأيوبية، وقد أخرجته لعالم الأدب في ستة مجلدات كبار.

الذين تأثر بهم

●● من هم أهم الرواد الذين تأثرت بهم في حياتك الدراسية؟

● لقد قرأت الكثير الكثير من كتب الأوائل والأواخر في علوم اللغة العربية وآدابها، وفي العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه، وفي الثقافات الدخيلة قديمها وحديثها، وتعلقت منها بالرفيع المتميز بمادته وفكره قارئاً مستفيداً، وناخِلاً للآراء والمذاهب والاتجاهات.. وبكلٍّ تأثرت، وكلٌّ من أصحابها رائد كبير وصاحب آثار متميزة. ومع هذا التعميم وما أخذت به نفسي من الاستقلال في النظر، لا أستطيع أن أعيِّن أفراداً منهم بأعيانهم على وجه التخصيص تأثرت بهم دون غيرهم.

جائزة الملك فيصل

●● ماذا يعني حصولكم على (جائزة الملك فيصل العالمية)، بعد عمركم الحافل بخدمة اللغة والثقافة؟

● هذه الجائزة العالمية النبيلة، التي تحمل اسم الملك الشهيد السعيد العظيم **فيصل بن عبد العزيز** ـ يرحمه الله ـ لها جانبان: جانب مادي، وجانب آخر معنوي يختفي تحت بريق الجانب الأول عن نظر الكثيرين.

فأما الجانب الأول، فأقول لك بصدق بالغ ومن غير تعالٍ إنه يقع من نفسي في الموقع الذي تحدث الشاعر العربي به عن نفسه حين قال:

لا أشْرَئِبُّ إلى ما لم يَفُتْ طمعاً
ولا أبيت على ما فات حسْرانا

ويتجلى لك هذا الفكر، أو هذه الطبيعة التي فُطِرت عليها في أنني لم أسع إلى هذه الجائزة العالمية السَّنية القدر مَبْنىً ومعنىً إطلاقاً، وإنما هي التي جاءتني من فضل تقدير جميل **لرابطة العالم الإسلامي الدولية** الصيغة، فبادرت إلى ترشيحي لها من حيث لا أعلم، واكتسب ترشيحها إجماع اللجنة الخاصة المؤلفة من علماء أجلاء من مختلف أقطار الوطن العربي على توثيقه وإمضائه.

وأما الجانب المعنوي فيه، فإنه يتضمن ثلاثة معان: معنىً يخصني، فأنا أعتز بدلالته الرفيعة، ومنقبته النبيلة، وهو يضاف إلى سلسلة طويلة من المكتسبات المعنوية التي أفدتها من مساعيَّ في اكتساب العلم والأدب، وجهدي في إذاعتها منذ مطالع الشبيبة، وعنفوان العمر إلى يوم الناس هذا، تقديراً من **المجامع العلمية واللغوية**، وتكريماً من الهيآت المعنية بالعلم والحفية بالعلماء.. إلخ، ومن يستقم على الطريق ويَجِدَّ يَجِدْ. والمعنى الثاني يصوِّر كمال هذه الأمة العربية الإسلامية التي شرفني الله تعالى بأن جعلني منها، أو ارتياد هذا الكمال بالعلم والمعرفة وجهدها الموصول المُستدام في إعلاء شأنهما، وابتعاث الهمم إليهما بمثل هذا التقدير، توليه لمن ينفقون أعمارهم فيهما، ويجِدُّون ويجتهدون في نفع الناس بهما. وما انقطعت عن هذه الخصلة الكريمة من خصال المحامد، طوال دهرها في حالتي اليُسر والعسر، كما عبَّر عن نفسيتها العالية هذه شعراؤها من قديم الدهر، وكلنا نردد دائماً بيت جَرْوَل العَبْسي المشهور في هذا المعنى:

من يفعل الخير لا يَعْدَمْ جوازيَهُ
لا يذهب (العُرْفُ) عند الله والناس

وأي خير، أو أي عُرْف يستحق التقدير والإكبار أكبر من معروف العلم وخير المعرفة؟.

وأما المعنى الثالث، فينبثق من طبيعة هذا المعنى الثاني بما يحدثه من الآثار العميقة في نفوس الناشئين، فيبتعثهم إلى الاقتداء، وتمثُّل سِيَر العلماء، ليكونوا أمثالهم، وبهذا التوجّه يتسلسل العلم في الأمة طبقة بعد طبقة، ويخلف الصغائر الكبار، وتعمر العقول والقلوب بأنوار العلم والمعرفة والإيمان. والحياة أُسْوَة وتمثُّل واقتداء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر..

وهنا، في هذا الخير الذي يُصْنَعُ لإثارة الهمم إلى سلوك طرق العلم والمعرفة، يتجلى شأن مثل هذه الجوائز الرفيعة، ويكمن ما ترمي إليه من هذا المعنى الرفيع الذي لا أجلَّ منه ولا أروع ولا أنفع.

التأليف.. والتحقيق

●● هل يمكن أن تعد التأليف والتحقيق بمنزلة واحدة؟

● لا.. فإن التأليف شيء، والتحقيق ـ بشروطه العلمية المنهجية الصارمة ـ شيء آخر، فهما مختلفان، وبينهما عموم وخصوص. ونحن نجد المحقق البارع ـ وليس الناسخ المتكثِّر ـ يبرع في التأليف ويجيده، ولكن يندر أن نجد مؤلفاً متخصصاً يبرع في التحقيق ويجوِّده. وشواهد هذا كثيرة في زماننا. وسبب ذلك أن التأليف يتخصَّص بعلم بعينه، ومادة خاصة تُزاوَل وتحفظ ويحاط بها في يُسر.. وليس التحقيق كذلك لمثل كتب الأوائل من علماء المسلمين فيما ألفوه في التاريخ والأدب والسِّيَر ونحوها خاصة، لما مازجوا فيها من معارف غاية في الكثرة والتشعُّب، فهي تستدعي العلم بها، والإحاطة بمواردها، مع صفات أُخَر لا بُدَّ من توافرها وتحققها عند من يتصدى للتحقيق. والمؤسف حقاً أن أصبح «التحقيق» حرفة كل من هب ودبّ، وعلم طرفاً من العلم، فانتصب له من انتصب، وهو لا يملك آلته وأداته ومادَّته، فنسخ ومسخ، وظهرت إلى الناس كتب من كتب الأولين الأجلاء تشكو إلى الله من ضيم الناسخين والماسخين الذين يسمون أنفسهم «محققين».

النقد الأدبي

●● ما رأيكم في «عملية» النقد الأدبي في الوقت الحاضر؟ ومن هم

● أفتقد فيما يكتبه نقاد اليوم طرائق النقاد العرب الأولين .
● الشعر الحر مصطلح مستورد وهو مترجم ترجمة حرفية من عبارة إنجليزية .

أهم النقّاد في نظركم اليوم؟

● النقد ، أو التقويم للإبانة عن حقيقة الشيء بحسب الأصول والمقاييس المقررة - مرتبة رفيعة في قُنّة سُلّم المعرفة ، وأصالة النظر .. فلا مناص لمن ينتصب له من أن يحقق لنفسه شروطه وأدواته من علم واسع وعميق بالمادة التي يتصدى لنقدها ، ومن التحلي بالنزاهة وبالنظرة « الموضوعية » التي ترتاد الحقيقة ، ولا يتعسف بها الهوى ، وتتناول البحث الفاحص بغير تعالٍ لتضع كل أمر في نصابه الصحيح ، وضعاً يرتاح له المنقود والقارئ . وأود أن أقع على مثل هذه الصورة فيما يسمونه « نقداً » في هذا الذي يكتب في الصحف والمجلات ، في كمال خصائصها ..

لأقول لك من هم أهم النقّاد اليوم ، من غير بخس لأحد في خاص علمه . إنني أفتقد في كثير مما يكتب في النقد اليوم طرائق النقّاد العرب الأولين أمثال : **الجاحظ ، والجرجاني ، والآمدي ، وابن رشيق** ، وغيرهم ، في العلم وقوة النظر وسلامة القصد وعلو الأسلوب .

مستوى الإصدارات

●● ما رأيكم في الإصدارات الثقافية في الوطن العربي؟

● أما من حيث الغزارة ، فإنها أمارة صحة وعافية ، وبشير خير وازدهار . وأما من حيث « النوعية » فالسمين منها يدفع الغث الهزيل . وما من شك في أن الجيد البارع في فكره ولغته ووضوحه ، غير نزر بين هذه « الإصدارات » ، ويُرجى أن تكون حظوظها من الأصالة والتثبت والتدقيق ، فيما تستقبل من التطور ، أعظم مما بلغته إلى الآن ، وتحقُّق هذا رهن ببذل المجهودات الصادقة المتواصلة في تنمية العلم وتوفير موارده والتعمق فيه واتخاذ « المنهجية » مذهباً في البحث والتفكير والتأليف ، يسدّد الخُطا على النهج القويم ، ويجنبها السقوط أو الزلل .

الشعر الحر

●● مكانة « الشعر الحر » في « الأدب العربي الحديث » .. وهل تعدده مرحلياً آئلاً إلى الزوال؟ أو هو مرحلة من مراحل تطور الشعر العربي؟

● في سؤالك قضايا عدة ، تحتاج إلى بسط وتفصيل ، ودراسة « موضوعية » عميقة ودقيقة وأمينة من غير انسياق مع العواطف والأهواء ، ولا تعصب للشيء من غير أن يعضد بالأدلة والبراهين .

ويحسن باديْ بدء أن نتحدث عن « الشعر » ما هو؟ وما طبيعته وارتباطه بالانفعالات الشعورية والنفسية .. ثم نأتي بعد هذا إلى ما يسمى « **الشعر الحر** » ، نحدّد صفته ، ونتبيّن مدى صلته بالانفعالات الشعورية والنفسية ، وما يحدثه من أثر في النفوس .

الشعر .. مشتق من الشعور ، والشعور إحساس داخلي ، تثيره أو تحدثه مؤثرات وموحيات خارجية ، فتتنوّع حالاته بتنوع بواعثه في النفس ، وينشأ فيها لكل حالة وانفعالها إيقاع خاص ، يخرجه القادر على التعبير للتنفيس عن النفس بحسبه في صيغة غنائية فرحة ، أو حزينة ، أو راغبة ، أو راهبة ، أو راضية ، أو ساخطة .. أو .. أو ..

وهذه « الإيقاعات » هي ذبذبات هذا الشعور الداخلي ، وكل « **إيقاع** » يمثل حالات هذه الذبذبات ، ويوافق وقع تحركاتها ، وذلك ما سمي **بالأوزان الشعرية ، أو البحور الشعرية** ، واعتبر ذلك في كل بحر من الشعر العربي ، فإنك تجده موافقاً لهذه الحالات .. فهذا بحر يوافق الحُداء ، ويشبه بتوقيعه على مقاطعه مشي الجمال الهُوينى ، وهذا بحر يوافق الحماسة ، وثالث يوافق الحماسة ، ورابع يوافق حالة الحزن أو الفرح ، وخامس تمثيل العواطف ، وسادس يوافق في توقيعه خبب الفرس .. وقس على ذلك .

وهذه الإيقاعات تستلزم طبيعتها الإنشاد أو الغناء ، ومن هنا قال حسان بن ثابت :

تَغَنَّ بالشعر إمّا أنت قائلُه
إن الغناء لهذا الشعر مضمارُ

والغناء له قرار ورنين ينتهي إليه ، فأدى هذا بالضرورة إلى حدوث « القافية » في الشعر العربي . وما انفك شعراء العرب من أول الدهر « ينشدون » هذا الشعر ، أي يغنُّونه تطريباً ، وقد لقبوا أعشى قيس أحد أصحاب المعلقات « **صنّاجة العرب** » لتجويده إنشاد قصائده تطريباً ، وللإنشاد لحن خاص مطرب ، وكانوا يطربون للإنشاد أكثر مما يطربون للغناء .

هذه لمحات خاطفة سقتُها عن نشأة « الشعر العربي » وطبيعته وإيقاعاته أو أوزانه وقوافيه ، وعلاقة هذه الإيقاعات بانفعالات النفس وهواجس القلب .

فالوزن والقافية شرطان فيما يسمى من فنون الكلام (شعراً) يحمل شعوراً ما في صياغة بيانية رفيعة ، وأخيلة جميلة .

فهذه أربعة أركان لا بُدَّ من توافرها في أي شعر عربي يقوله شاعر ، وقد اجتمعت كلها في الشعر العربي الأصيل ، في مختلف العصور والأقاليم ، وصارت سنَّةً متبعة توارثها الخلف عن السلف انسياقاً مع الطبيعة وهواجس النفس .. الوزن (أو الإيقاع) ، والرنين (أو القافية) ، وبلاغة التعبير عن الهواجس والأحاسيس ، وجمال الأخيلة ، تلك هي سمات الشعر العربي الأصيل .

ونجيء الآن إلى ما سموه اليوم (الشعر الحر) ، وننظر ما طبيعته أولا ، ليحكم عليه أو له .

« الشعر الحر » .. مصطلح مستورد ، وهو مترجم ترجمة حرفية من العبارة الإنكليزية « free verse » . وتعني هذه العبارة تجريد هذا الضرب من الكلام الشعري من خاص طبيعته ، وهي الإيقاع النفسي وتوابعه ، وحق مثل هذا الصنع أن يسمى (كلاماً مُرْسلاً) ، وتنتزع منه كلمة (شعر) . ويبقى تقدير هذا (الكلام المرسل) متوقفاً على مبناه ومعناه ، فما جاد منه وحصُفَ استحق الحفاوة به بالقدر الذي يُوفر له من سلامة المبنى وبراعة المعنى . وما تخلَّفَ منه عن ذلك عُدَّ من سَقَط المتاع . وأقول مثل هذا القول فيما تعارفت الأمة العربية على تسميته (شعراً) في حالة إبداعه ، وحالة قصوره .

الشعر العمودي

●● ما سبب الحوار « الشعر العمودي » ، أو

« الكلاسيكي » أمام الموجة الجديدة ؟

● الشعر .. شعرٌ ، ما التزم الشاعر طبيعته ونظامه وفنه ، وما صدقت فيه عاطفته ، ولا معنى لهذه التسمية أو تلك . والشعر لا ينحسر إلا إذا زُعِمَ أن النفس الإنسانية مسخت ونزع منها الشعور .

و « الموجة الجديدة » التي تذكرها ، قد بيَّنت لك ما صِلَتُها بطبيعة الشعر وحقيقته ، وأين تقف من الشعر الأصيل ، ولن ينحسر هذا الشعر الأصيل ، وإذا تصرم أكثر الذين جوَّدوه ، فلاقَوْا ربهم ، فليس معنى ذلك أنه انحسر أمام « موجة مُتَخَيَّلة » ، قد حكم الذين ركبوا مَتْنها بانحسارها وجزرها (هي) .. وأمامي الآن الجزء (٤٦٦) من مجلة (الوطن العربي) ، وفيها تحت عنوان (إلى أين وصل الشعر العربي الحديث ؟) « ٥٨/٦١ » تحقيق في الموضوع أجراه كاتبه مع نفر منهم معروفين ، وَجَّه إليهم هذا السؤال ، فأجابوه بما كفونا القول فيه في أزمته الحاضرة ، ومصيره بعد معاناة له منذ خمسين عاماً دون أن يثبت وجوده .

فهذا « **شاعر** » **عراقي** مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية يقول : « الشعر العربي الحديث ، ما زال كالعدَّاء الذي يستعد للقفز . إنه وسط القفزة الآن .. » ، ويقول : « الجيل الجديد في الشعر العربي الحديث يعاني « أهوال الوعي » يائساً من ضراوة التجربة .. » .

وهذا **شاعر مصري** معروف ، وهو من هذا الفريق ، يقرِّر : أن « القصيدة العربية خسرت ماضيها ، ولا تعرف مستقبلها » ، ويقول : « إن القصيدة العربية [الحديثة] بدأت تجاربها الأولى في الأربعينات والخمسينات ، وما زالت إلى اليوم ، وهي تفتقد الأساس النظري للإبداع .. » .

وهذا ثالث **من الجزائر** يقول : « لقد ابتعد الشاعر العربي [الحديث] عن حياة الناس ، وعن جراحهم ، وعن آمالهم ، وعن تفاصيل أيامهم . لذلك وصل الشعر العربي الحديث إلى مرحلة تستوجب المراجعة وإعادة النظر . لم يعد لأي شاعر منا نظرة شاملة للدنيا ، للحياة ، للكون . لم تعد لديه رؤيا » ! .

وهذا رابع من **العراق** ، يعترف في صراحة ووضوح بـ « أن الكثير مما يكتب في هذا الشعر متحرراً من الوزن التقليدي لا يستحق تسمية « الشعر الجديد أو الحديث » ، فهو جديد شكلاً خارجياً ، ولكنه ليس جديداً بمفهوم الشعر المعاصر » ، ويقول : « ما كان معقد أملنا ، أصبح باعثاً على الشعور بالخيبة » ! .

وهذا خامس من **الشام** ، يقرر أن « الشعر العربي الحديث في مأزق » .. لقد تأثرنا أساساً (بالقصيدة الأوروبية الحديثة) ، وكذلك بالبيئة .. بعضنا يحاول خارج « العروض » أن يقيم بناء (قصيدة معقَّدة) إلى حدٍّ ما ومركبة . الموجودون الآن هم إمَّا صحفيون ، وإمَّا أولئك الذين (يكتبون نصوصاً عمياء) من **البنيوية** التي تصلنا في أردأ صُوَر الترجمة العربية . نحن في مأزق ، ونطالب بعودة النقد .

وسادس من **تونس** يقول : « قصيدتنا سائبة بلا رؤيا ولا بؤرة .. وإذا أنت أمسكت بقصيدة ما ، وحذفت منها مقطعاً هنا ، أو غيَّرت من وضعه هناك ، فإنها تبقى كما لو أن شيئاً لم يحدث . البؤرة الجمالية التي تتشكَّل في نيرانها القصيدة ، وتتماسك تجربتها ورؤيتها ، غير موجودة » .

البنيوية التوليدية
وسوسيولوجية الغزل العذري

بقلم: د. نذير العظمة

يطرح لبيب طاهر الباحث التونسي في كتابه «سوسيولوجية الغزل العذري» مشكلة المنهج. والكتاب على ما يبدو أطروحة جامعية، كتبها المؤلف بالفرنسية، وترجمها إلى العربية الأستاذ حافظ الجمالي ترجمة جيدة، طبعتها وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق.

و «سوسيولوجية الغزل العذري»، دراسة متميزة وغنية، تحاول أن تقترب من ظاهرة الغزل العذري اقتراباً بنيوياً، وتعامل النص العذري، وبالتالي تيار الغزل العذري جملة، على أنه وثيقة فكرية، لا وثيقة إبداعية أو جمالية، فتهتم هذه الدراسة بدلالات النص العذري الفكرية والاجتماعية، أكثر مما تهتم ببنيته الفنية وصورته الجمالية.

والدراسات النقدية حول الغزل، ما تزال تجتذب حيويات متعددة بين المستشرقين والعرب على حدٍّ سواء، فللغزل العذري جاذبيته الخاصة في هذا الإطار، لكونه النموذج السابق للنص الصوفي في موضوع «الوجد».

وقد ترجم **الدكتور إبراهيم الكيلاني** كتاب ج. ك. فاديه **«الغزل عند العرب»** من الفرنسية إلى العربية بجزئيه القيمين، وصدر عن وزارة الثقافة السورية في عام (١٩٧٩م).

إن قصة **جميل بثينة** بوجودها التاريخي وواقعها الحي، كانت التربة التي نمت فيها قصص **«قيس وليلى»** في **صدر العصر الأموي**. وقد خصص صاحب **«الأغاني»** الجزء الثاني من كتابه لموضوعات هذا الحب وأساطيره وحكاياه وأشعاره، وعدّد لنا الأشخاص الذين اشتهروا باسم قيس ومعشوقاتهم من: **قيس بن ذريح إلى قيس بني عامر، وقيس بن الملوح**، وأسماء **لبنى أو ليلى**، وبما اتفق واختلف من أشعارهم وألحان ما غني منها.

إلا أن لبيب طاهر لم ينتفع بهذه المادة التاريخية الأدبية في بحثه، واكتفى بلمع زهيدة من أبيات المجنون، مجنون بني عامر. ولا عبرة برأي **طه حسين** من أن قصص الحب هذا كان منحولاً، لأن دراسة لبيب طاهر، تقوم دعواها على سلطة النص الشعري، دون أن تعنى بصحة النصوص أو فسادها، وتأخذ في اعتبارها الفرز الفولكلوري والأسطوري لغريزة الجنس عبر اللغة في أشكالها الشعرية.

وهاجس المنهج الذي تلهج به مقدمة الكتاب، لعب دورا حدي السيف في هذه الدراسة المتميزة، غير أن الوعي المنهجي لا يمنع من استقراء المادة المطروحة من خلال البعدين: العمودي، من حيث دلالات النص العذري، والأفقي من حيث مؤثراته في الوجود التاريخي للنوع أو الأنواع الشعرية والأدبية المتصلة به.

فبثينة ذات الوجود التاريخي، هي الأصل الذي تفرع منها الرمز الطهراني لليلى، ومن هذه انبثقت أسطورة العشق الصوفي.

دراسات في الغزل

وابن عربي في «ترجمان الأشواق» بتعامله مع الرمز الإنساني على أنه صورة للجمال القدسي، يمهد للقصص الفارسي في الحب الذي التحمت فيه النزعات العذرية والصوفية في سدى واحدة، مهد لذلك **نظامي** الشاعر الفارسي في قصته «ليلى والمجنون»، قرأنا ترجمتها إلى الإنجليزية، وترجمها إلى العربية **الدكتور غنيمي هلال**، وصاغ **عبد الرحمن جامي** (١٤٩٢م)، قصته الرائعة **«يوسف وزليخا»**، معبّراً عن نزعة صوفية متمكنة.

ثم إننا لا يمكن أن ندرس ظاهرة الغزل العذري معزولة عن الغزل المادي أو بالعكس، إلا إذا قيدنا النظر عن واقع الحياة واعتسفنا المنهج.

لذا، يبدو ضرورياً حين ندرس هذه الظاهرة أن نأخذ بعين الاعتبار وجهات النظر الأخرى، إن عن طريق التقابل، أو التناظر، أو الانسجام، أو التقاطع، والنقض أو التكامل.

ولذا، يبدو مهماً للغاية أن نستشير مثلاً دراسة، اعتمدت التناول التاريخي لتيارات الغزل في العصر الأموي (٧٥٠م)، كدراسة **الدكتور خلدون كناني**، صدرت في الخمسينات المبكرة (١٩٥٢م)، بالإنجليزية عن جامعة دمشق، وهي أيضاً أطروحة دكتوراه، ولا نعتقد أنها ترجمت إلى العربية، أو الفرنسية.



البنيوية التوليدية
وسوسيولوجية الغزل العذري

والتركيز على دراسة **الدكتور شكري فيصل** بنقضها وتصنيفها ، على أنها تتناول أيديولوجي لظاهرة الغزل العذري ، أو أنها فرز إسلامي عقدي لتفسيرها ، يوحي بأن همّ صاحب «سوسيولوجية الغزل العذري» أن يستبدل النظرية بنظرية أخرى ، ويضع مشروعية المنهج العلمي قبالة هالة العقيدة ، وما يأخذه عليه من جاهزية التفسير ، يقع هو نفسه فيه ، والوثيقة على الحالتين هي النص العذري .

قضية المنهج

وقضية المنهج التي يثيرها الأستاذ طاهر ، تصبح محقة عندما تشتمل على مادة الدراسة ونصوصها ، فلا نكتفي عن الحصول الفني لمواسم الحب العذري وقصائده الماثلة بأبيات ... ودة نوافق وجهة النظر المطروحة ، هذا هو عينه ما يسميه الكاتب بالجاهزية التي لا تصح في الدراسة الأدبية .

وليست قضية المنهج التي يثيرها بعض الدارسين بدءاً من طه حسين ، ومروراً **بالنويهي ، وغازي براكس** ، ووصولا إلى طاهر لبيب إلا تعلّة لإبراز وجهات نظر جديدة جاهزة فيما يختارونه من مادة قديمة .

وإذا كانوا يعنون بهذا سبل الدراسة المنهجية ، إلا أنهم بنتائجهم المقتسرة يعطلون الرؤية الواقعية النابعة من صلب التاريخ الإنساني .

ولعل التعود على المناهج الجديدة والدراسات المنهجية ، إن هو إلا ضرورة مرحلية لدارسينا ، شريطة ألا يجانبوا مجرى الحقائق التاريخية وألا يعتسفوا تفسيرها .

والبديل هو الرؤيا التاريخية الحقيقية للظواهر . أما حرية البحث والمنهج فهي من حق الباحث والعالم والناقد .

ولكي لا نهدر الجهد الإنساني ، علينا أن نحترمه . فعندما تكون النصوص مهيأة ، والمناهج جاهزة ومن خارج النص ، لا يبقى أمام الباحث إلا أن يرفض كل ما سبق من دراسات قائمة ومفاهيم مستنبطة ، والابتداء من جديد حسب هذا المنهج أو ذاك ، عندئذ تصبح صحة المنهجية نوعاً من الرياضة العقلية المعادية للواقع التاريخي ، لا لإضاءة الطريق إليه ، وتلمس بنيته وتحسس شخصيته .

يتبنى لبيب طاهر إذن طريقة **«لوسيان غولدمان»** ، واقترابه من فهم الظاهرة الأدبية ، وغولدمان هذا هو من أصحاب المناهج المتميزة في دراسات علم الاجتماع الأدبي . وتتميز بنيويته التوليدية عن غيره من البنيويين ، بأنها تقرأ النص قراءة سياسية اجتماعية جادة ، وتهمل الأبعاد اللغوية والفنية ، وهي بهذا تنسجم مع جذورها المشتقة من **جورج لوكاش** ، الذي يؤمن بجدلية العلاقة بين البنيتين الشكلية والاجتماعية .

البنيوية التوليدية

يزعم لبيب طاهر أن البنيوية التوليدية التي يبشر بها غولدمان ، تمكّن الناقد من رؤية العالم رؤية خاصة ، ومن داخل النص ، بعد أن يعزله عن كل المعلومات والمصاحبات التي قد تضلل الباحث وتقوده إلى تفسير مغلوط ، أو مفاهيم فكرية ، أو عقدية ، أو اجتماعية مقررة سلفاً .

لكن بنيوية غولدمان توقفت بموته ، فيأتي

★ د. طه حسين ★



لبيب طاهر ويحيي هذا الاتجاه الميت ، ويطبقه على ظاهرة الغزل العذري التي ، كما يزعم ، ليست كما تخبرنا الدراسات التقليدية رمزاً لروح الأمة ، أو العقيدة الدينية ، أو العصر بالنسبة للمنهج التوليدي البنيوي ، وهناك في رأيه نتائج دراسية أخرى ومفاهيم مناقضة .

ولكي يستقيم المنهج البنيوي التوليدي للمؤلف ، لا بد له من مسلّمات يرتكز عليها الباحث ، ليصل إلى ما يصل إليه من نتائج .

وليصل صاحب «سوسيولوجية الغزل العذري» إلى استنتاجاته النظرية ، أو الرؤيا العذرية الخاصة للعالم ، افترض عدة مسلّمات لا تصمد للنقد . فهو يفترض أن اللغة العربية ضمنت لأصحابها قيماً جاهلية في إطار النظام الإسلامي ، منها تفوق الذكر على الأنثى ، ولغة هذا شأنها ، تفسر المتكلمين بها على مثل هذا الاعتقاد . فلو أن تطوراً حدث وتغيرت الرؤيا ، كما جرى بالانتقال من الجاهلية إلى الإسلام ، فإن اللغة وبناها — في رأيه — تتحكم إلى حدّ بعيد بثبوت الرؤيا وفيمومتها ، وعلى هذا ، فإن موقف الرجل من المرأة ظل ثابتاً في الجوهر ، تمليه على العربي المسلم لغته التي تعبّر خصائصها الجنسية عن مثل هذا النزوع .

ونتساءل **هل اللغة سبب أم نتيجة ؟ وهل نفكّر خيراً أو شراً بتساوي الجنسين أو عدمه ، لأن صيغ اللغة تسمح بذلك أو لا تسمح ؟ هل تلغي اللغة فعاليات الفكر والنفس ؟ وما مدى مؤثرات التطور في اللغة وعناصرها ، هل هي من الثوابت التي لا تتغير أم إنها تشتمل على الثابت والمتحول في آن ؟**

كما يفترض الباحث التونسي ، أن يوسف الصديق ، هو المثال القرآني المعدل ، فيخضع سورة يوسف لتفسير بنيوي تجريدي ، لتستقيم له فكرة المثال المعدل . وكأن الخبرة التاريخية ، والنموذج التاريخي الإنساني لجميل بثينة غير كاف . والنزعة العذرية ، لها جذورها حتى في شعر الجاهلية وغزل عنترة وغيره يرهص بذلك . أضف إليه أن **البلاغة قد استقرت**

على ثلاثة فروع بالنسبة لعلومها :

★ **أولاً : علم البديع** وهو علم المحسنات اللفظية كالجناس ، والطباق ، والتورية ، وغيرها .

★ **ثانياً : علم البيان** وهو علم المحسنات في الجملة والعبارة كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية .

★ **ثالثاً : علم المعاني** ويبحث في وجوه المعاني في استفهام ، ونفي ، وتعجب ، ووصل الجملة ، وفصلها وقصرها . لكن لبيب طاهر يستخدم البديع بمعنى علم البيان ، ربما رجوعاً إلى **ابن المعتز** دون أن يأخذ بعين الاعتبار التطورات التي طرأت على هذا العلم ، أو أنه يجهل تقسيمات علوم البلاغة فيسند هذا الفرع ما لذاك .

وقد يبدو هذا تافهاً لأول وهلة ، ولكن عندما يقيم الباحث على جملة من التحليلات البنيوية إن للسياق اللغوي ، أو البلاغي أو الأسلوبي ، أو الإيقاعات العروضية جملة من الاستنتاجات النظرية ، يحق لنا أن نطالبه بالسيطرة على علوم اللغة ، وإلا لكانت نظريته قائمة على مقدمات خاطئة ، كما فعل حين عمّم خطأ بالقول : إن الجاهلية في شعرها لم تكثر من النظم على الأوزان القصيرة ، وإن القريض الجاهلي لم يعرف البحر الخفيف . وإننا لنتساءل كيف يزن **معلقة الحارث بن حلزة اليشكري** ، أو ليست من هذا البحر ؟! ، وكيف يبني على مثل هذه التحاليل غير الخبرية مثل هذه النتائج العلمية الضخمة ؟! . ثم كيف يطبق نتائج دراسات اجتماعية أجريت على قبائل إفريقية ، اعتسافاً على بني عذرة عندما يستنتج أنهم في علاقاتهم الجنسية يكتفون بالإرواء الشفوي قبالة الإرواءات الأخرى ؟! .

كيف يمكن للنظرية التي يطلع علينا بها الكاتب بهذا الوضوح والتميز ، وأن يكون التطبيق قائماً على الاجتزاء والتعسف في استقراء النصوص ؟! .

قد نسلم معه بتجاوز الدراسات المعاصرة أو الحديثة حول ظاهرة الغزل العذري ، ولكن كيف يمكن للباحث أن يتجاهل **كتاب « الزهرة » لمحمد بن داود الأصفهاني** توفي عام ٢٦٩ هـ ، وكان قدوة **لابن حزم في « طوق الحمامة »** . وهو من أهم ما كتب في أحوال الحب نثراً وشعراً ، لا سيما أن ابن داود جرّد ظاهرة الحب العذري من ادعاءات الصوفية ، ودرسها على أنها ظاهرة إنسانية ، لا علاقة لها بالحب الإلهي ، فدرس عاطفة الحب في المجتمع الإسلامي ، واتجاهاتها ومصاحباتها الدينية والفلسفية ، وأقام نظرية واضحة متميزة لهذه العاطفة مؤيدة بالنصوص والشواهد الشعرية .

ولنفترض أننا سلمنا لصاحب « سوسيولوجية الغزل العذري » بالعودة إلى النص الشعري وسلطته ، وأقمنا معه جدراناً منهجية عازلة من الناحية « الكرونولوجية » ، وقيدنا أنفسنا معه بنصوص الغزل في الحقبة الأموية فما هي النتائج ؟! .

إن الظاهرة الأدبية كالغزل العذري – في رأي لبيب طاهر – ليست تعبيراً عن الأمة والعصر ، بقدر ما هي تعبير عن جماعة أو مجموعة بشرية ، مخصوصة في ظروف اجتماعية وبيئة مخصوصة . ولكل مجموعة بشرية لا بد من ممثل أو قائل ، يعبّر عنها وعن مثلها وتصوراتها ، أو أحلامها وخيباتها . والتعبير لا يتم عن طريق مباشرة ، بقدر ما يتم بطريقة التماثل ، ويبدو التماثل هنا مصطلحاً غامضاً نوعاً ما ، لا بد لنا من مزيد من الشرح أو الاستمثال ، حتى ندرك حقيقة ماذا يقصد لبيب طاهر بالتماثل ؟! .

وكأني بالتماثل ، كما يذهب إليه صاحب « سوسيولوجية الغزل العذري » ، يعني به « **البديل الموضوعي** » « OBJECTIVE CORRELATIVE » للشاعر والناقد الإنجليزي **تي . إس . إليوت** في مقالة بعنوان « هاملت ومشكلاته » عام ١٩١٩ م ، يلخص إليوت « معادله الموضوعي » كما يلي : « **الطريقة الوحيدة في التعبير عن الانفعال في شكل فني تكون بإيجاد « معادل موضوعي » بكلمة أخرى ، بإيجاد مجموعة من الموضوعات ، موقف ، أو سلسلة من الأحداث تكون صيغة لذلك الانفعال ، بحيث إنه حين تعطى الوقائع التي تنتهي في التجربة الحسية ، يستثار الانفعال فوراً** » . انظر : (كتابنا السياب وسيتويل) ، ص ٥٢ ، الكويت ، عام ١٩٨٣ م .

إلا أن بنيوية غولدمان التوليدية ، لا تهتم بالانفعال بقدر ما تهتم بالدلالة والرؤية الخاصة للعالم والفن .

فالشاعر العذري ، حين يستخدم المصطلح الإسلامي في التعبير عن حبه وذاته ، فهو لا يعبّر عن مؤثراته العقدية في نفسه ، بكلمة أخرى إنه – في رأي المؤلف – لا يعبّر عن القضية الدينية ، بقدر ما يعبّر عن قضيته هو ، وهي قضية المجموعة البشرية التي ينطق باسمها ، فما هي هذه القضية التي تزعمها البنيوية التوليدية لبني عذرة ؟! .

في رأي لبيب طاهر ، هناك رؤية جاهزة للنص العذري عامة مسطحة ، وغالباً ما تأتي من خارج النص . إن من العقيدة الدينية ، أو من المفاهيم الأدبية السائدة ، والجاهزة ، أو منهما معاً .

لقد تناول الظاهرة العذرية أكثر من دارس ، لكن هذه الدراسات كلها ، قامت من خارج النص العذري بزعمه لا من داخله ، إذن لا بد من رفضها رفضاً كاملاً ، والبدء من داخل النص العذري حتى يصل إلى رؤية خاصة للعالم .


★ د . شكري فيصل ★



وعلى هذا ، فإن المؤلف يزعم أن الدكتور شكري فيصل في دراسته « **الغزل في العصر الأموي** » ، يربط ظاهرة الغزل العذري بالضمير الديني . لأنه يأتي إلى النص العذري من خارجه ، من الاعتبارات الدينية التي تجعل من النص العذري ذا دلالة وظيفية تعكس القيم الدينية .

بينما للنص العذري في رأي البنيوية التوليدية التي يعتنقها لبيب طاهر وظيفة أخرى – إنه نواة وعي لمجموعة اجتماعية محددة – تعيش في شروط مكانية وزمانية مادية خاصة لبني عذرة .

لكننا نتساءل هنا : ماذا عن الشروط الروحية ، هل هي في معزل عن عملية الإبداع الأدبي للنص العذري ؟! .

وإذا أمكنت هذه للتجزئة في عملية النقد ، لتسهيل الدراسة ، فهل التجزئة في الشروط الإنسانية من مادية وروحية أمر حقيقي وواقع ؟! .

وماذا في النص العذري يعود إلى الروح ، وماذا يعود إلى المادة . هذه الأسئلة تشي للقارئ مدى التعسف والاجتزاء ، حين يريد الدارسون والنقاد أن يطبقوا المناهج الجاهزة على جسم أدبنا ، الشعري منه بشكل خاص .

وأنا هنا لا أود أن أتخذ موقف المحامي ، الذي يريد أن يدافع عن الوظيفة التي يعطيها هذا الباحث ، أو ذاك للنص العذري ، أو لغيره من النصوص ، كونه يعبِّر عن عصر ، أو مرحلة اجتماعية عامة ، أو خاصة لأمة ما . لكني أتوجس خيفة من هذه الوثوقية العلمية في دراسة نقدية . هذه الوثوقية يتحرز منها رجال العلم في عالم المادة ، فكيف لنا ذلك في عالم الروح ، الذي يتوهج علينا بالصور الشعرية ؟! .

ولا يسعنا إلا أن نعبِّر عن إعجابنا بتماسك النظرية التي يعرب عنها لبيب طاهر وتوازنها ، منطقياً على الأقل ، ومن خلال منظور البنيوية التوليدية ، إلا أننا نحزن ونكتئب حين نجد طرق الاستقراء والاستدلال تسلك مسلك الاجتزاء

البنيوية التوليدية وسوسيولوجية الغزل العذري

والقسر ، رغم جاذبية الوسائل وغناها في الدراسات المنهجية الحديثة .

إن النظرية والمنهج عنده ملتصقان ، ومفادهما أنه يعين أولاً « استراتيجية جنسية » ، تكشف عن نفسها في « استراتيجية لغوية » ، ثم ينطلق إلى دراسة النص العذري كوثيقة جمالية ذات دلالات . فهو في رأيه تعبير عن جماعة هامشية فقدت انتماءها إلى جماعة البدو الذين اشتركوا في حركة الفتوح ، وكان لهم مكان ومجد في التركيب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للإسلام ، كما فقد العذريون انتماءهم أيضاً إلى جماعة المدن « **مكة المكرمة والمدينة المنورة** » اللتين تزعمتا ونظمتا حركة المد الإسلامي وقيادته إلى المجد السياسي والحضاري في الفتوح المبكرة .

في هذا الإطار ، كان العذريون ببنيتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية يشكلون جماعة هامشية لا تنتمي إلى هؤلاء ، وأولئك ، كانوا هامشيين يبحثون عن قضية ، كما يذهب إليه صاحب « سوسيولوجية الغزل العذري » . وفي رأيه أيضاً أن الشاعر الجاهلي بنزعته الملحمية كان له الاختيار ، أما الشاعر الإسلامي فقد تخلى للإيمان عن الاختيار ، إما وراثة أو طواعية . على هذا ، فقد تقرر موقفه سلفاً .

وبهذا ، تصبح قضية الشعر العذري استرداداً لما ضاع من حرية الاختيار ، فالشاعر العذري ، لكي يسترد اختياره المفقود ، يفعل ذلك لا بالتعبير عن « **الضمير الجمعي** » الذي تفرضه عليه الأمة – الجماعة ، بل يعبِّر عن الضمير الخاص لجماعة مخصوصة بطريقة التباعد من خلال النص العذري كما يراه لبيب طاهر .

وعلى هذا ، يصبح التوحيد في الحب ، لا انعكاساً للتوحيد في العقيدة ، بل هو طريقة في الرفض للقيم السائدة ، لا للتعبير عنها . كما يصبح الجهاد جهاداً في الحب والمرأة ، لا لدخول الجنة .

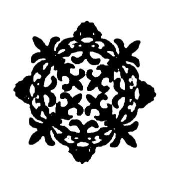
وعلى هذا أيضاً ، فإن الشاعر العذري عندئذ ، هو الممثل للجماعة أو الفاعل الذي يعبِّر لا عن روح العصر والضمير العام ، بل إنه يكشف لنا بمواقفه وشعره عن قيم مجموعته وضميرها الخاص بأن يخلف قضيته هو التي تتلبس مصطلح القضية العامة .

بالنسبة للشاعر العذري ، ليست القضية هي العقيدة التي يعبِّر عنها في شعره ، إنها الحبيبة التي لا ينالها ، يمتلكها الآخر الغني ويبقى هو محروماً ، وهو استنتاج يعتمد على التأويل إلى حدٍّ كبير في القسم الأول منه . أما القسم الثاني منه ، فهو حقيقة تاريخية لا جدال فيها .

ويضيف لبيب طاهر إلى تأويله هذا تأويلاً آخر ، يتحمل كثيراً من الأخذ والرد ، لكنه يصوغه صياغة ووثوقية أشبه بالقوانين . فالتعالي على النوال بالرفض في رأيه ، هو رفض للقيم السائدة لا تعبير عنها ، وهو منطق أشبه لمنطق هيغل المثالي الجدلي الذي تولد فيه القضية نقيضها .

وهكذا ، فإن لبيب طاهر يتبنى بنيوية لوسيان غولدمان ويطبقها على ظاهرة الغزل العذري في العصر الأموي ، بعد أن يجري عليها تعديلات طفيفة ، يستقرئ أبياتاً مجتزأة بعينها ، ولا يزودنا بدراسة نموذج واحد كامل من نصوص الغزل العذري ، ويكتفي بالاستشهاد بأبيات معدودة ليدعم نظرية بنيوية خطيرة لهذا الحجم ، وحين لا يكون المنهج منبثقاً من مادة الدراسة تؤدي بنا المناهج المستعارة إلى تعسف في التطبيق واستخلاص النتائج .

نحن مع النص الشعري وسلطته ، لكن الاستقراء الشامل للنصوص وجميعها متوفر ، ليس أمراً ضرورياً بل هو مطلوب .



الحبر

بدايات

أول وثيقة مكتوبة بالحبر، عثر عليها مخطوطة على ورق البردي في مصر، ويعود تاريخها إلى ألفين وخمسمائة عام قبل الميلاد.

ومنذ ذلك الحين، حتى الآن، لعبت صناعة الحبر دوراً بالغ الأهمية في تحقيق التطور المعاصر لصناعة حبر الطباعة، حتى أصبحنا الآن نشهد أحباراً من كافة ألوان الطيف الأساسية، بظلالها التي تصل إلى المائة درجة لونية.

بالنسبة للأحبار المبكرة، فكانت تصنع بنقع الكربون ـ على هيئة **هباب المصابيح الأسود أو السخام** Soot ـ في الماء أو في الزيت.

ومع القرن السابع أو الثامن الميلادي، بدأ ظهور **العفصة المعدنية** metal gall .. **والعفصة هي التورم الناشئ على نسيج النبات أو الشجر نتيجة تعرضه لهجمات الحشرات أو الآفات الزراعية.**

وبعد فترة من الزمن، استعيض عن العفصات **بمحلول التنيك**، مع إضافة **النيلة** (وهي صبغة طبيعية). ثم استبعدت النيلة لتحل محلها **صبغات تركيبية من قطران الفحم.**

أحبار قلم الحبر.. يتم تلوينها بالصبغات القابلة للذوبان. وهي تجف باختراقها للورق ثم تبخر المحلول. وأحبار قلم الحبر تصنع بتقليب الأصباغ في المحلول. أما الشوائب فيتم التخلص منها بالترشيح أو بتمرير الحبر في جهاز الطرد المركزي centrifuge.

الحبر الأزرق الداكن blue - black **يكتسب لونه الأزرق من الصبغة. ومع تعرضه لأوكسجين الهواء يختفي اللون الأزرق، وتتحول أوكسيدات التنيك إلى اللون الأسود**. ومن ثم يصبح هذا النوع من الحبر ثابتاً لا ينمحي من على الورق، في حين تتكوّن **الأحبار القابلة للإزالة** من محاليل بسيطة من المادة الملونة الذائبة في الماء التي تحتوي على نسبة ضئيلة من المادة الحافظة persevative.

أما **أحبار الأقلام ذات السن اللبّاد** (الفلوماستر)، فيتكوّن سنها من مجموعة من أنسجة اللباد الملتصقة إلى بعضها البعض بالراتنج، مع وجود فراغات صغيرة فيما بينها تكفي لمرور الهواء بين الأنسجة حاملاً معه الحبر، وذلك بقوة **الخاصية الشعرية** capillary action.

وهذا الحبر يشبه حبر الكتابة العادي، لكنه يضم نسبة أعلى من **المادة المرطبة** التي تحول دون جفاف السن وإعاقة الحبر عن النفاذ من خلاله.

وأما **أحبار القلم الجاف** Ballpoint inks، فهي تنتقل إلى الورق من سطح كرة بالغة الدقة والصغر، يتراوح قطرها بين ٢٨ إلى ٤٠ من الألف من البوصة (أو بين ٠,٧ إلى ١,٠٠ ملليمتر)، ونظراً لصغر الكرة، والمسافة الضئيلة جداً بينها وبين مكمنها، فإن حجم الحبر الواصل إلى الورق يكون ضئيلاً.. الأمر الذي يؤدي إلى زيادة تركيز اللون في هذا النوع من الأحبار. **وبمقارنة الحبر الجاف بالحبر السائل، يتضح أن كميته في أنبوب القلم الجاف تكفي لرسم خط مستمر يتراوح طوله بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ ياردة، في حين أن نفس الكمية من الحبر السائل، لا يزيد الخط المستمر الذي ترسمه عن مسافة تتراوح بين ٨٠ إلى ١٠٠ ياردة**. ولكي لا يجف هذا النوع من حبر القلم الجاف ـ في المسافة بين الكرة ومكمنها ـ فإن **تركيبه يتضمن مواداً بطيئة الجفاف للغاية**، كما أن عملية ترشيحه تكون دقيقة جداً.

أما بالنسبة إلى **أحبار الطباعة**، فإن تركيباتها تختلف وفقاً لعوامل عديدة منها المادة المراد طبعها، وعملية الطباعة المستخدمة، وطريقة التجفيف، ونوع الطباعة، ومدى الحاجة إلى نوعية الحبر الثابت، وسرعة التلوين.. وهكذا. وباختلاف هذه العوامل، تختلف طريقة التعامل مع أحبار الطباعة من حيث:

- **سرعة التجفيف،**
- **درجة السيولة في الحبر،**
- **التلوين،**
- **تباين درجة ضغط الحروف على الورق في عملية الطباعة.**



بلقيس وأسراب الطيور

شعر: أحمد سالم باعطب

يا أنتِ يا زنبقة جردها الخريف
من شبابهـا
ألقت بهـا الـرياح
في سـلة الضـياع
تشرنقـت في حضـنها
قوافل الجراد
وعربد الـذباب في ثيـابها
في لحظة مجـدورة اللسـانِ
تحجرت في صـدرها الثواني
وشـاخت الحـروف والمعـاني
أخرج من أحشـائها زمـاني
صبيةً بكماء
تعوم في براءة في بركةِ الدماء
تسرق من يديها
في القريةِ المجاورة، غربانُها المهاجره
فستانَها المطـرز الجميـل
في صدرها حمامةُ السلام
مرسومةً بلهفـةِ القلـوب
تبيضُ شوقاً في محاجر العيـون
تحمـلُ في منقـارها الحنـون
أوسـمةَ الجنـون
هل يا ترى تعرفُ ميسـلون؟
قصيدةٌ منقوشةٌ في رعشةِ الجفون
مـدادها عصـارةُ الـزيتون
تقـرؤها الجنـاةُ للجنـين
عـاصفةٌ تعـج بـالحنين
في موكبٍ مهلهلِ الشهور والسنين

* * *

في الغابةِ الخرساء
بلقيسُ مـن شرفتهـا تـطل
تبصر في زنـزانةٍ قـديمة
بعضَ بقـايا شبح الجـريمة
تمـرَّد السـكونُ في الجحور
وارتعـدتْ فـرائصُ العصـفور
وانتفضتْ جنازةٌ في رحم الطريق
تلعنُ حامليها
وحرةٌ تهربُ من بنيها
في لُجَّة الديجور
ولوَّث الزمان/ طهارة المكان
وأشعلَ الإنسـان
من رئةِ النسيان
لفـائفَ الـدخان

* * *

بلقيس يا عظيمة/ تختالُ في بحيرةِ الشفق
بيـدرُكِ المزروعُ بـالمشوره
تخفق في سمائه أغنيةٌ وصـوره
أبصرتُ في عينيـكِ
ألفَ سـؤالٍ حـائر
تلفه غـلالـةُ الألـم
تحرقُه الدموعُ بالندم
يجـذبني إليـكِ
يكتبُ في يـديكِ
أحجيةً عن هدهدٍ طعـين
وشمعـةٍ مقصـوصةِ الفتيلـه
تغتالُـها أصـابعُ الـرذيله
في مسرح محـطم حـزين

* * *

يا أنتِ يا مليكةً في دولةِ الحسان
لا تكشفـي للموتِ عن ساقيك
لا تسلمي لثغره كفيك
هذي الـذئابُ رابضـه
لا تقبـلُ المعـارضه
باسطةً أذرعَها وقـابضه
تدعوكِ للمقايضه
صرحُك هذا الشـامخُ الـمُمَرَّد
الليـلُ في ضـلوعهِ يعـربد
تـرسم في ظـلالـه السهاره
بـاخرةٌ وقـاطره
ومـدفعاً وطـائره
في شارع تسبحُ في دمائهِ الصبايا
تضيئه جماجمُ الضـحايا
تفسـخت بـه الحضـاره
وزغـردت بـه القـذاره



وانتحر البريقُ في العيون
والتحم السلامُ بالجنون
والناسُ مهطعون
تكسرت على رؤوسهم
عُرى القلالِ والصحون
عن دينهم عَمُون
للموتِ يُهْرَعون

* * *

كل العيون في الدجى تغازل
لتطفئ السنابل
لكنها في لغةِ القنابل
مريضةٌ في موكبِ الأرامل
في حانةٍ مشلولةِ المشاعل
بلقيس يا عزيزة
لو عدتِ تشهدين
في موسم الأنين
في عامنا الجديد
مولودَنا القعيد
في ملجأ الجليد
يمضغُ أخمصيه
يعجن راحتيه
في شارع الرقيق
تحرسه الجراح
تسخر من دموعهِ الوهاد والبطاح

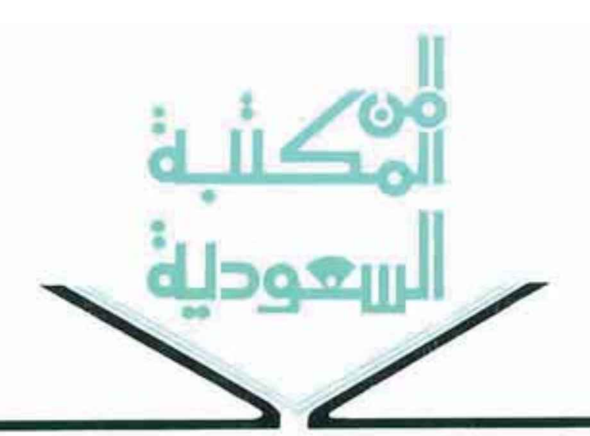
يلفظه المساءُ والصباح
يعانقُ الحريق
من زورقٍ في المرفأ الغريق
تناثرتْ على الطريق
أشلاؤهُ
كأنه مسافرٌ بلا رفيق

* * *

يا أنتِ يا مليحة
تنسجُ من ضفائر القمر
ثوبَ زفافها الموشّى
عيناكِ لن تزالا
قذيفتيْ غضب
يا أنتِ يا جميلة
تملأ من مباسم المطر
بالحب جرتين
عيناكِ لن تزالا
جسرين من لهب

* * *

في ليلةٍ عاريةِ الدروب
يغسلُها الشتاءُ كي تتوب
من رجس الذنوب
بالثلج بالصقيع
وديمةٍ غضوب
نامَ الخفير متعبا
وأسرعتْ لغرفتي الحزينه
رقطاءُ أَسْمَتْ نفسَها أمينه
واختبأتْ في جوفِ مدخنه
واتخذتْ ملاءةَ السكينه
قلعتَها الحصينه
قد خانَها خيالُها الكذوب
توهَّمتْ أنَّ النهارَ تائهٌ في لجة الغروب
ولن يؤوب / لن يؤوب / لن يؤوب
ولن يشعَّ في الوجود
من شاطئْ الجنوب
فجرُ السَّنى
فجرُ النَّدى
فجرٌ يموجُ بالطيوب
تسري بهِ مواكبُ القلوب



● الكتاب: الشروح والتعليقات.
● المؤلف: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري.
● الطبعة الأولى: سنة ١٤٠٣هـ.

هذا الكتاب هو السفر الأول من شروح كتب الأحكام مع تعليقات متعددة عليها، وكتب الأحكام ـ صغرى ووسطى وكبرى ـ هي لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي البجائي ابن الخراط (٥١٠ ـ ٥٨٢هـ)، وقد أضيف إلى تلك الشروح مؤاخذات أبي الحسن بن القطّان التي رصدها في كتابه «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتب الأحكام».

ولما كان هذا هو الميدان ـ ويحكمه قطبان كما نرى ـ فقد كان لا بد أن يقسم الكتاب إلى قسمين أحدهما لعبد الحق ومؤلفاته، والآخر لابن القطّان ومؤلفاته أيضاً. وقد نبّه أبو عبد الرحمن إلى أن ما اعتمده في ذلك السفر هو «كتاب الأحكام الصغرى» وزاد شيئاً من الوسطى والكبرى «حسب النسخ المتوفرة لديّ منها» (ص ٦) كما زاد على المتن بما وضعه بين معقوفين [...].

وأما أسانيده إلى كتب عبد الحق فكثيرة، أحدها لإسماعيل الأنصاري إجازة قال أبو محمد عبد الحق المكي في ١٣٧٢/٢/١هـ إجازة، وآخر لشيخه أبي تراب الظاهري بالإجازة مشافهة عن أبيه عبد الحق إجازة، وثمة أخر من طريق شيوخه يطول أمرها وإن تكن ذات فائدة لمن يريد أن يوثّق «المادة» التي يصدر عنها أبو عبد الرحمن معلناً أن تحقيق المتون وضبطها ثم نشرها من ذوي الاختصاص «أهم وأوجب من معاناة التأليف المستجد فيما فرغ منه الأسلاف تحقيقاً وتعليقاً، إلا أن يكون التأليف في جمع متفرّق نادر أو تصحيح خطأ شائع أو استكمال بداية من خلال وسائل علمية استجدت». (ص ١٣).

وفي هذا نظر على أية حال، وإن لا ينقص من صنيع المحققين أمثال أبي عبد الرحمن حتى وإن استثنوا من ذلك الموسوعات التي يراد بها التعويض عن جميع نوادر المصادر.. وإنما يبدو أن حماسته لعبد الحق ـ الذي لم يُطبع له كتاب قط! ـ دفعته إلى تقريظ صنيعه دفعاً.

ويحدثنا عن عبد الحق بمثل النبرة التي تحكم حديثه عن ابن حزم، وقد كان فيه ـ كما يقول ـ نكهة ظاهرية لذيذة! فهو إمام حافظ يستأنس به المحدثون ويعتمد عليه الفقهاء والمتكلمون، وعنه نقل النووي والذهبي وابن حجر، وفقهاء المذهب المالكي، وجهرة مخرّجي الأحاديث ومحققي أسانيدها.. وذكر أن سكوته عن الحديث مشهور، والسكوت عن الحديث ـ بوجه عام ـ إنما هو حجة للفقهاء على صحته يأخذونه ويسلمون به.

وأما انتقاد أبي الحسن القطان له في كتابه المذكور فهو كما قول أبو عبد الرحمن: من الخلاف الذي يتسع فيه الاختلاف... فلا يعكر صفو الإجماع على إمامة عبد الحق وتبحره، بل هو في درج سنة الله الكونية القاضية بقطع الموهبة البشرية عن غاية الكمال. (ص ١٧٠).

ثم يعقب ذلك حديث أبي عبد الرحمن عن مصادر عبد الحق، فإذا هو محاولات صعبة لاستيعاب أعظم قدر من مروياته ومصادر علمه بجانب شيوخه.. حقيقة هي مبثوثة هنا وهناك في الكتاب، إلا أن بعضها مفقود كالتعريف والتذكرة لتلميذه أبي الخطاب بن خليل، وبعضها لا يزال تحت يده لم يستطع تصفحه بعد كموسوعات الحديث مثلاً، وبعضها اطلع عليه فلم يفد منه جديداً كترجمة ابن مخلوف في كتابه «شجرة





★ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ★

النور الزكية في طبقات المالكية».

وفي حديثه عن صلته بأعلام عصره ترجم ثمانية وخمسين عالماً (ص ٥٢ ـ ٧٩) وسرد أخباره وأورد بعض شعره وهو من البارد ـ ككل شعر العلماء ـ إلا قليلاً فيه فكر ووعظ. وأما مؤلفاته فذكرها جملة كالأنيس في الأمثال والمواعظ وكتلقين الوليد، ثم وقف متأنياً عند الأحكام الشرعية الصغرى (ص ١١٣ ـ ١١٧)، فالأحكام الكبرى (ص ١٢٤ ـ ١٢٩)، فالوسطى (ص ١٣٠ ـ ١٣٣) وفي ثلاث صفحات تحدث عن كتابه «الجمع بين الصحيحين» (ص ١٢٧ ـ ١٣٩)، وفي ست صفحات تحدث عن «مختصر كتاب الرشاطي في الأنساب من القبائل والبلاد» (ص ١٤٥ ـ ١٥٠).

وابتداء من صفحة ١٥٦ يتجه أبو عبد الرحمن في القسم الثاني من الكتاب إلى ابن القطان فيشبعه درساً وتمحيصاً، متّبعاً أسلوبه في البحث والتدقيق.. فيعرّف به بادئ ذي بدء ويذكر أنه كان معروفاً بالحفظ والإتقان، ومن أبصر الناس بصناعة الحديث وأشدهم رواية مع تفنّن ومعرفة ودراية، وكان مصري الأصل مرّاكشي الدار، وقد روى عنه ابن الأبّار وآخرون، ألّف كتاباً في القياس وشرح أحكام عبد الحق في كتابه «الوهم والإيهام» وولي قضاء سجلماسة من المغرب وتوفي بها سنة ثمان وعشرين وستمائة.

ولقد خصّ أبو عبد الرحمن مصادر الأحكام الوسطى بالبسط على أساس أنها منطلق ابن القطان، وقوامها خمسة وعشرون علماً مقتصراً في الحديث عنهم على ذكر الاسم والكنية والبلد، وعازفاً عن ذكر أخبارهم.. وأول هؤلاء أبو بكر محمد بن إسحاق صاحب كتاب المغازي المعروف، وقد توفي سنة إحدى وخمسين ومائة (ص ١٧٢) وآخرهم شيخه ابن حزم (ص ١٩٢) مع جملة من المصادر الأخرى ألفها أمثال الخطيب البغدادي وابن أبي داود والثعالبي وابن عبد البرّ.

ولما كان بيان الوهم والإيهام هو المناط في الشروح والتعليقات فقد عرف بنسخه وبأبوابه (ص ٢٠١ ـ ٢٢٦) الثلاثة والثلاثين التي لم يستطع ابن القطّان فيها تقصي الملحوظات كافة على الإمام عبد الحق.

وقد حلّى هذا العرض المستفيض بنشر مقدمة ابن القطّان لكتابه الوهم والإيهام، وفيها يعترف بأهمية آراء عبد الحق، ففيها «أربى على الغاية وزاد.. فلذلك لا تجد أحداً ينتمي إلى نوع من أنواع العلوم الشرعية إلا والكتاب المذكور ـ الأحكام ـ عنده أو نفسه متعلقة به» (ص ٢٢٩) وبعد ذلك خاض في ذكر سلبياته وما غفل عنه فيه ليحذر العلماء الوقوع فيما وقع فيه عبد الحق!

وكأنما أحس أبو عبد الرحمن وقد انتهى من كل شيء أن ثمة أموراً فاته أن يعرض لها فختم بما سماه «مقدمة المحقق» وكان الأولى أن يجعله ذيلاً أو تعقيباً أو استدراكاً، إذ لم توضع مقدمة كتاب قط في آخر صفحاته.

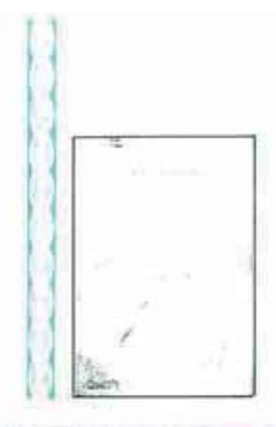
● الكتاب: حلم (مجموعة قصصية).

● المؤلف: رقية حمود الشبيب.

● الناشر: نادي القصة السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

غرة الصبح السامقة الطول.. الدعجاء.. العيناء.. تحلم مع أن سفر التاريخ غادرها، ولا زالت (تقصد ما زالت أو ولا تزال) تدوزن أوتار القلب لعزف مقطوعة سكتت منذ بعيد!.

وفي الحلم ترحل على القلوص وفي خاطرها أو هاجسها أو خيالها سوار كسرى وسراقة البارقي وعنترة وتيمورلنك وبلقيس وامرأة العزيز وأسفار حمار



وبراقش الكلبة وقزحيات مفروضة . . .

ثم لا شيء بعد يمكن أن يتشكل منها حتى بأقلّ قدر من المنطق ، أو بما يمكن أن يرىٰ التشكيل من السيريالية الموجوعة الفكر . . والمفروض أن مثل هذا وذاك قصة قصيرة معاصرة أو حديثة تنتمي إلى جيمس جويس ومارسيل بروست ـ ولا أقول مارك توين ـ وفرجينيا وولف ، ومن ناحية أو أخرى إلى ناتالي ساروت في آخر الصف ! .

وقد اختارت رقية الشبيب لتلك المفردات المذكورة عنواناً طويلاً هو « في سفر التاريخ . . قراءة » ولو قلبنا العنوان لصار « قراءة في سفر التاريخ » ، إذن فنحن أمام رؤية للكائن المتحقق والآخر المتسامي . . لكن لأن التاريخ متشابك ومتعقد ، أو لأنه لم يقنع قط ـ حتى في الماضي ـ بتحديد المجرى الطبيعي للأحداث ، مما يسعف على تعيين صلاتها الخارجية وفهمها ، فقد تحوّل على يديها إلى أضغاث أحلام تتنكر لطبيعة الإنسان وإمكانات تصوره . . كأنه صار ـ عند رقية ـ ينتظر القوة الإلهية التي تخلصه من عنايتها لأنه ملعون ، والرحلة فيه ملعونة ، والصبر على قراءته لعنة أبدية ! .

وقد كان هذا هو رد الفعل لقراءة أول قصة قصيرة في كتاب رقية حمود الشبيب ، وانتحلت لها الأعذار . . ثم أهبت بنفسي أن تقرأ الثانية والثالثة وسائر القصص في الكتاب (١٣٤ صفحة) ، فعرفت كيف تستطيع الكلمات أو الصياغة المثقلة بالأخطاء اللغوية أن تجعلنا نحن القراء البسطاء لا نشعر بواقعية العالم من حولنا .

أربعة عشر عملاً يجمعه ناظم مسؤول تدعمه الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في كتاب أنيق . . ثم نرانا فيه مبعدين عن الحياة حتى في إطار دعوى أنه « قصص سعودية قصيرة » .

أليس يكفي أن يفترض أنها عربية ؟ .

ثم أية ملامح تلك التي تؤهلها للتحدد بسعودية ما . . ألأن فيها ذكر للقلوص ، وأكلة الأكباد ، وأسماء ، وبراقش ، وزرقاء اليمامة ، ورحلة قرشي من آلاف (كذا) السنين بين الشتاء والصيف ؟ .

ألم تعلم الكاتبة أو الجمعية أن كل أولئك محصلات مرحلة يرفض كثير منا أن يذكر بعض ما فيها جنباً إلى جنب مع مجد الإسلام ؟ .

وحتى إذا بحثنا عن الشخصيات الأشباح التي تتحرك في العدم ـ لا حركة إذن ـ فلن نجد إرادة يعرفها الإقليم ولا الحدس ولا الأسلوب الذي يشف عن نبض سعوديّ واحد ! .

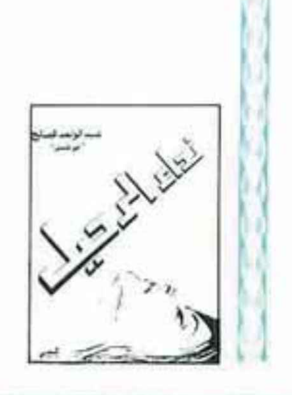
فكأن « حلم » رقية خارج المكان مثلما هو خارج الزمان ، وهو ككتاب يتضمن « قصصاً قصيرة » خارج عن شرائط هذا الفن ومقاييسه ، إلا إذا أحصينا صفحات كل قصة وقدرنا زمن قراءتها ! .

وهنا يلح عليّ كلام قاله الكاتب خفيف الظلّ عبد الله باجبير في مجموعة قصص نشرتها زهرة سعد المعبي . . وتأويل هذا الكلام قارص مؤلم ، ذلك أن عندنا ـ نحن العرب كافة ـ فئة تكتب شيئاً لا هو نثر ولا هو نظم ويوصف بأنه الجنس الثالث من الأدب .

وأخشى أن تكون مجموعة رقية « نموذجاً » لهذا الجنس المشوّه . . ولقد قدمنا قراءتها في سفر التاريخ شاهداً ، إذن نقدم شاهداً أكثر تماسكاً هو « حلم » ، وذلك عنوان قصة استعير للكتاب كله .

القصة ديالوج ذاتي تقطعه ملحمية ويظل يترقرق شاعرية ، إلا أن الحابل من الفكر يختلط بالنابل . . لا لتقحم الملحمية مع الغناء الدرامي ، فهذا مقبول بأي مقياس ـ وإنما لتهالك البنية الفنية ، وإذا الحلم الذي مضى رخاء يتحول إلى هلوسة تبيت فيه قطعاً من الحلوى كلّ الطرقات وحتى فراش عنترة ـ وهو مرآة الراوية البطل ـ وقد امتلأ وجهه بتجاويف الجدري « وبأقاصي خلجانه يقيم الألم » (ص ٦٢) .

ويتداخل رفيق البطل العنتري العاشق المجدور ، وقد شهر سيفه اللامع وامتطى صاحبته وعاشقته ـ تقصد المكنسة ـ ندخل نحن في متاهة رؤية كابوسية ، فلا ندري من الذي يراد إعادته مزهراً ورائعاً « وأنت يا عبلتي . . يرمقها بحنوّ يرفعها ، يلوّح بها في كلّ مكان يتذكر بيتاً حفظه من . . من قاله لا يدري . . وددت تقبيل السيوف . . آه



خنتني يا ذاكرتي .. لا أدري ما تتمتها .. يرمقها بلحظة انفعال ، يدنيها من فمه ، ترتعش شفتاه . عندما هربت من عصا المدرس وعقاب زوجة الأب دليل الغربة ، كنت وأنت وحدك طريق للحياة ..» (ص ٦٤) .

لقد شرّدته ظروف حياته فامتهن كنس الشوارع والطرقات .. عرفنا ذلك في مفاجأة اتسعت لها سطور الحلم الأخيرة ، وبرغم اعتساف الحيلة لا تدخل «حلم» من حيث هي قصة في الجنس الثالث إلا بصعوبة ! .

ولسنا نظن ـ وقد رأينا طرفي الحبل في المجموعة ـ أننا بحاجة إلى تحليل بقية القصص ، كذلك لا نريد من أحد أن يظن أننا نحمل على كتّاب القصة القصيرة وإن كنا ـ منذ بعيد ـ ننادي دائماً بأن يصحح الكتّاب نظرتهم إلى هذا الفن العظيم .

وفيما يتعلّق برقية الشبيب نحسب أن توجهها الأسلوبي في حاجة إلى إعادة النظر .

غير أن ذلك ـ والحق يقال ـ لا يعني الحطّ من قلمها ! ، بالعكس .. فإننا نشعر بأن قلمها وقد حمل عبء ثقافة لا شك أنها عون على بسط فكر قادر ـ فعلاً ـ على بلورة محصلات أخلاقية دقيقة عن عصرنا أو حتى عن المجتمع السعودي فقط .. ويمكن أيضاً أن تتحدد بتلك الثقافة تجاربها ـ أي تجارب رقية ـ الإنسانية ، كما تحددت في «حلم» ، وفي «البروج المشيدة» بغير قزحيات اللغة المهشمة التي منها «تجفيف المستنقع لا يكون باللعق باللسان ولا بجرافة عملاقة ، قد يكون بالاهتراء الداخلي بشكل تساقطي» (ص ٩٨) .

ومنها أيضاً ـ في البروج نفسها ـ «بشكل انتكاسي» ، و «بشكل تراجعي خلفي» ، (ص ٣٩) ، سبحان الله ! .

إن التساقطي والانتكاسي والتراجعي الخلفي صفة لـ «شكل» المجرور بالباء لما يحفل به أسلوب الجنس الثالث من الأدب ، فيشكل بهلوانية بيانية لا طائل من ورائها .

على أن التقويم الذي نريده لمجموعة رقية ليس أسلوبياً أو بلاغياً بالقدر الذي قد تم عليه انتقاداتي .. إنما نريده فنياً يجاوز الشكل والمحتوى والتداعي الذي تعتمده رقية بفوضى مطلقة ، مع أن المفترض فيه أن يتحد عضوياً ببنية القصة ، فلا نركز على السطح مصقولا كان أم صدئاً .. لأننا لا نريد أن نبحث فقط قضية الأداء الذي اخترعته كوليت خوري ، ودرج على تقليده ـ بإخفاق ذريع ـ عدة من كاتبات الصحف السعودية .

ومجموعة رقية حمود الشبيب ينقصها الشكل المتناسب ، والمضمون المحدد ، وتثقل ـ في كل الحالات ـ بالتداعيات القافزة وغير المبررة .. وفي وسع تلك الكاتبة أن تتحول ما شاءت بالرؤيات الشاملة بين عوالم الحالمات والحالمين ، غير أننا لا نستطيع ـ بأدائها المهشم ـ أن نقف طويلاً أو قصيراً أمام المعميات السيريالية التي تصيبنا بحالات انسلاخية مزمنة والعياذ بالله ! .

● الكتاب : نداء الرحيل (ديوان شعر) .

● الشاعر : عبد الواحد الصالح (أبو خمس) .

● الناشر : دار العلوم بالرياض ، ط ١ ، ١٤٠١هـ .

يقع الديوان في تسع وعشرين قصيدة .

تدور في معظمها في محور واحد لا تنفك عنه، ويبدو شخصية محورية تحرك اللغة والفكرة نحو هدف واحد لا غير.

محور القصائد في المقام الأول هو عنصر التشاؤمية، أو هكذا يبدو للقارئ للوهلة الأولى، وبعض قصائد الديوان أقرب إلى النمط التقليدي في العطاء الشعري، فجاءت مطبوعة بطابع التقريرية، وقد أفقدها هذا بدون شك أعماقاً وقيماً، لكننا سنحاول أن نقف على أهم السمات العامة التي تتبلور من خلال قصائد محددة في الديوان، وهي بدورها قد بلورت محور الديوان كله.

أشرنا إلى أن الشاعر يدور حول محور أساسي، لكنه يعتمد على تعميق هذا البعد وتحديد سماته من خلال التأكيد على ما يسمى بالصراع الدرامي في العمل الإبداعي، بغية الوصول به إلى الذروة، فمسألة التأكيد على مفهوم التشاؤمية أو لنقل سوداوية الحدث الواقعي المعاش، إنما هي وسيلة اعتمدها كثير من الشعراء، وكتّاب القصة المحدثين، من أجل بناء جسور تعادلية للحياة ذاتها، ولعل الشاعر أبا شمس قد أدرك حقيقة هذا الجانب حين أشار في مقدمته بالحديث الذكي حين قال:

الإهداء.. للموت وللحياة..
والأموات والأحياء...
لكل أولئك، وبعض هؤلاء...
أقول:
وللأموات في قلبي حنين
يودعه عن الدنيا حنينُ

والشاعر إنما يتكئ على مفهوم الليل باعتباره رمزاً مجسداً لما ذكرنا آنفاً، والليل عنصر أساسي وموح عند معظم أدباء الشباب في مجالي الشعر والقصة في العالم كله، ذلك للانطلاق من مفهومه المحدود، إلى آفاق إنسانية أرحب وأعمق، ومن خلال فكرة الليل ورمزيته يعطي الشاعر هنا تحديداً لسمات الأمل، أو ما نسميه بتحقق نظرية التطهير، التي تخلص الإنسان بالضرورة من متاهات الخوف والتخبط والتفسخ، يقول الشاعر في قصيدته (الليل الذي لا يذر) التي يحدد فيها سمات عالم الخوف:

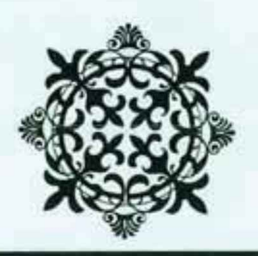
وفي الليل من ظلمتي ظلمة
تمد الشجون على المنتظرْ
ونمضي سراباً بليل سرى
وقد جرّ خلف خُطاه الخطرْ

وفي قصيدته (المدار... والغبار) تتحدد معالم عالم التمزق والخوف بشكل أكثر حدة وصخباً، بيد أن الشاعر يبدو ذكياً في توظيفه للغة السلسلة، المطواعة، وتأخذ المتلقي هزة الانفعال حين يجاري الشاعر في صراخه، وأنينه، يقول:

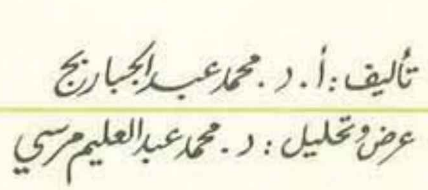
بوحدتي أصارع الرياح..
وأنبذ الحياه...
أصارع الغبار...
وليس في حيازتي سلاح
ألوذ بالأراضي الشاسعات...
ألوذ بالمدار...
ووحشة المكان والديار..
ووحدتي في عالم بعيد..
يجتره السكون والجمود...
تهد من عزيمتي... أنا...
ألوذ في متاهة النظرْ...
ولا أرى سوى السرابْ...
ألوذ في غياهب الفكرْ..
أعانق العذابْ...

لكن الشاعر برغم فورة غضبه، وإحساسه بوطأة اللحظة الشعورية الآنية، وضغط الرؤية الحادة في واقع حي، يحسه الشاعر من أعماقه، وتسيطر معالمه على خلجاته، وباطنه، فكره، ولغته، وسلوكه، بل وإحساسه، نقول على الرغم من هذا الشعور المفروض، والمرفوض، يصرخ عمقه، متفتحاً لأمل جديد مشرق في الحياة، فتنطلق صرخته مترجمة تشاؤمية اللحظة وسوداويتها على شاكلة عطاء مستقبلي مأمول، تكتنفه لحظات التفاؤل والإشراق الحقيقية فيقول في قصيدته (أمنيتي):

تركت يأسي خلف خطوتي الطويله
تركته مغترباً لوحده هناك
ورحت راكضاً... أعدها خطاك
أستقبل المنى
أستقبل الحياة في نسيم خطوتك
أستقبلك
وأطرح الآمال في بروجك الأمينه
تموت ثورتي الصامتة، تأخذني السكينه.






تأليف: أ. د. محمد عبد الجبار بج
عرض وتحليل: د. محمد عبد العليم مرسي

مفاهيم إسلامية وغربية عن الحضارة

والرجل حاصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة كمبردج الشهيرة، وبحكم تخصصه، فإن له عدداً من المؤلفات بالإنجليزية في هذا الميدان، من بينها: الفنون الجميلة في الحضارة الإسلامية (ناشراً)، وقد استعان فيه بأساتذة متخصصين في مجال الفنون الجميلة، من الذين كرسوا جهودهم في البحث عن أصل ونمو وتميز الفنون الإسلامية، كما أن له كتاباً بعنوان «صورة الحضارة الإسلامية»، وقد خرج هذا الكتاب للوجود بمناسبة الاحتفال بالقرن الرابع عشر الهجري، وخلال صفحات هذا الكتاب، فإن المؤلف قد حاول إعطاء القارئ صورة طيبة عن حضارتنا الإسلامية العظيمة، من حيث أصولها وما تحتوي عليه، ومن حيث إنجازاتها للبشرية، وأيضاً من حيث ما يتوقع منها للمستقبل.

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ الدكتور محمد عبد الجبار بج، الذي يعمل أستاذاً مشاركاً في قسم الدراسات العربية والحضارة الإسلامية في جامعة ماليزيا الوطنية في كوالالمبور.



وأخيراً فإن له كتاباً عن الكلمات العربية المستعارة في اللغة المالـيزية ، الذي هو عبارة عن دراسة مقارنة ، حاول خلالها المؤلف أن ينير القارئ بخصوص تأثير اللغة العربية على عديد من لغات العالم . وقـد أثبت الباحث أن اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية .. إلخ ، قد استعارت الكثير من المفردات العربية ، وبالمثل فإن مجموعة كبيرة من اللغات الإفريقية مثل السواحيلية والهوسا والأمهرية وغيرها ، قد استعارت الكثير من كلمات اللغة العربية . بل إن كثيراً من اللغـات الأسيوية مثل الفارسية والتركية والهندية والأوردية ، وبخاصة المالبزية ، قد فعلت الشيء نفسه ، وحذت حذو اللغات السابقة .

وفي كتابه ، يبين المؤلف أن هذه الاستعارات قـد جـاءت نتيجـة للاحتكاك المباشر وغير المباشر بين العرب وبين أصحاب اللغـات السـابقة الذكر ، وبين حضارة العرب وحضاراتهم .

هذا الكتاب

هو من الحجم الصغير ، ويقع في ثمانين صفحة ، وقد طبعته جامعة ماليزيا في مطابعها في عام ١٩٨٢ م ، في طبعته الثالثة ، أما الثانية فكانت عام ١٩٨٠ م ــ ١٤٠٠ هـ ، وكانت الطبعة الأولى قبل ذلك بعام .

هذا ، وقد قسم المؤلف كتابه إلى تسعة فصول ، ووضع لها العناوين التالية على الترتيب : معنى الحضارة ــ نحو تحديد لمصطلح « الحضارة » ــ محتويات الحضارة الإسلامية ــ ابن خلدون ودراسته للحضارة الإسلامية ــ ابن خلدون وتوينبي كعقليتين نابغتين في الدراسات الحضـارية ــ تفسير توينبي للحضارة الإسلامية ــ الفـن والثقـافة والحضـارة ــ القـانون والحضارة ــ وأخيراً الدين والحضارة .

ولعلنا نقوم سوياً لنستمتع برحلة فكرية وثقافية وحضـارية في هـذا المجال الإسلامي المعرفي الممتع . في **الفصـل الأول** يـأخذنا المؤلف إلى مدخل أكاديمي يحاول أن يوضح المعنى الحقيقي للفظ الحضارة ، وهو يبتدئ البحث في هذا المعنى قـائلاً إن العلماء الأكاديميين ، ورجـال السياسة ، والكتّاب الصحفيين يستعملون كلمة الحضـارة بكثرة وبساطة دون أن يتدبروا معناها الحقيقي .

وكلمة الحضارة أصبحت عالمية الاستعمال ، وقد ارتبطت في استعمالها بعلية القوم ، وعندما أصبح استعمالها شائعاً أخذت شكل « الكلاشيه » الذي يطلقه صاحبه دون أن يتدبر معناه الحقيقي . والـواقع أن الحضـارة تعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين . إن استعمال (أو سوء استعمال) لفظ الحضارة ، يفتح أعيننا على عدد من الأسئلة مثل : ما هـي الحضـارة ؟ ، وما هي مقوماتها ؟ ، وبالنسبة للإنسان المسلم بالتحديد ، فإن هناك سؤالا هاماً وهو يدور حول نسب الحضارة إلى الإسلام .

يقول الكاتب إن المؤرخين ، والمستشرقين ، وعلماء العرب والمسلمين ، قد كتبوا الكثير حول موضوع الحضارة الإسلامية ، وذلك خلال القرن العشرين الميلادي ، ولكن على الرغم من ذلك ، فإننا لم نتلق منهم فهماً واضحاً للحضارة بالمعنى الصحيح للفظها ، مما يجعل الإنسان يقول إن كثيراً من الناس يتحدثون عن أشياء لا يستطيعون شرحهـا بوضوح ، وحتى لا يقع الكاتب في قفص الاتهام الذي وضع غيره فيه ، فإنه يقول إنه سوف يحاول أن يقدم تفسيراً لمعنى الحضـارة ، وسـوف يتعرض بالتحديد لمعنى الحضارة الإسلامية ، كما ظهرت في أعمال المفكر المسلم ابن خلدون ، والمفكر الغربي توينبي ، وكذا بعض المفكرين المحدثين مثل **الشيخ محمد عبده ، ومحمد أسد** .

تحديد المصطلح

يقول المؤلف إن أول من أعطى اسماً للحضارة كان المؤرخ المسلم « **ابن خلدون** » ، الذي وضع كلمة « عمران » ليعبّر بها عن مفهوم الحضارة . وإننا لنجد عالماً غربياً ممن أعجبوا بابن خلدون وترجموا مقدمته ، وهو بروفيسور فرانز روزنتـال ، نجـده يـترجم مصطلح « **العمران** » إلى **التعمير والحضارة** Urbanization & Civilization ، **ومن هنا يستنتج الكاتب ، أن ابن خلدون يعتبر صاحب الفضل الأول في إنشاء وإرساء قواعد الدراسات الحضارية في العالم ، وإن تميَّزت كتاباته بالاستفادة الشاملة من عبر التاريخ** .

وتاريخياً .. فإنه عندما استعمل ابن خلدون كلمة « عمران » ، فإن كلمة حضارة لم تكن قد رأت النور ، أو ولدت في اللغة الإنجليزية . وإننا لنجد أنه في تاريخ متأخر حتى عام ١٧٧٢ م ، نجد أن **د . صموئيل جونسون** مؤلف المعجم الإنجليزي ، قـد رفض أن يدخل كلمة « حضارة » في قاموسه الإنجليزي ، وفضّل أن يستخدم كلمة « لطف أو كياسة Civility » لتعبّر عن نفس المعنى ، ويستنتج مؤلفنا من ذلك أن كلمة حضارة ومفهومها لم تدخل إلى أوروبا إلا في القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد استخدم اللفظ في الكتب الإنجليزية في تلك الفترة ليعبّر عن **ساكني المدن** City Civitas ، ولعلنا لم ننس أن ابن خلدون قد



★ ابن خلدون ★ ★ محمد عبده ★

استخدم كلمة «عمران» ـ كما سبق القول ـ ليعبّر عن سكان الحضر مميزاً لهم عن البدو وغيرهم .

وبعد هذا العرض التاريخي ، نجد أن الكاتب يحاول أن يفرق بين المفاهيم المختلفة لكلمات مثل : **الحضارة والعمران والنهضة والمدنية والثقافة** ، وهو يقول إن كلمة «**حضارة**» يمكن أن تكون مرادفة لكلمة «**عمران**» مع شيء من التساهل ، ثم هو يبين للقارئ أن الحضارة تتكون من **الثقافة** الخاصة بأهل المدن وأهل الريف على السواء ، ومن هنا يستنتج أن الحضارة والمدنية ليستا متطابقتين تماماً .

وفي استعراضه التاريخي ، يلمح لنا المؤلف إلى أن بعض الكتّاب المسلمين في القرن العشرين الميلادي ـ المبكر ـ قد مالوا إلى استخدام لفظ «**المدنية**» ، مقابل لفظ الحضارة ، ومن هؤلاء الأستاذ **محمد فريد وجدي** ، والشيخ محمد عبده ، ويستشهد على ما يقول بما نشره وجدي وخاصة كتابه «**المدنية والإسلام**» ، كما يستشهد بالسلسلة التي كتبها الشيخ محمد عبده عن «**الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**» ، وكان ذلك في جريدة «**المنار**» المصرية عام ١٩٠١م .

وفي ختام هذا الفصل ، يقول المؤلف إنه على الرغم من أن كلمة «مدنية» أقرب الكلمات وأصلحها لمعنى الحضارة ، حيث إنها مشتقة من كلمة «المدينة» وحياة أهلها ، إلا أن هذه الكلمة قد فشلت في أن تحتل مكان كلمة «الحضارة» في الكتابات العربية الحديثة .

وفي رحلتنا في هذا الكتاب ، نجد أن الباحث قد حاول **في الفصل الثاني منه** أن يحدّد للقارئ معنى مصطلح «حضارة» ، وهو يقول إن المؤرخين ، وعلماء الآثار ، وعلماء الأنثروبولوجيا ، قد أسهموا إلى حد بعيد في فهم هذا المصطلح ، وذلك من خلال دراسة التاريخ وما وقع فيه ، والأمم القديمة ، وما قدمت للأجيال الحاضرة ، ويرجع الرجل في تحليله إلى أكثر من خمسة آلاف سنة ، حين يحدثنا عن حضارة ما بين النهرين . ويمضي قائلاً إن كثيراً من العلماء يؤكدون على أهمية «الكتابة» في بزوغ الحضارة ، وطبقاً لما ذكره «**تايلور**» ، فإن الحضارة قد ابتدأت بالكتابة ، ويؤيده في ذلك «مورجان» حين يستنتج أنه بنهاية البربرية Barbarism ، توصل الإنسان إلى الكتابة واختراع حروفها ، وبذا تمكن من مفاتيح الحضارة . وكثير من الكتّاب أمثال : **بيتي وجونسون وكلاير** يتفقون على أن المدينة بمبانيها الكبرى (قصور ومعابد) ، وسكانها الذين لا يقلون عن خمسة آلاف ، والكتابة هي العناصر الأساسية المكونة للحضارة .

ثم ينتقل الباحث من آراء المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا إلى آراء بعض الكتّاب المحدثين أمثال «**كليف بل**» الذي حاول تحديد معنى الحضارة بأنها «صفة أو ميزة للمجتمعات» ، وأن هذه الصفة أو الميزة الحضارية هي التي تفرق بين مجتمع متقدم وآخر متخلف ، كذلك نجد كاتباً محدثاً هو «ردفيلد» يقول إن «الحضارة هي أسلوب مميّز للحياة» ، **أما «جيلدرن»** فيستنتج أن «الحضارة عبارة عن صفات ثقافية» .

وإذا كانت كل التعريفات تتسم بشيء من الغموض ، فإن «**ردفيلد**» قد حاول أن يكون أقل غموضاً حين عبّر عن رأيه قائلاً إن «الحضارة عبارة عن عدد محدود من القميم العالية من الثقافة التي أنتجها الجنس البشري ، وإنها بذاتها تعلو غيرها مثل قمم الجبال بين التلال والسهول» .

عمليات التحضر

وننتقل الآن ـ مع المؤلف ـ إلى رأي أحد الأنثروبولوجيين وهو **ريبريو** Riberio ، الذي يقول في كتابه إن هناك عدداً من العمليات تم في المجتمع البشري في أوقات مختلفة حتى يصل في تطوره إلى المرحلة المتحضرة ، وهذه العمليات هي :

ـ استئناس الحيوان ، والبعد عن حياة الرعي والصيد .

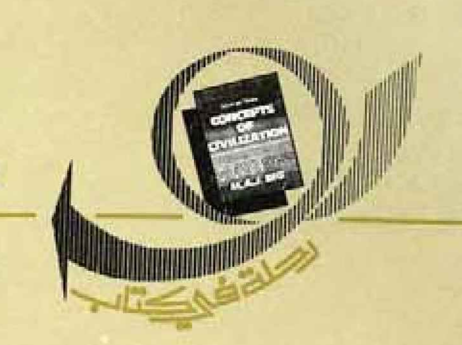
ـ استزراع النبات ، وتخصص مجموعات من الناس في حرف معينة .

ـ ثورة العمران المصاحبة بازدهار المدن وقيام الدول ، وظهور طبقات الناس في المجتمعات .

ـ التوصل إلى نظام الري وصهر المعادن .

ـ اختراع الكتابة والتوصل إلى الأرقام (الأعداد) ، واستخدام النتيجة (التأريخ) .

ـ الثورة في عالم الإبحار واختراع النقود ، وهذا الاختراع هو الذي سهل عمليات التبادل التجاري .



ـ الثورة في حياة الرعي والتجارة ، والثورة التكنولوجية والصناعية .

ومن بين كل هؤلاء ، تأتي ثورة العمران وهي أهمها جميعاً ، حيث نجد أن المدن تمد إشعاعات الحضارة على المناطق المحيطة بها ، كما أنها تجتذب إليها الكثيرين من خلال فرص الحياة المادية والروحية التي تعج بها .

ويحدثنا الكاتب عن **« ثورة العمران »** هذه بشيء من التفصيل ، مستنداً إلى ما أورده كاتب غربي هو **جوردون تشيلد** ، الذي حدَّد عشرة معايير لهذه الثورة العمرانية ، هذه المعايير هي : ١ ـ الكثافة السكانية الكبيرة . ٢ ـ مجتمع منظم يمارس تقسيم العمل . ٣ ـ إنتاج وفير من الغذاء . ٤ ـ إنشاء المباني العامة الضخمة . ٥ ـ ظهور الطبقات الاجتماعية . ٦ ـ انتشار الثقافة (من خلال معرفة القراءة والكتابة) . ٧ ـ التوصل إلى مبادئ العلوم والرياضيات . ٨ ـ ولادة أنواع الفنون المختلفة . ٩ ـ دخول مرحلة التجارة الدولية . ١٠ ـ تنظيم شؤون الدولة .

وقد وجدت هي العناصر العشرة بصفة عامة في الحضارات المبكرة مثل الحضارة السومرية والمصرية القديمة ، وحضارة بلاد الهند والحضارة المالبزية .

وأخيراً .. وبعد المرور على بعض آراء العلماء المختلفين حول تحديد معنى الحضارة ، يصل بنا الكاتب إلى واحد من المشاهير في هذا الميدان ، هو **أرنولد توينبي** ، الذي يشير في معجمه الضخم **« دراسة التاريخ »** إلى الحضارة على اعتبار أنها « نوع من الثقافة موجود في المدن » ، كما أنه يشارك **البروفيسور فرانكفورت** رأيه بأننا يمكننا أن نتعرف على الحضارة من خلال مجموعة من الأمور ، من بينها : الاستقرار والتماسك ، أسلوب ثقافي معين يشكل مؤسساتها السياسية والقضائية ، أنواع الفنون فيها ، بالإضافة إلى الآداب ، وأخيراً ـ وليس آخراً ـ دين الناس الذي يعتنقونه ، بالإضافة إلى ما يتمسكون به من قيم .

الحضارة الإسلامية

وفي **الفصل الثالث** ، يأخذنا الكاتب إلى محتويات الحضارة الإسلامية ، مؤكداً في البداية على رأي للكاتب **جورجي زيدان** ، يقول فيه إن التاريخ الحقيقي للأمة الإسلامية يكمن في حضارتها وتمدينها ، وليس في حروبها وانتصاراتها . [ولعلنا هنا نتوقف لنقول إن هذا الكلام لجورجي زيدان لا يجب أن يؤخذ على علاته .. فالجهاد الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على المسلمين هو الذي أتاح لهذه الأمة في بداية حياتها أن تؤمن تلك الحياة ، وأن توقف فيها طمع الطامعين ، مما مكن مؤسساتها وأفرادها أن يعملوا في أمان وسلام واستقرار ، سمح للحضارة بأن تنمو وأن تترعرع ، كذلك فإن جهاد المسلمين وفتحهم للبلاد والأمصار الأخرى هو الذي أتاح للدين الإسلامي أن ينتشر بين شعوب تلك البلاد ـ لا بقوة السلاح ، ولكن بقوة الإقناع ، وبحسن الأمثلة التي رآها الناس في المسلمين الأوائل ـ بحيث اقتبس الناس الكثير من القيم الإسلامية العظيمة ، وأرسوا دعائم حضارتهم على أسسها ، كما أن المسلمين ـ في نفس الوقت ـ قد استفادوا كثيراً من حضارات تلك الشعوب ، وأضافوا عليها وخلطوها مع ما لديهم ليخرجوا إلى الناس بالحضارة الإسلامية العظيمة] .

وإذا كان جورجي زيدان يركز على تاريخ الحضارة (أو التمدن) ، ويميل إليه أكثر من التاريخ السياسي والعسكري ، فإن كاتباً كبيراً ومفكراً مرموقاً مثل **برتراند رسل** يقول إن هذه الانتصارات العسكرية الإسلامية هي التي حطمت الحضارات القديمة ، وأتاحت الفرصة لميلاد حضارة جديدة على أنقاضها ، وإن كان المؤلف لا يؤيد تماماً رأي برتراند رسل في أن القوى العسكرية كانت في حد ذاتها قوى حضارية مؤثرة ومغيرة .

ثم يعود الكاتب إلى منطقتنا العربية ليحدثنا عن عملين كبيرين من أعمال بعض مفكرينا المسلمين مثل **حسن حسني عبد الوهاب ، المفكر التونسي** الذي حاول المؤلف أن يشبهه بابن خلدون ، خاصة في كتاباته عن الحضارة العربية الإفريقية ، التي تركزت على تونس .. موطنه ، ومثل **البروفيسور جمال الدين السرور** حين كتب عن الحضارة الإسلامية في الشرق .

ثم في سياق هذا الفصل ، يلخص لنا الباحث محتويات الحضارة الإسلامية في النقاط المركزة التالية :

ـ الدولة الإسلامية (الخلافة أو السلطنة) .

ـ المدن الإسلامية .

ـ الحياة الاقتصادية للمجتمع المسلم .

ـ الطبقات الاجتماعية .

ـ المباني الإسلامية وهندستها .

ـ الفن الإسلامي (خاصة الأشكال الشائعة للفن مثل : الموسيقى والغناء ، والرسم ، وأعمال السيراميك .. إلخ) .





★ د. صموئيل جونسون ★ ★ د. أرنولد توينبي ★ ★ جورجي زيدان ★

ويختم الباحث هذا الفصل مشيراً إلى أحد الكتّاب الغربيين الذين كتبوا بإعجاب شديد عن الحضارة الإسلامية ، وخاصة فيما يتعلق **بالدولة الأموية والدولة العباسية** ، وما كان سائداً في **دمشق وبغداد** من تقدم وعلم وفنون . . . وهذا الكاتب الغربي هو **« رينيه جروسيه »** ، وقد عنون كتابه **« حضارات الشرق »** .

الحضارة . . وابن خلدون

أما الفصل الرابع في هذا الكتاب ، فقد خصصه الباحث لدراسة ابن خلدون عن الحضارة ، وهو يعتقد بأن عمل ابن خلدون في كتابه **« المقدمة لكتاب العبر »** يعتبر من الأعمال المتميِّزة التي توقف عندها الباحثون الغربيون كثيراً ، خاصة وأن ابن خلدون قد كتب ما كتب نتيجة خبرات مباشرة ومعرفة متعمقة خلال أسفاره ومعاملاته مع الناس ، بل إن المؤلف يخلص إلى أن كتاب ابن خلدون هذا لم يُسبق من قبل لا في الأدب الإسلامي ، ولا في آداب العالم كلها . . . !! . هذا ، ويشتمل الكتاب على فصول ستة ، عالج كل فصل منها مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية ، وذلك كما يلي :

- مقدمة عامة للحضارة .
- دراسة لحياة البدو .
- الدولة ونظامها الإداري .
- المدن وأصلها ونموها .
- الحياة الاقتصادية مع الاهتمام بالحرف والمهن والتجارة .
- العلم والتعلم ، الحساب والجبر والهندسة والكيمياء ، وأيضاً الشعر والعلوم الإسلامية .

ويقول الكاتب إن منظور ابن خلدون للحضارة (العمران) هو أنها تنشأ حالما يوجد نوع من التنظيم الاجتماعي . وفي كتابته عن الدولة نجد أنه ـ أي ابن خلدون ـ قد أعطى أهمية خاصة لدور الدين في تكوينها وإدارتها ، كما أنه أشار إلى وظائف كثيرين مثل : المفتي ، والقاضي ، والمحتسب ، والوزير ، والحاجب ، وجماع الضرائب . . إلخ . ويقول الكاتب إن ابن خلدون قد حذر من أن أهم معاول الهدم في أية حضارة تكمن في عدم إقامة الدولة للعدل .

وتأتي كتابات ابن خلدون عن المدن عظيمة رائعة ، وهو يقول إنها تنشأ نتيجة لرغبة السلطة ، وينبغي أن تكون مخططة ومبنية بطرق وأساليب سليمة ، بحيث تنعكس على حياة ساكنيها ، وعلى إنجازات الموظفين فيها ، والرجل يحدد العوامل الهامة الآتية التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند بناء المدن :

- هواء نقي . . للصحة العامة .
- مصدر دائم للماء ، ويفضل أن تقع المدينة على نهر أو بحر .
- مصدر دائم لمواد الغذاء ، ويتمثل في الأراضي الخصبة التي ينبغي أن تكون محيطة بالمدينة ، أو تقع على الأقل في دائرتها .
- مصدر دائم للوقود وللبناء ، ومن هنا فوجودها قرب غابة . . مفضل ومطلوب .
- وأخيراً يضع شرط قربها من أراضي المراعي حتى تمد السكان باللحوم والألبان ومنتجاتها .

وفي رأي ابن خلدون أن المجتمع البشري منقسم إلى نوعين متميِّزين في التنظيم الاجتماعي هما : مجتمع الحضارة أو المدينة ، ومجتمع البداوة أو الصحراء ، وهما في رأيه لا يلتقيان ، لأن لكل منها صفات اجتماعية متميِّزة وفروق لا يمكن التغاضي عنها .

كذلك يرى ابن خلدون أن حجم السكان يحدِّد حجم الحضارة السائدة (العمران) . وعندما تزدهر الدولة فإن حضارتها تزدهر أيضاً وتتقدم ، كما نجد أن الحرف المختلفة ، والعلوم المتنوعة تتقدم وتزدهر ، وينتقل المجتمع ككل إلى مرحلة الازدهار والرفاهية . ومن الطبيعي أن يستنتج ابن خلدون أن انحطاط المدينة كان مرتبطاً بحالة مؤسسها أو منشئها (الدولة أو الأسرة الحاكمة) ، وهناك مدن استمر ازدهارها فترة طويلة مثل بغداد والقاهرة ، لأن مؤسسيها استمروا في الحكم طويلاً ، أو لأن من جاءوا بعدهم استقروا فيها .

ويقول ابن خلدون إن المدينة بعد إنشائها ، تأخذ منحنى يرتفع مع كل إضافة جديدة فيها . . عمراناً وحضارة وتقدماً وازدهاراً ، ثم بعد أن



تصل إلى القمة تبدأ في الانحطاط والانحدار نتيجة لعوامل الفساد التي تبدأ في الظهور ، خاصة عندما يبدأ الناس في البعد عن الدين ، وفي عدم الالتزام بالقيم الأخلاقية . والواقع أن ابن خلدون كان في هذا الجزء متميزاً ومتفرداً في الحديث عن المدينة من وجهة نظر تاريخية واجتماعية ، وذلك بعد أن اهتم بدراسة هندستها وموقعها وتخطيطها ، كما ركز على دراسة المباني العامة ، كما اهتم بدراسة النواحي الاجتماعية في الحضارة وفنونها ، فكتب عن الموسيقى والشعر والخط ، كما عرج على العلوم التي ازدهرت في الحضارة الإسلامية مثل : علوم النجوم ، والحساب والجبر والهندسة مع الطب والكيمياء . وفي ختام هذا الفصل ، يبيِّن لنا المؤلف تقدير العلماء الغربيين ، ومن بينهم **سبنجلر** ، لفكر ابن خلدون الذي أحاط بكل هذه الجوانب الحضارية ، حتى إنه لم يترك مظهراً منها دون دراسة واعية متعمقة ، حتى الجوانب الاقتصادية في المدينة بكل تعقيداتها وتفريعاتها .

ويأتي **الفصل الخامس** مختصراً جداً حين يحدثنا المؤلف عن ابن خلدون وتوينبي كعقليتين نابغتين في الدراسات الحضارية ، حيث تحدث ابن خلدون عن تصوره لها منذ نحو ٦٠٠ عام مضت ، بينما فشلت الأفكار الهندية والصينية القديمة في تصور معناها . أما التصور الثاني للحضارة ، وهو الذي تلى تصور ابن خلدون الإسلامي ، فلم يظهر في أوروبا إلا في القرن الثامن عشر الميلادي ، أي أربعة قرون بعد ابن خلدون ، ولقد كان « أرنولد توينبي » هو أول المفكرين الأوروبيين الذين جهدوا في هذا الميدان ، كما أنه هو الذي أعطى ابن خلدون حقه تماماً حين وصفه بأنه كان عبقرياً في تفسيره للتاريخ ، كما أنه هو العالم الذي استطاع أن يكتشف الصلة بين السياسة والدين في هذا المجال ، كما أنه كان متمكناً إلى حد مدهش من دراسة الحضارة الإسلامية ، ولا ينسى المؤلف في هذا الموقف أن يتوجه بالشكر إلى البروفيسور روزنتال Rosenthal لترجمته مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الإنجليزية ، مما أتاح للعالم كله أن يقرأ عن تفسير ابن خلدون للحضارة الإسلامية .

الحضارة .. وتوينبي

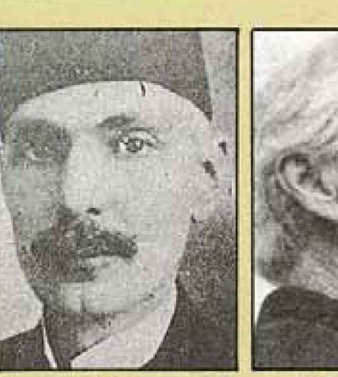
أما **الفصل السادس** ، فقد خصصه المؤلف لتفسير توينبي للحضارة الإسلامية ، وقبل أن يدخل في تفصيلات رأي توينبي ، يقول إن تفسيره لها موضع خلاف ، بل إن آراءه لا يتفق معه فيها كثيرون من المؤرخين الغربيين ، كما أن المستشرقين لا يرحبون بها ، بينما أهملها العلماء المسلمون ، وعلى كل حال ، يمكننا أن نشير إلى تلك الآراء ملخصة ، على أن توينبي لا يرى الحضارة الإسلامية مستقلة عن غيرها من الحضارات السابقة عليها ، فهو يربطها بالحضارتين السيريانية والهيلينية . وفي هذا المجال يحاول توينبي أن يذكرنا بأن الحضارة الإسلامية قد تبنَّت الحروف الآرامية لتصنع منها نظيرتها العربية ، ويمضي توينبي قائلاً إن الحضارة الفارسية قد فعلت نفس الشيء قبل ذلك ، كما أنه قد حدث بالنسبة للحضارة المسيحية . ولا ينسى توينبي بطبيعة الحال هنا أن يقول إن المسلمين قد تبعوا خطوات المسيحيين قبلهم في الاعتماد على الحضارة الهيلينية .

لقد تبنى توينبي مبدأ حاول أن يجد له بعض الأدلة ، وهذا المبدأ مؤداه أن الحضارة الغربية كانت متفوقة على نظيرتها الإسلامية ، وليس ذلك في المجال العسكري فحسب ، وإنما في النواحي الاقتصادية التي يعتمد عليها الإنجاز العسكري إلى حد بعيد .

وفي حقيقة الأمر ، فإن آراء توينبي يسودها الكثير من التناقض والاختلاف . إنه يعتبر أن الدين هو أساس الحضارة ، وفي نفس الوقت ، فإنه قد قصر عن أن يبين دور الدين الإسلامي في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية ، كذلك فإنه قد نسي أو تناسى أن الحضارات تقتبس وتستعير من بعضها بقدر حاجاتها وطبقاً لظروفها ، وأن عمليات الاستعارة أو الاقتباس هذه لا تؤثر على استقلال الحضارات عن بعضها .. وفي هذا المجال يمكننا القول إن الإسلام ـ باعتباره نظاماً كاملاً للحياة ـ لا يتطلب فقط قيام حضارة ، بل إنه يرسي أسسها ومبادئها ، كما عبَّر عن ذلك بصدق العالم المسلم محمد أسد .

الفن .. والثقافة .. والحضارة

ونأتي إلى **الفصل السابع** من هذا الكتاب ، الذي عنونه المؤلف « الفن والثقافة والحضارة » ، لنجده يفتتحه بتعريف كلمة الفن Art ، التي اقتبست من الكلمة اللاتينية Ars ، والتي تعني « المهارة أو الطريقة أو الأسلوب » skill, way or method ، وهو يقول إن كل المهن قد عوملت على أنها نوع من الفن في أوروبا القديمة ، بينما عرفت كل فروع التعلم على أنها « الفنون الحرة » Liberal Arts ، وكانت تلك تتكوَّن من سبعة ميادين للمعرفة هي : النحو والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، وهذا الكلام أكثر وأصدق انطباقاً على حالة أوروبا في العصور الوسطى .





★ برتراند راسل ★ ★ حسن حسني عبد الوهاب ★

أما في العصور الحديثة ، فإن معنى الفنون قد أصبح مختلفاً ، إذ إنها تعني أنواع الفنون التي تؤدى أمام جمهور من المشاهدين أو المتفرجين مثل الدراما أو الرقص أو العزف الموسيقي ، وبطبيعة الحال يضاف إلى ذلك فنون أخرى مثل الرسم بالألوان والنحت والفنون المعمارية المختلفة . ومن المعروف أن الفنون في جملتها تترك في النفوس أنواعاً من الاستمتاع البهيج .

هذا ، ولقد أشار العالم ابن خلدون إلى أنواع المهارات المختلفة التي استعملها كثير من الناس لكسب رزقهم على أنها « حرف Grafts » ، أو « صنائع » . مصطلح ابن خلدون هذا يندرج تحته أي نوع من أنواع التعليم ، أو الفن ، أو المهنة ، حيث نجد أن « صناعة » تحسين الخطوط أو فن المعمار أو الموسيقى قد عولجت في كتابات ابن خلدون على أنها « صناعة » أو صناعات ، ونفس الكلام ينطبق على الطب والفلك والرياضيات ، بل وعلى الحرف الصناعية ـ بمعناها الذي نعرفه ـ مثل النجارة والخياطة والغزل والنسيج .. والزراعة .. إلخ .

وفي حضارتنا الإسلامية نجد أن كثيراً من علمائنا الأوائل قد أعطوا هذه الأمور ما تستحق من عناية ودراسة واهتمام مثل **الغزالي والتوحيدي وابن سينا** ، إذ نجد أن الغزالي قد شعر بأن ممارسة أي نوع من أنواع الفنون السابقة ، يعطي صاحبه نوعاً من السرور والارتياح ، وبكلماته يقول « إن العمل المبدع لمؤلف ، والشعر المعبّر لشاعر ، والرسم الأخاذ لرسام ، والبناء المتكامل لمهندس إنما يعكس الجمال الداخلي لهؤلاء الناس جميعاً » .

أما الشيخ ابن سينا ، فقد عبّر عن « **الشخصية الحساسة** » وعن الشيء الجميل والنافع وفنونهما .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى « **الثقافة** » وتعريفاتها أو تفسيراتها المختلفة ، فيقول إن تايلور Tayler قد عرفها على أنها « ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على المعرفة ، والمعتقدات ، والفن ، والأخلاق ، والقانون ، والعادات ، وكل ما يمكن أن يأتيه الفرد من تصرفات كعضو في مجتمع » .

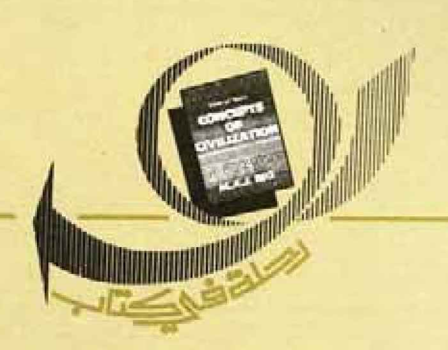
والمؤلف يقول إن هذا التعريف ـ في الواقع ـ يعتبر أكثر التعريفات شمولا ، بينما يتبنى هو وجهة نظر يقول من خلالها إن الثقافة تتضح من خلال الأخلاق الحميدة ، والعقلية الصافية والحساسية الفنية desthetic sensibility ، وهو يقول إن ثقافة الأمة تنعكس من خلال لغتها وفنونها الشعبية والجوانب الروحية فيها .

ثم يعود بنا الكاتب إلى **الفن** في أعمال ابن خلدون ، حين يشير إلى أنه في دراسته للحضارة قد ناقش **الموسيقى وتحسين الخط** Calligraphy **وفن المعمار** وغير ذلك ، مما يشبع حساسية الإنسان الفنية . وفي ختام هذا الفصل يعرج بنا الكاتب إلى ناحية تاريخية حين يحدثنا عن انتقال الفنون ـ كمؤثر ثقافي ـ من مجتمع لآخر ، وكيف تعلم المسلمون **فن السيراميك** من الصينيين في أقصى الشرق ، وكيف أبدعوا فيه خلال القرن الثامن الميلادي ، ثم كيف أخذ الإيطاليون هذا الفن عن المسلمين في القرن الخامس عشر الميلادي ، ونقلوه إلى الغرب ، كما أشار إلى الجمال الهندسي البديع كما اتضح في قصر الحمراء بالأندلس ، وكيف تأثر به الأوروبيون بعد ذلك .

القانون والحضارة

وفي **الفصل الثامن** ، يحدثنا عن : **القانون والحضارة** ، فيقول إن ابن خلدون قد وجد علاقة وثيقة بينهما ، وإنه استنتج أن الظلم مخرب للحضارة ، وبمعنى آخر معاكس لما سبق ، فإن العدل حام للحضارة ومزهر لها . هذا ، ولقد فسر ابن خلدون أوجه الظلم المختلفة كما يلي : فالاعتداء على ممتلكات الغير .. ظلم ، وإجبار الناس على القيام بأعمال رغم أنوفهم .. ظلم ، واتهام الناس بأمور لم يرتكبوها .. ظلم ، ومطالبة الناس بأن يأتوا أعمالا لم يتطلبها منهم دينهم .. ظلم ، وجمع ضرائب لا مبرر لها من الناس .. ظلم ، وإنكار حقوق الناس في أي أمر من الأمور .. ظلم ، إن الظلم في أي شكل من هذه الأشكال يؤدي إلى الخلاف الداخلي ، والاحتكاك بين أفراد وطوائف المجتمع الواحد مما يضعفه ، وهذا هو السبب الذي من أجله يحرم الإسلام الظلم . إن القانون يؤكد ويضمن عدم الظلم ، والعدل يؤكد ويضمن استمرار الحضارة ، واستمرار نموها وازدهارها .

وفي مجال القانون والحضارة يستشهد المؤلف برأي لأحد أساتذة القانون الإغريق ، هو البروفيسور تسبرينتانيس الذي يؤكد على العلاقة الوثيقة بين القانون والحضارة ، حين يقول إن الحضارة الحقيقية عادة ما تكون حساسة بشكل خاص لموضوع العدل . إن الحضارة والجنس





★ ابن سينا ★ ★ التوحيدي ★

البشري لفي ظمأ شديد للعدل ، وسيبق القانون دوماً عاملاً من عوامل العدل .

إن دور القانون في الحضارة دور معترف به في الحضارة الإسلامية ، وأيضاً في الفكر الغربي . ولقد أكد على هذا المعنى أحد مشاهير العلماء المسلمين في العصر الحديث هو محمد أسد ، الذي يعتقد بأن الشريعة الإسلامية ذات شأن عظيم في الحضارة الإسلامية ، كما أنه يؤكد على أن مصير الأمة الإسلامية مرهون بتطبيق الشريعة الإسلامية ، تلك الشريعة (القانون الإلهي) التي بنيت عليها حضارة الإسلام منذ البداية . كذلك نجد أن البروفيسور « شاخت » ، يؤكد على أن الشريعة الإسلامية ، كانت ذات دور متعاظم في الحضارة الإسلامية ، وهو يشير في هذا المجال إلى دور الشريعة الإسلامية التي كانت سائدة في دولتين إسلاميتين كبريين هما الإمبراطورية العثمانية ، وإمبراطورية المغول في الهند . . والخلاصة في هذا الموضوع ، أن الحضارة لا يمكن أن توجد أو تقوم لها قائمة بدون قانون .

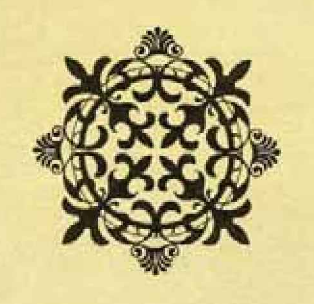
الدين .. والحضارة

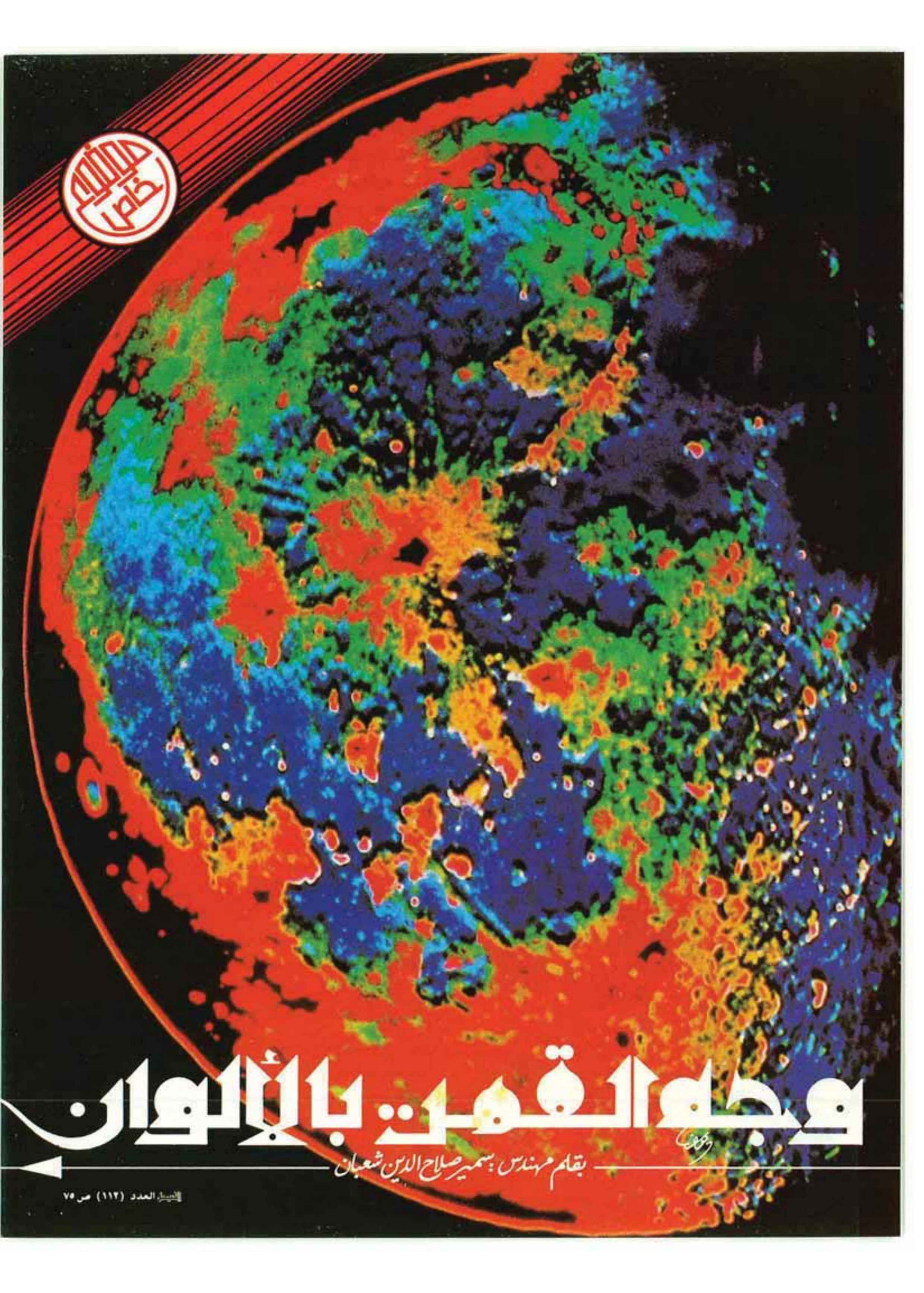
ويأتي **الفصل التاسع** والأخير من هذا المؤلف ليخصصه الكاتب لموضوع « الدين والحضارة » ، ويقدم له قائلاً إن الدين ذو علاقة وثيقة بالحضارة ، وإن عدداً لا بأس به من العلماء العرب والأوروبيين والأميريكيين قد تأكدوا وكتبوا عن الحقيقة الثابتة الآن والتي مؤداها أن الديانات الأساسية مثل الإسلام والمسيحية قد لعبت دوراً أساسياً في تكوين الحضارات والثقافات المعروفة لنا .

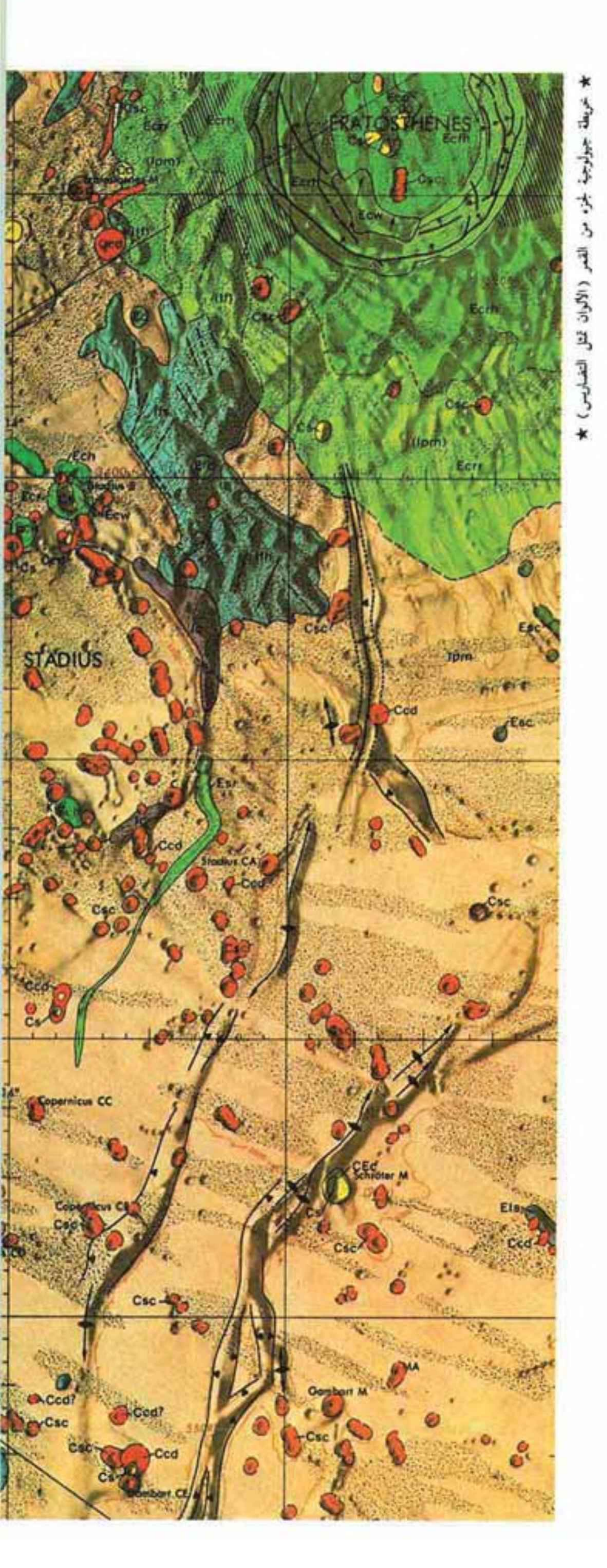
ويدعم هذا القول السابق ، أن عدداً من الباحثين المشهود لهم بالمقدرة العلمية ، قد كتبوا مراراً بأنه لا يمكن فهم الحضارات الشرقية دون فهم ديانات أصحابها . ومن بين علماء المسلمين للقرن العشرين الميلادي ، يظهر لنا اسم الشيخ محمد عبده كممثل لهؤلاء العلماء الذين قالوا إنه لا يمكن فهم الحضارات (المدنيات) إلا على أساس ديني ، وهو حتى يشير إلى الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية واليونانية ، كانت لها أسسها الدينية ، وينتهي الشيخ محمد عبده في تحليله لدور الدين في الحضارة ، إلى أن التمسك بتعاليم الرسل والاستمساك بالدين يعطي أساساً متيناً لتلك الحضارات ، نظراً لأن الناحية الروحية القوية تؤدي إلى تقدم مادي ملحوظ .

كذلك يشير المؤلف إلى أن العديد من العلماء المعروفين في ميدان الحضارة والتاريخ يتفقون على أن الدين الإسلامي قد لعب دوراً أساسياً ورئيسياً في نشوء وتقدم الحضارة الإسلامية ، ويضرب على ذلك مثلاً بالعلامة **فيبلمان** Professer Feibleman الذي وصل إلى نتيجة مؤداها أن « الدين يؤدي إلى الثقافة ، والثقافة تؤدي إلى الحضارة » . ويدعم هذا الكلام أن نقرأ في نهاية هذا الفصل لعالم آخر هو **ريتشارد سوليفان** Richard E. Sullivan الذي يقول ما ملخصه ، إن الحضارة الإسلامية ليست إلا نتاجاً لدين المسلمين . ولا ينسى الكاتب في هذا المجال أن يذكر أن هناك عدد من العلماء الذين لا يتبنون هذه النظرية ، أما نظرية أن الدين هو الأساس للحضارة ، ومن بين هؤلاء **إدوارد بيرنز** Edward Beirns ، **وفيليب رالف** Philip Ralph .

وفي الختام يدعم الكاتب ما بدأ به هذا الفصل قائلاً إن العرب ، ما كانوا ليتقدموا بهذا الشكل العظيم الذي تقدموا به لولا الدين الإسلامي الحنيف ، الذي دفعهم للعمل والإنجاز والإبداع . ويختم المؤلف كتابه بعبارة مشهورة **لجوميير** Jamier يقول فيها : « إن البرابرة الذين غزوا بعض البلاد قد ذابوا فيها ، بينما على العكس من ذلك أن الإسلام قد فرض نفسه على الحضارات القديمة ، بل إن الإسلام قد أمد الناس بعناصر خلاقة أنبتت حضارة جديدة » .




وجه القمر بالألوان
بقلم مهندس: سمير صلاح الدين شعبان



★ خريطة جيولوجية لجزء من القمر (الألوان تمثل التضاريس) ★

القمر هو جارنا السماوي ، و « رفيق » كوكبنا الأرضي ، وربما حتى « أخوه التوأم » : فمعظم الكواكب الصغيرة للأسرة الشمسية ـ باستثناء المريخ ـ لا تمتلك أي أقمار طبيعية ، أما أقمار المريخ فهي شديدة الصغر إلى حد دفع بعض العلماء إلى الاعتقاد بأنها كويكبات (ASTROIDS) ، قام المريخ باصطيادها . أما قمرنا فهو كبير الحجم ويقارب ربع حجم الأرض .

من غير المشكوك فيه أن البشرية قد بذلت المزيد من الجهد والمال لدراسة القمر واستكشافه ، وتوجت ذلك في عام ١٩٦٩ م ، بتحقيق حلم الإنسان بالصعود إلى القمر ؛ مما جعل البشر يعرفون عن القمر أكثر مما يعرفونه عن أي جرم سماوي آخر .

وضعت هذه الجهود في أيدي علماء الأرض حوالي ٣٠٠ كيلوغرام من صخور القمر ، وآلاف الصور الفوتوغرافية لسطحه ، ونتائج عدد هائل من التجارب الفيزيائية ، والكيميائية والجيولوجية التي أجريت على سطحه .

إن التحليل الفوري لنتائج هذه الرحلات الفضائية لم يساعد البشر على التوصل إلى « قصة بسيطة » للقمر ، بل على العكس زادت من ألغازه .

ويعود الفضل للدراسات الكيميائية والجيولوجية ، التي استغرقت ما ينوف عن عشر سنوات ، في حل العديد من الألغاز التي أفرزتها مرحلة (**أبوللو**) . وهذا ما سنستعرضه في الفقرات اللاحقة .

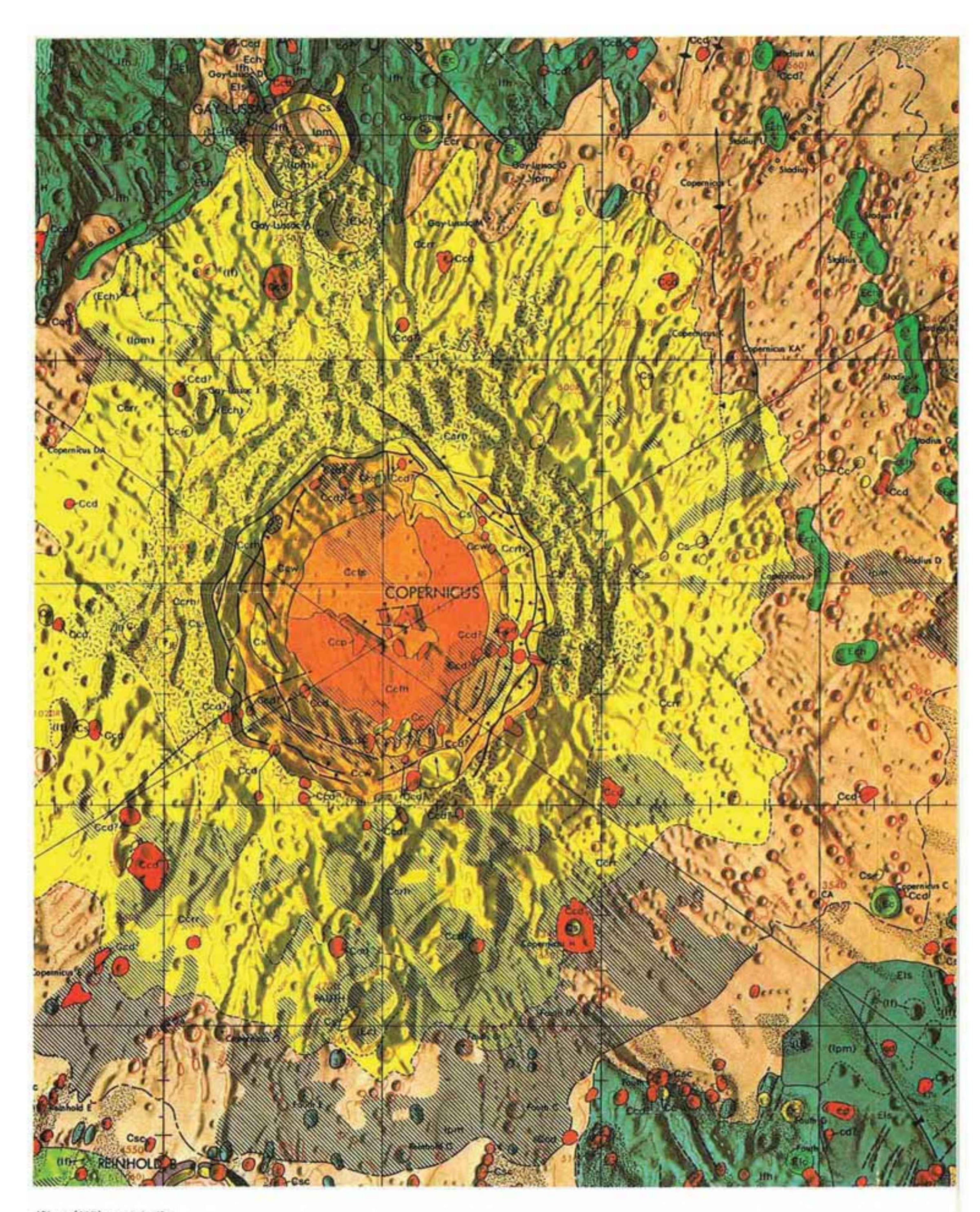
ألغاز القمر

ساد الاعتقاد فترة طويلة بأن القمر تشكل من بقايا حطام عملية ميلاد الأسرة الشمسية ، وبأن القمر الصخري « الخامل » ، عديم الهواء والماء والحياة قد بقي على هذه الحال من الجمود ، بدون تغيير ، منذ ملايين السنين ، مما يجعل صخوره وتضاريسه تحتفظ بسجل حافل مصون لآثار الميلاد العنيف .

وهذا ما دفع الفلكي المعروف (**روبرت جاستروف ROBERT JASTROW**) إلى إطلاق اسم « **حجر رشيد** » المجموعة الشمسية ، على القمر ، مدعياً أن حل رموزه وألغازه سيمكننا ـ في النهاية ـ من معرفة قصة خلق القمر ، والأرض ، والأسرة الشمسية ، وربما الكون ذاته .

ورغم هذا التفاؤل بقي « حجر رشيد » نفسه لغزاً محيّراً غامضاً ، وبدا القمر ـ في مرحلة غزوه من قبل الإنسان ـ أعقد من أي تخيل وضعه عالم أو باحث ؛ فهو ليس ببساطة « كرة البلياردو » الجامدة في الزمان والمكان ، كما كان العلماء يعتقدون سابقاً . ورغم أن صخور (أبوللو) و (**لونوخود**) والقياسات المرافقة لها ساهمت في الإجابة على بعض التساؤلات القديمة حول « جارنا السماوي » ، لكنها أثارت زوبعة جديدة من الألغاز المحيّرة .

●● **اللغز الأول :** فوجئ العلماء والباحثون بأن القمر الجامد حالياً ، كان قد مرّ « بطفولة » مفعمة بالحيوية والنشاط في الفترة الواقعة قبل ٤,٦ ـ ٣,٢ مليارات سنة ، خلد بعدها إلى الراحة والهدوء حتى يومنا هذا . كان (**نيل أرمسترونغ NIEL ARMSTRONG**) : أول إنسان يطأ سطح


GAY-LUSSAC
COPERNICUS
REINHOLD B



★ نيل أرمسترونغ .. والخطوات الأولى على سطح القمر ★

القمر ، وقد ناهز عمر أول صخرة يلتقطها ٣ مليارات سنة . ولكنه سرعان ما تبيّن أنها حديثة العهد بالمقاييس القمرية ؛ فقد عثُر بعدها على صخور يزيد عمرها عن ٤،٢ مليارات سنة ، بينما كان عمر أقدم صخور الأرض المعروفة آنذاك ٣،٥ مليارات سنة . احتار العلماء في تفسير النشاط الباطني للقمر في فترة « طفولته » قبل ٣،٧ ــ ٣،٢ مليارات سنة ، ولم يجدوا جواباً شافياً للتساؤل : **لماذا لم يحدث هذا النشاط قبل هذه الحقبة الزمنية أو بعدها ؟ .**

لاحظ العلماء أيضاً أن فوهات القمر (أحواضه الدائرية) ليست منتظمة التوزيع على سطحه ، وأن القمر في مرحلة « الشباب » كان هدفاً لعدد كبير من النيازك (الشهب) ، لكنه لم يتعرض إلا لعدد محدود من الإصابات خلال الثلاثة مليارات سنة الأخيرة . **فما السبب ؟ .**

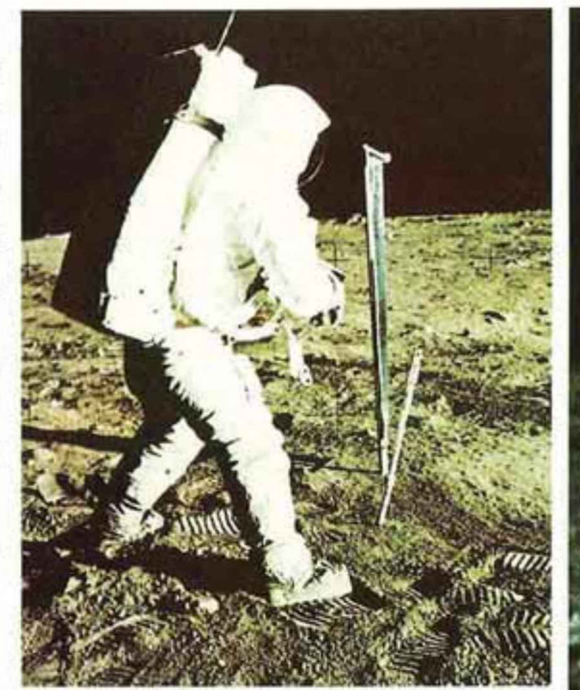
●● اللغز الثاني : وجد العلماء أن جسم القمر مكوّن من « طبقات » تتباين في تركيبها « الكيميائي » : الطبقة السطحية العليا تتكوّن من فلزات السيليسيوم (الرمل) البيضاء ، تقع تحتها طبقة غنية بفلزات الحديد والمغنزيوم الداكنة ، المشابهة للافا البركانية الأرضية . وقد بيّنت القياسات السوسمولوجية (أي دراسة انتشار الموجات الصوتية في طبقات القمر) وجود ٣ طبقات صخرية متباينة على الأقل ، تنتشر الموجات الصوتية في كل منها بسرعة واتجاه يختلف عن الطبقات الأخرى . **دفن هذا الاكتشاف فكرة « كرة البلياردو » إلى الأبد .**

ويعتبر هذا التحليل من أهم إنجازات مشروع (أبوللو) . لكن المرء لا يمالك نفسه إلا أن يتساءل : هل كان بمقدور الروّاد حفر ثقوب عميقة في صخور القمر ، لتحديد تركيبها الكيميائي ؟ . ولحسن الحظ فقد كانت النيازك « الحفارة » الحقيقية ، التي صدمت سطح القمر بعنف قبل مليارات السنين ، وهي التي فجرت الثقوب لتكشف طبقات الصخور العميقة . وهذا ما دفع العلماء إلى اختيار هذه المناطق المحفورة سلفاً ، لهبوط المركبات الفضائية الإنسانية . ورغم ذلك بقي التساؤل قائماً : **كيف تشكلت هذه الطبقات ؟ وهل لنشوء الفوهات أي دور يذكر في تشكيلها ؟ .**

●● اللغز الثالث : وجد العلماء في الكيلومترات القليلة الأولى من الطبقة العليا مادة « **نشيطة إشعاعياً RADIOACTIVE** » تحتوي على العناصر المشعة : **الأورانيوم ، والثوريوم والبوتاسيوم** . ونسارع إلى القول إن نشاطها الإشعاعي أضعف من أن يعرض حياة روّاد الفضاء للخطر . إذ من المعروف أن النشاط الإشعاعي يرافقه نشر كمية كبيرة من « **الحرارة** » (مثال القنبلة الذرية) . ولو كان تركيز المواد المشعة في سائر أنحاء القمر مماثلاً لتركيزها على سطحه ، لصدرت عنها كمية هائلة من الحرارة تكفي لصهر القمر بكامله . ولحسن حظ القمر ، فإن حرارة النشاط الإشعاعي تنطلق من الطبقة السطحية إلى الفضاء . **فكيف وصلت المواد المشعة إلى سطح القمر ؟ .**

●● اللغز الرابع : يختلف التركيب الكيميائي للقمر عن تركيب الأرض بطريقة غريبة جداً . ويلاحظ بشكل عام أن القمر أفقر من الأرض بكل من الحديد « الثقيل » ، وبالمواد المتطايرة ، التي تتبخر بسهولة في درجات حرارة منخفضة نسبياً ، مثل **الرصاص ، والأنديوم ، والتاليوم .**



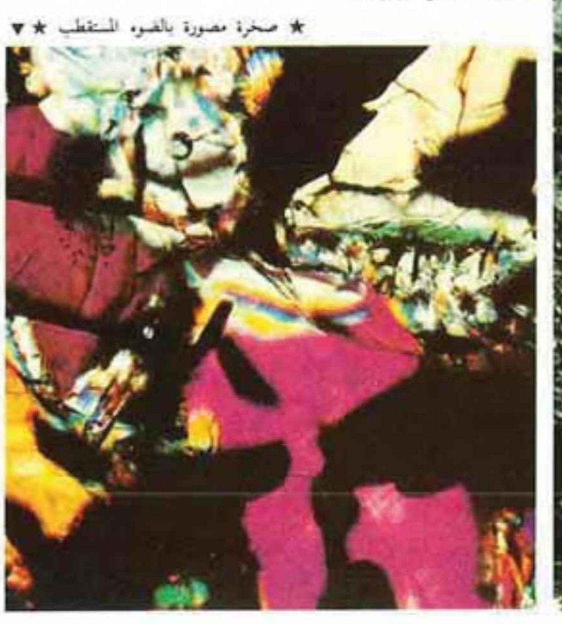


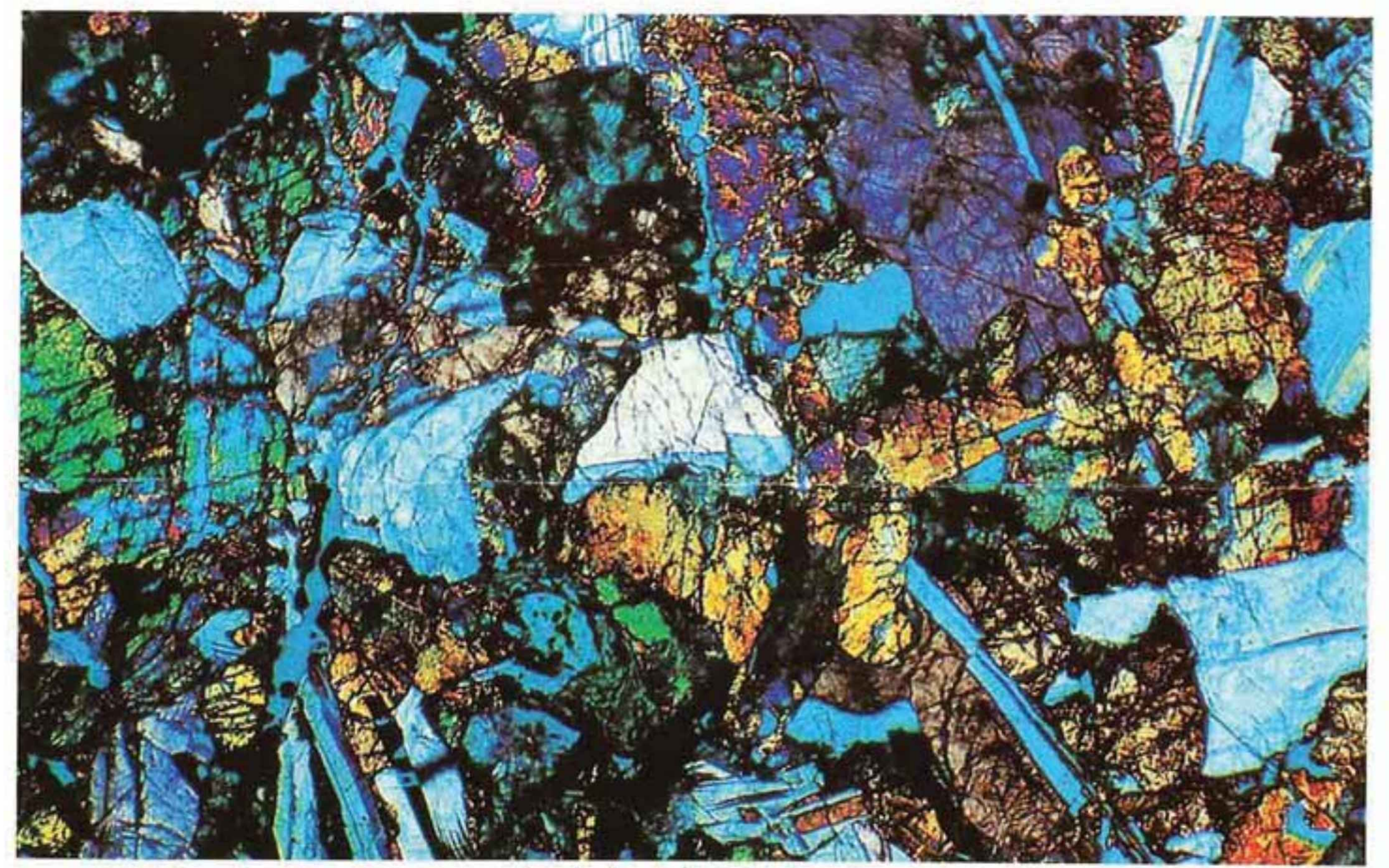
★ تثبيت أجهزة للحصول على عينات من سطح القمر ★



▲ ★ قطعة من القمر ★

★ صخرة مصورة بالضوء المستقطب ★ ▼





★ صورة لبازلت القمر (في الضوء المستقطب) ★

والبيزموت. لكن القمر أغنى من الأرض بعنصر السيليسيوم (الرمل).

وقد أحرج هذا الاكتشاف الكيميائي العلماء النظريين، الذين كانوا يعتقدون بالأصل المشترك للقمر والأرض، إذ لم يتمكنوا من الإجابة على التساؤل: **لماذا استأثرت الأرض بمعظم الحديد؟** ولم يكن العلماء الذين يعتقدون باختلاف مصدري الأرض والقمر في حالة أفضل: إذ **كيف تتمكن الأرض من «اصطياد» جرم سماوي يقارب «ربع» حجمها؟**.

●● اللغز الخامس: تبيَّن للعلماء أن لصخور القمر خصائص **«مغناطيسية»**، ليست قوية إلى حد يسمح لحجر صغير بالتقاط دبوس من الحديد، لكنها كافية ـ على كل حال ـ لإثبات وجود بقايا حقل مغناطيسي في الصخور نتج عن حقبة تبرُّدها من الحالة المصهورة (السائلة) إلى حالة البلورات الصلبة في الماضي السحيق.

ويبقى التساؤل: **ما هو مصدر الحقل المغناطيسي القمري؟**.

لو امتلك القمر نواة مصهورة (شبيهة بنواة الأرض) لتمكن من توليد حقل مغناطيسي قوي نسبياً. وتكمن الصعوبة هنا في الإجابة على التساؤل: **كيف تبرَّد القمر بهذه السرعة الكبيرة**، وبشكل لم يترك النواة الكبيرة مستمرة حتى الآن؟.

من ناحية أخرى، لو كان القمر في الماضي البعيد قريباً جداً من الأرض، بشكل يسمح لحقل الأرض المغناطيسي بمغنطة صخور القمر، **ألا يعني ذلك أن صغر المسافة بين القمر والأرض سيكون كافياً ليفتّت القمر إلى حلقات تشبه حلقات زحل؟ أم هل كان حقل الأرض المغناطيسي قوياً في الماضي إلى حد يمكنه من مغنطة القمر، من مسافة بعيدة مأمونة؟**.

لا تنتهي ـ عند هذا الحد ـ الألغاز التي طرحت في مرحلة مشاريع (**أبوللو**) و(**لونوخود**). لكن الدراسة الموسعة المستفيضة لجميع المعلومات المكتشفة ـ بمساعدة الحاسبات الإلكترونية ـ التي قام بها عدد من الاختصاصيين، ساهمت في تقديم العديد من الإجابات الشافية حول بنية القمر، ونشأته، والتحولات التي مرّ بها منذ نشوئه قبل حوالي ٤.٦ مليارات سنة.

سطح القمر... بالألوان

يبيّن الشكل المرفق وجه القمر، كما لم يشاهده إنسان من قبل: فالحاسب الإلكتروني يبرز أصغر فروق البريق (الضوء المنعكس) الناتجة عن تباين ارتفاعات تضاريس مناطق القمر أو تركيبها الكيميائي، محولاً إياها إلى ألوان زاهية تسهل مهمة الباحث.

وهنا يميّز المرء بسهولة بين **«بحار»** القمر (سهوله) الداكنة اللون، و **«مرتفعاته»**، وهي فاتحة اللون، التي تعكس نسبة أعلى من ضوء الشمس الساقط عليها. ويوحي هذا التباين بأنهما مكونتان من صخور متباينة التركيب **«الكيميائي»**. ويلاحظ المرء أيضاً أن عدد **«الفوهات»** الدائرية في المرتفعات أكبر منه في البحار (وهي التسمية القديمة التي ما زالت مستخدمة

▲ ★ بلورة بلاجيوكلاس مكبرة .. فيها نشاهد بلورات أوليفين ★

حتى الآن) الملساء تقريباً ، والتي تمثل بحد ذاتها أحواضاً كبيرة سببياً محاطة سلاسل جبلية مغلقة تقريباً ، يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ متر .

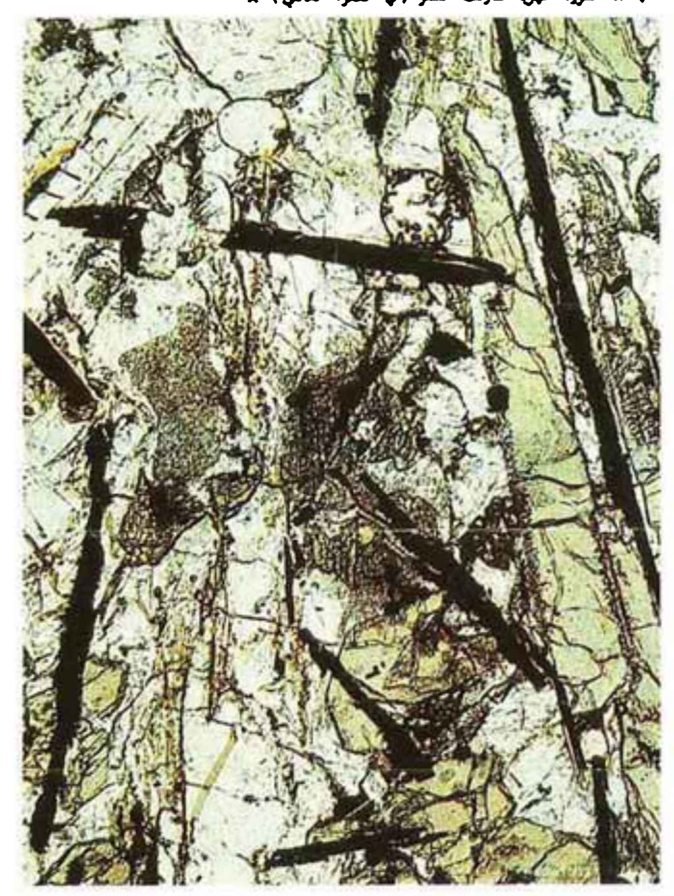
فوهات المناطق حديثة العمر تتميّز بحواف (جدران) حادة (مثل فوهة (**تيتشو TYCHO**) في نصف القمر الجنوبي) . أما فوهات المناطق القديمة فهي أكبر عدداً ، لكن كثيراً منها « متهدم الجدران » ، مما يوحي أن القمر ـ أيضاً ـ تعرض لعمليات « حت » ، يمكن مقارنتها مع عمليات الحت والتعرية (الجوية) الأرضية .

كيف يحدث الحت في القمر الخالي من المياه والهواء . الذي لا تهطل عليه الأمطار ، ولا تهب فيه الرياح ؟ ، والجواب : إن الحت يحدث تحت وطأة المؤثرات « السماوية » التالية :

١ ـ ريح الشمس[*] : لا تطلق الشمس النور فحسب ، بل تطلق « ريحاً » مكونة من جسيمات ذرية ، تتكوّن من حوالي ٩٠ بالمائة من البروتونات والباقي من نوى غاز الهليوم والعناصر الأثقل . وهي قوية إلى حد يمكنها من التغلغل في سطح الصخور والفلزات ، وتوليد أنواع مستقرة **ونشيطة إشعاعياً** من الذرات (وهذا يحل اللغز الثالث) ، علماً أن تحديد تركيزها يسمح بحساب « الزمن » الذي تعرضت الصخور خلاله للقصف بالجسيمات ، مما يؤدي ـ أيضاً ـ إلى نشوء طبقات سطحية « زجاجية » رقيقة (بفعل ارتفاع درجة الحرارة) ، بعد حتّها وتغيير مواقع تواجدها بالتدريج .

٢ ـ النيازك : وهي المحرك الأساسي لعمليات الحت القمرية . على

▼ ★ صورة مجهرية لبازلت القمر (في الضوء العادي) ★



سطح الأرض لا يؤدي اصطدام النيازك بسطح الأرض إلى تشكل فوهات واضحة إلا نتيجة اصطدام النيازك العملاقة ، لأن الجزء الأعظم من النيزك يحترق أثناء اصطدامه بغلاف الأرض الجوي (وهذا يترك عادة ذيلاً مضيئاً في السماء يشاهد بالعين المجردة) . وبما أن القمر بدون غلاف جوي لذا فإن النيازك — بجميع حجومها — وكذلك الأجسام الصلبة تصل إلى سطحه بسرعة فلكية عالية جداً مشكلة الفوهات ومهدمة التشكيلات والفوهات القديمة .

والفوهات التي يخلفها اصطدام النيازك بالأرض تتحطم — عادة — بسرعة نتيجة للتجوية . لكن حت القمر لا يتم إلا ببطء شديد نتيجة صدمات النيازك والجسيمات (الإشعاع) . لذا يحتفظ سطح القمر — حتى يومنا هذا — « **بآثار** » القصف السماوي منذ حوالي ٤٫٦ مليارات سنة .

وقد أدت عمليات الحت المتتالية إلى تغطية كامل سطح القمر — تقريباً — بمواد ركامية (ناعمة الحبيبات عموماً) ، أطلق عليها اسم « **ريغوليت RIGOLITH** » (أو « تربة القمر ») .

ورغم هذا الركام ، فقد لاحظ العلماء ما يشبه التضاريس « **بركانية** » المنشأ ، ولا سيما دفقات (اللافا) في بحر (**أمبريوم IMBRIUM**) ، التي يزيد امتدادها عن ١٠٠٠ كيلومتر . ورأى العلماء آثار اللافا في معظم البحار بشكل حزوز طولانية معقوفة الحواف ، تشكل وديانا ضيقة منحدرة الجدران ، تفسر اليوم بأنها أنفاق من اللافا مهدمة السقوف .

ولكن كيف نشأت الفوهات؟ ، تضاربت الآراء في حقبة (أبوللو) حول أصل الفوهات القمرية والأحواض الكبيرة : **فهل نشأت بفعل البراكين أم بصدمات النيازك؟** .

قام العلماء بتحليل دقيق لكل من الأشكال الهندسية للفوهات والكتل الركامية المتكونة منها ، فوجدوا أن تبدلات الفلزات والريغوليت محصورة بآثار الضغط الذي يرتفع فجأة ، مثل الضغط الناتج عن صدمات النيازك . والرأي السائد — حالياً — أن معظم الفوهات نشأ بصدمات النيازك . ذلك أن بعض النيازك تصطدم بسطح القمر بسرعة قد تصل حتى ٧٠ كيلومتراً في الثانية ، مما يولد ضغطاً يقدر بعدة آلاف كيلوغرام على السنتيمتر المربع . وهنا تتقلص الصخور إلى حوالي نصف (وأحياناً ثلث) حجمها الأصلي . وتسخن إلى حد يبخر المواد الملامسة لها ، ويصهر المواد القريبة منها .

يلي التقلص تمدد وعودة إلى الوضع الأصلي يأخذ شكل « موجة ضغط » قوية صادرة عن نقطة التصادم وتنتشر بصورة دائرية ، لترفع التشكيلات القريبة من نقطة التصادم . وهذا ما يعطي الفوهات شكلها الدائري النموذجي : فالمواد الساخنة المقذوفة من سطح القمر تتجمع بشكل حلقة حول حافة الفوهة .

إن جدران الفوهات الكبيرة أقل استقراراً من الصغيرة ، وكثيراً ما تنهار لتشكل مصاطب . ويتشكل في الداخل — غالباً — « تل مركزي » . وعلى سبيل المثال ، فقد وجد العلماء في بحر (أمبريوم) الذي يقارب قطره ١٣٠٠ كيلومتر مقذوفات مهدمة ترتفع عن الأرضية المنبسطة بحوالي ٧٠٠٠ متر .

ونسارع إلى القول هنا ، إن « جميع » الأحواض الدائرية لم تتشكل في الوقت نفسه . فقد تشكلت فوهة بحر (أمبريوم) قبل حوالي ٤ مليارات سنة . أما **البحر الشرقي (ORIENTAL)** فهو « أصغر » سناً ، بينما فوهات بحار **TRAQUILLITATIS** ، و **SERENITATIS** ، و **PROCELLARUM فهي أقدم وأكبر عمراً** .

إن اكتشاف ما يشبه اللافا في القمر ، دفع العلماء إلى البحث عن « **الخاريط البركانية** » ؛ فلم يجدوا إلا عدداً محدوداً من القباب منخفضة الارتفاع ، تشابه براكين الدروع الأرضية . وقد وجدوا أن اللافا القمرية كانت تنبثق من الشقوق لتنصب في السهول . وقد استنتجوا من طول حزوز التدفقات أن اللافا القمرية أكثر سيولة حتى من اللافا البازلتية الأرضية . وقد بيّنت القياسات الجيوفيزيائية أن سماكة تدفقات اللافا الوسطية هي ٤٠٠ متر ، لكن ارتفاع بعض الوسائد يصل إلى ١٥٠٠ متر . ويستدل من التحليل الكيميائي والمعدني (المنرالي : أي دراسة ترابط الذرات مع بعضها) على تشابه البازلت القمري مع البازلت الأرضي إذ يتكون البازلت القمري — بشكل أساسي — من **فلدسبار FELDSPAR ، بيروكسين**[1] **PYROXEN ، أوليفين**[2] **OLIVIN ، والمينيت**[3] **Ilmenit** .

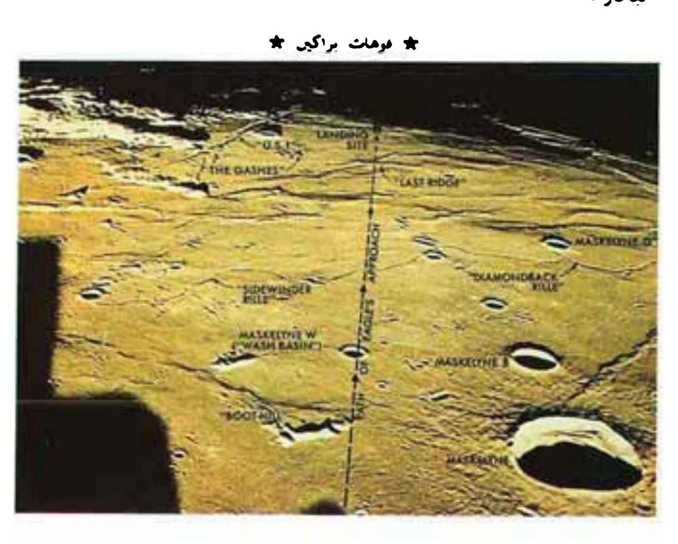
من ناحية أخرى ، يبدو أن جميع أنواع لافا البحار القمرية لم تتبرّد جميعها ببطء يسمح لها بتشكيل البازلت . فقد تبرّد بعضها بسرعة مولداً ما يسمى « **بالزجاجيات الخضر** » ، التي تم العثور عليها بشكل « كريّات » ، بكميات كبيرة في بعض عينات ريغوليت ، التي التقطها طاقم (أبوللو ١٥) .

والزجاجيات الخضر عبارة عن « **قطرات** » مصهورة مندفعة من ينابيع اللافا تبرّدت بسرعة .

وقد بيّنت دراسات تحديد أعمار الصخور القمرية باستخدام طريقة النشاط الإشعاعي — وهي من أفضل الطرق المعروفة الآن لقياس الأعمار التي تقدر بمليارات السنين — إن النشاط البركاني الذي شهدته بحار القمر بدأ قبل حوالي ٣٫٩ مليارات سنة ، وانتهى قبل حوالي ٣٫١ مليارات سنة . لذا تمثل صخور مرتفعات القمر أقدم الصخور ؛ وهذا يفسر سبب وجود الفوهات في مرتفعات القمر بنسبة أكبر منها في بحاره ؛ فقد تعرضت المرتفعات للقصف السماوي فترة زمنية أطول .

وتغلب في مرتفعات القمر أنواع صخور **فلدسبار** فاتحة اللون ، بينما تقل فيها أنواع الفلزات الداكنة — مثل **بيروكسين ، وأوليفين** — بشكل ملحوظ . وهذا يفسر لماذا تعكس المرتفعات ضوء الشمس بنسبة أعلى من البحار .

★ فوهات براكين ★



تربة القمر (ريغوليت)

يشابه الريغوليت (تربة القمر) رسوبيات الأرض إلى حد ما. وبينما نجد أن رسوبيات الأرض تشكلت نتيجة عمليات اختزال (تكسير وتنعيم) وإعادة تشكيل المواد الصلبة، بفعل الماء والجو، فإننا نلاحظ أن الريغوليت ناتج عن عمليات تهدم وعمليات إعادة تشكيل ميكانيكية وحرارية لصخور القمر بفعل صدمات النيازك بالدرجة الأولى.

يستخدم العلماء سماكة الريغوليت ـ إضافة إلى تحديد العمر الإشعاعي ـ لقياس الزمن الذي مرّ على تشكل القاعدة الصخرية الموجودة تحت الريغوليت في بقعة محددة. وقد بلغت سماكة الريغوليت المتوضع فوق بازلت أحد البحار ٤ أمتار، وكان عمر البازلت ٣.١ ـ ٣.٩ مليارات سنة. لكن سماكته في المرتفعات ـ ذات العمر الأكبر ـ بلغت ١٢ متراً، في موقع هبوط مركبة (**أبوللو ١٦**).

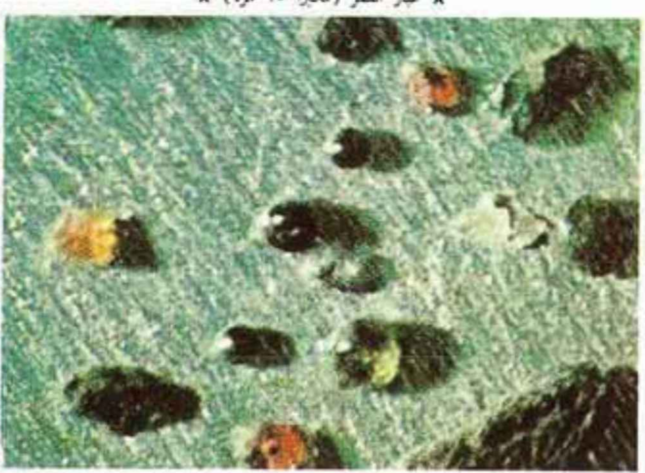
وقد بيّنت أعمال السبر التي وصل عمقها إلى ١٢ متراً أن الريغوليت يتكوّن من طبقات متعاقبة، مشابهة لطبقات الصخور الرسوبية الأرضية. تتراوح سماكة كل منها بين ٠.٠٥ و ٢٠ سنتيمتراً. ويبدو أن صدمة كل نيزك تثير غيمة من الريغوليت، بحيث يقوم كل نيزك بصنع طبقته الخاصة به.

ومن البديهي أن هذه الطريقة في «صنع» الريغوليت لن تجعله يتقارب مع حجم الحبيبات، كما هي الحال على الأرض. لذا يتكوّن الريغوليت من قطع صخرية يصل طول بعضها إلى ١٠ أمتار، بينما يقل طول بعض الحبيبات ـ على الجانب الآخر ـ حتى يصل إلى جزء من ١٠٠٠ من المليمتر. لكن الجزء الغالب يقل طوله عن مليمترين، والقسم الأكبر منه يقع بين ٠.٠٤ و ٠.٨ مليمتر.

إلا أن تجمع القسم الأعظم من الحبيبات حول القطر ٠.٥ مليمتر يوحي بأن عمليات التهدم متوازنة مع عمليات البناء (التجميع). ويتم تجميع الحبيبات الصغيرة بواسطة «الزجاجيات الخضر»، أي عن القطرات المصهورة الناتجة عن صدمات النيازك الصغيرة.

وهكذا نجد أن الريغوليت عبارة عن خليط من الصخور، وشظايا القطرات و«الكونغلوميرا» (الصخور التجمعية) التي تربطها الزجاجيات، الناشئة عن الصخور المصهورة نتيجة صدمات النيازك، مولدة بذلك شظايا مدببة الحواف، أو كريّات منتظمة أو إهليلجية.

★ غبار القمر (مكبراً ١٥ مرة) ★



بنية القمر

تم اشتقاق المعارف المتعلقة ببنية القمر الداخلية وتركيبه الجيولوجي بالاعتماد على القياسات الجيوفيزيائية التي أثبتت جدارتها في دراسة باطن الأرض: من حيث قياسات **قوة الجاذبية**، قياسات **الحقل المغناطيسي**، القياسات **السوسمولوجية** (سرعة انتشار الموجات الصوتية في الصخور).

تختلف الموجات السوسمولوجية الناجمة عن الاهتزازات الطبيعية للقمر، أو عن التفجير على سطحه، عن مثيلاتها في طبقات الأرض بصورة جذرية؛ فالموجات القمرية تستمر زمناً أطول بشكل ملحوظ؛ كذلك تتنامى موجات القمر ببطء، لتتخامد بعدها ببطء أيضاً. ويرجع العلماء هذه المشاهدات إلى تشتت الموجات الصوتية ضمن قشرة القمر المكسرة بشكل كبير، نتيجة صدمات النيازك المتتالية.

إن نشاط باطن القمر وهزاته أيضاً أضعف شدة وأقل تكراراً منها في الأرض؛ ولم يتم ـ حتى الآن ـ تسجيل أية هزة قمرية تتجاوز شدتها الدرجة الثانية على مقياس (**ريختر**)، ولا يتجاوز عدد هزات القمر السنوية ٣٠٠٠ هزة، بينما يتم على الأرض تسجيل ما يوف عن ١٠٠٠٠٠ هزة. وهذا يدل على ضعف النشاط الباطني القمري عند مقارنته بكوكب الأرض.

من الغريب القول إن نشاط الهزات القمرية يزداد بدورة ثابتة تقارب أسبوعين، ولم يجد العلماء تفسيراً لذلك إلا اشتداد تأثير قوى «المواقيت» (مثل المد والجزر على الأرض) عندما يقع القمر على خط واحد تقريباً مع الشمس والأرض. يتراوح عمق مكامن الحفرات القمرية بين ٦٠٠ و ١٠٠٠ كيلومتر؛ فهي أعمق بكثير من مثيلاتها على الأرض التي يقع عمقها المتوسط على بعد ٢٠٠ كيلومتر من سطح الأرض. وقد استخلص العلماء من ذلك أن قشرة «الصخور» الصلبة» لسطح القمر لا تقل سماكتها عن ١٠٠٠ كيلومتر.

كذلك لاحظ العلماء تزايد سرعة الموجات السوسمولوجية على سطح القمر مع العمق، واستنتجوا التسلسل الباطني للقمر: تحت الريغوليت (تربة القمر) مباشرة تقع **القشرة العليا** وهي تمتد إلى عمق حوالي ٢٠ كيلومتراً، تليها **القشرة السفلى** بعمق قدره ٦٠ كيلومتراً، تليها منطقة **الغلاف**، التي تنقسم إلى غلاف علوي سماكته ٥٠٠ كيلومتر، وسفلي سماكته ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ كيلومتر.

يوحي التخامد القوي المفاجئ لسرعة الموجات السوسمولوجية الباطنية على عمق ١٠٠٠ ـ ١٤٠٠ كيلومتر، أن صخور هذه المنطقة **مصهورة جزئياً**؛ لأن الموجات الصوتية تنتشر في الوسط السائل (أو المصهور) بسرعة أصغر بكثير منها في المواد الصلبة. وقد يتعلق الأمر بنواة حديدية مصهورة صغيرة، ذات خواص مغناطيسية.

حل اللغز الخامس: يعتمد هذا التصور على عينات الصخور والتربة، وعلى الاختبارات والقياسات الجيوفيزيائية المجراة في مهابط المركبات الإنسانية والمناطق المحيطة بها، التي يبلغ مجموعها ٩ نقاط قمرية. **فهل تكفي هذه النقاط التسع لوضع نظريات كاملة حول نشوء القمر وتاريخه وبنيته الجيولوجية؟** ثم كيف يسمح العلماء لأنفسهم بذلك، وهم يعلمون أن النظريات المماثلة حول كوكبنا الأرضي اعتمدت على آلاف المشاهدات والقياسات الجيولوجية؟.



ويجيب العلماء على ذلك، بأن بنية القمر وتركيبه أبسط من الأرض؛ وهذا يتضح من أن كثافته الإجمالية تقترب من كثافة صخوره السطحية. وعلى العكس فإن نواة الأرض تختلف بشدة من حيث الكثافة والتركيب عن قشرتها، وهي المسؤولة عن حقل الأرض المغناطيسي القوي نسبياً.

تاريخ القمر

يرجح العلماء أن عمر القمر حوالي ٤,٦ مليارات سنة، ويرجحون أنه كان مصهوراً بشكل جزئي على الأقل. وقبل التصلب حدث انفصام الفلزات كل حسب كثافته. وعلى السطح تجمعت فلزات **فلدسبار** الخفيفة وشكلت القشرة الأولى بعد تصلبها، وفي الأسفل تجمعت **الفلزات الثقيلة** مثل **بيروكسين، وأوليفين والمينيت**.

وفي فترة تصلب القشرة وبعدها مباشرة تعرض سطح القمر لقصف سماوي عنيف بالنيازك الضخمة التي ولدت الأحواض الدائرية الكبيرة.

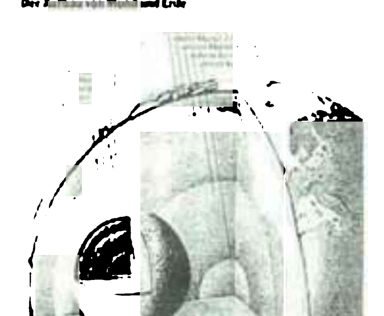
وبعد مضي بضع مئات ملايين السنين بدأت التشققات اللافا البازلتية، بفعل الحرارة الهائلة التي ينشرها تفكك المواد المشعة التي أدت إلى صهر جزئي للصخور الغنية بالحديد والمغنزيوم في الغلاف العلوي. وقد تدفقت اللافا البازلتية بشكل خاص في الأحواض الدائرية الكبيرة؛ لأن القشرة كانت مفككة فيها حتى أعماق كبيرة.

توقفت هذه الانسكابات البازلتية الكبيرة قبل حوالي ٣,١ مليارات سنة، بعدها أصبح النشاط البركاني القمري محدوداً جداً. وبعد هذه الفترة لم تشاهد أية حركات واسعة؛ مثل تشكل الجبال أو حركة الألواح، التي شوهدت في كوكبنا الأرضي.

ومع أن القصف استمر بعد ذلك، إلا أن غزارته كانت أضعف بكثير من أن تقارن مع تلك التي حدثت في ٥٠٠ مليون سنة الأولى من عمر القمر. لذا لم يتغيّر المظهر الخارجي بشكل واضح خلال ثلاثة مليارات سنة الماضية.

تشكّل القمر

تعتمد «الفرضيات» الحديثة المتداولة حالياً لتفسير تشكّل القمر على التشابه الكبير بين تركيبي القمر والأرض في نواح عديدة؛ وعلى الفوارق بينهما التي تتركز في أن القمر أفقر من الأرض بشكل ملموس بالحديد، والقلويات



★ مقطع لكل من القمر والأرض، يوضح الفرق بين كثافات الطبقات لكل منهما ★

(مثل الصوديوم) والماء، والمواد المتطايرة (التي تتبخّر في درجة حرارة منخفضة نسبياً). ولا بد من أخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار عند مناقشة فرضيات نشوء القمر وعلاقته بكوكبنا الأرضي.

قبل مرحلة (أبوللو) تصارعت ثلاث «فرضيات»:

- **فرضية الكوكب المزدوج**: القمر أخ للأرض، نشأ كل منهما بشكل مستقل عن الآخر، ولكن من سحابة الغبار نفسها.
- **فرضية الالتقاط**: القمر «ابن بالتبني» للأرض: نشأ القمر في بقعة أخرى من المجموعة الشمسية، ثم قامت الأرض بالتقاطه في فترة متأخرة نسبياً.
- **فرضية الانشطار**: القمر «ابن وليد» للأرض، وقد انفصل عنها نتيجة انتفاخ استوائي في بداية عمرها، أثناء دورانها السريع حول نفسها.

إلا أن تحليل اكتشافات (أبوللو) و(لونوخود) لا يرجح أيّاً من فرضية الكوكب المزدوج أو فرضية الالتقاط. وتبدو فرضية الانشطار ــ بصيغتها المعدلة ــ أقرب إلى التوافق مع المكتشفات الحديثة. وحسب تصور **(رينغوود A.E. RINGWOOD) من جامعة (كامبيرا)** فقد كانت الأرض في الماضي مكوّنة من نواة حديدية وغلاف سيليكي (خفيف)، ثم صدمتها كويكبة، مولدة حلقة من الغبار والغازات، تشكل منها القمر نتيجة تكاثف الحبيبات الناعمة وتناميها. وقد تبخرت القلويات والمواد المتطايرة أثناء هذه العملية.

في البدء دار القمر حول الأرض ــ حسب رأي (رينغوود) ــ على بعد صغير نسبياً، ثم تباطأت سرعته؛ فوجب عليه ــ حسب **قانون كيلر** ــ الابتعاد تدريجياً عن الأرض، وما زالت هذه العملية مستمرة حتى الآن.

إن المسافة التي تفصل القمر عن كوكبنا الأرضي لها أثر مباشر في حياتنا ــ نحن البشر ــ تتجلى في المد والجزر، وربما في تقصير يومنا البالغ ٢٤ ساعة. وهذا مجاله حديث آخر إن شاء الله.

الهوامش

(١) بيروكسين PYROXEN هو فلز، ذو بريق زجاجي أخضر، يتكوّن من سيليكات معقدة من المعادن Ca (Al Mg Mn Fe) $(SiO_3)_2$.

(٢) أوليفين OLIVIN هو فلز، ذو بريق زجاجي أخضر، مكوّن من سيليكات حديد ومغنزيوم $(Mg Fe) SiO_4$.

(٣) إلمينيت ILMENIT هو فلز، ذو بريق معدني أسود، مؤلف من أكاسيد الحديد والتيتانيوم $(Fe Ti O_3)$.

(★) راجع مقال المؤلف بعنوان «ريح الشمس»، مجلة «**الفيصل**»، العدد (٥٢)، شوال ١٤٠١هـ، السنة الخامسة، آب (أغسطس) ١٩٨١م.

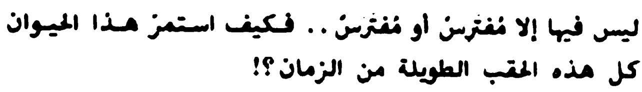
المراجع

١ ــ مجلة (بيلد دير فيسنشفت)، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤م.
٢ ــ مجلة (علوم الطبيعة) الألمانية ١٩٨٢م.
٣ ــ جيولوجيا القمر ١٩٧٩م. (المؤلف).

إيقاع الحياة



من الصعب ان نتصور كيف استطاع هذا الحيوان الذي يُعتبر اكسل وأبلد مخلوق على الأرض بصورة تثير أقوى الأعصاب لدرجة لا تحتمل التعايش مع ظروف الحياة الحيوانية القاسية التي



ليس فيها إلا مُفترِسٌ أو مُفترَسٌ .. فكيف استمرّ هذا الحيوان كل هذه الحقب الطويلة من الزمان؟!

هذا الحيوان اسمه **السلُّوث Sloth** وهو حيوان متسلّق من الثديبات الدنيئة . يقضي معظم أيام حياته فوق الأشجار في الغابات الاستوائية **بأمريكا الوسطى والجنوبية** إما نائماً وإما متدلياً من غصن شجرة أو متشبثاً به بقوائمه الأربع ، بحيث يكون ظهره إلى أسفل وبطنه إلى أعلى . وهو يقضي (١٨) ساعة يومياً نائماً مستغرقاً ، وحتى عندما يستيقظ لا يكاد الناظر إليه أن يحسّ بحركته ــ هذا إذا تحرّك ــ لذلك فإن من سيراقبه سيعيش لحظات عذاب بطيئة تتلف الأعصاب . ويكاد يكون أعمى وأصم . وجسمه ليس فيه إلا القليل من العضلات وهي ضعيفة لا تعينه على المشي ولا حتى على الوقوف ، وحركاته القليلة مثال للبطء والبلادة وكأنه آلة تتحرك . ويلزمه لتحريك قدم واحدة بضعة سنتيمترات حوالي (٣٠) ثانية . **وحتى إنه إذا كلف نفسه بعض المشقة وعطس ـ ونادراً ما يعطس ـ فإن ذلك لا يسبّب له سوى هزة بطيئة فيها شيء من الوقار** ، وإذا حدث وأُطلقت رصاصة من مسدس قرب أذنه فلا يكون ردّ فعله عليها سوى حركة بطيئة بالرأس ونظرة بطرف عينيه ورمشة خفيفة .

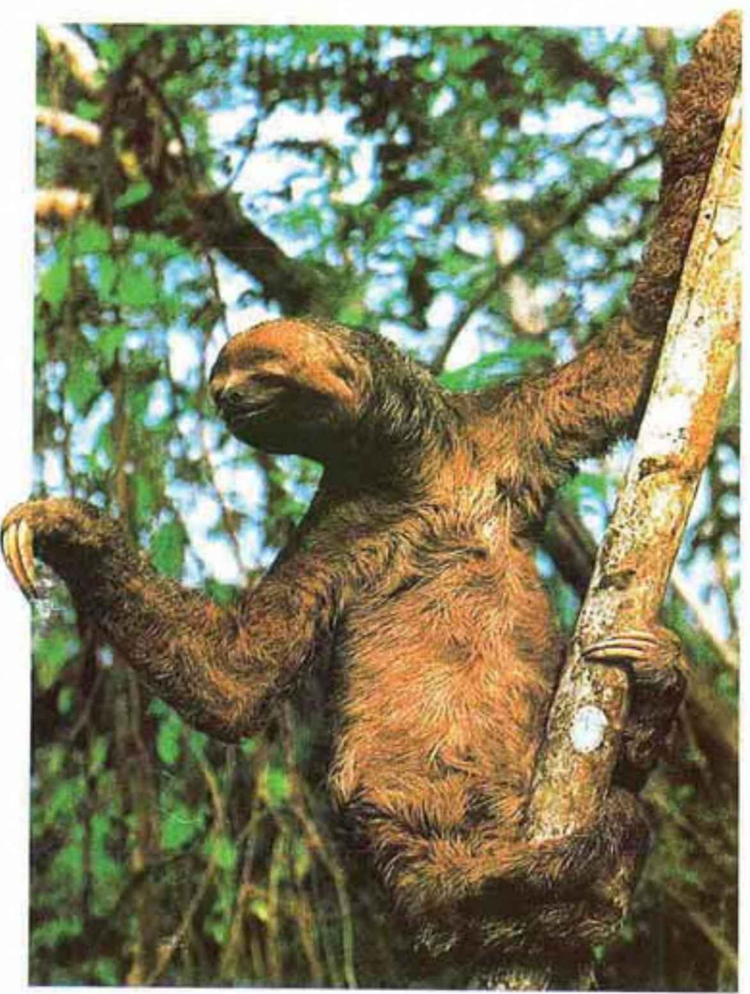
ويقول أحد علماء الحيوانات إن كسله لا يصدّق رغم أنه حقيقة ، ولذلك فإنه يُعتبر أحد عجائب الخلق ورمزاً حياً لسلبيات الكسل والبلادة مقابل قيمة العمل الجاد والجهد الخلّاق . وقد احتار علماء الحيوان في كيفية استمراريته في الوجود والحياة كل ملايين السنين هذه خاصة وهو يعيش في مملكة حيوانية أهم مقومات الحياة فيها ــ وخاصة للحيوانات صغيرة الأحجام ــ النشاط والحركة السريعة التي تساعد على الإفلات من بطش الحيوانات الكبيرة المفترسة ، لا سيما أن من جيرانه القردة التي هي على نقيضه تماماً حيث تملأ أجواء الغابة صياحاً وضجيجاً وحركة .

وهناك ثلاثة عوامل رئيسية هيأها الله (جل جلاله) لتساعد هذا المخلوق البائس على الحياة واستمرارية الوجود والبقاء والتكاثر لهدف ومراد لا يعلمه إلا هو (سبحانه) :

(١) لا يحتاج بسبب كسله وقلّة حركته إلا للقليل جداً من الطاقة ، لذلك فهو يكفيه القليل جداً من الطعام .

(٢) إن هناك نوعين من الطحالب الخضراء والزرقاء ينبتان في أماكن بيئته ، ومن أعجب ما يمكن أن نسمع أن هذين النوعين من الطحالب ينموان على رأسه ويخضرّان ولا يكلّف نفسه مشقّة حك رأسه أو تنظيف شعره منها ، وهي سوف تكون له وسيلة طبيعية للإخفاء والتمويه فتحجبه عن أنظار أخطر عدوين له وهما **النمور المخطّطة (الجاجوار) والنسور الجارحة** .

(٣) إن كلاً من قوائمه الأربع تنتهي بثلاثة مخالب قوية طويلة ومنحنية للأمام كالمناجل تمكنه من التعلّق بأغصان الأشجار بكل سهولة . وأيضاً بإحكام وثبات شديدين ، لدرجة يستحيل معها على أي إنسان أن يحرك قبضته عن الغصن . وحتى عندما يموت فهو يبقى معلّقاً زمناً طويلاً بغصن الشجرة ولا يسقط جسده على الأرض إلا بعد أن يتحلّل . **والهنود** سكان تلك المناطق الذين يصطادونه لأكل لحمه لا يصعدون إليه لأنهم يعرفون أن نزعه من غصن الشجرة أمر مستحيل ، **وهم غالباً يلجأون إلى نشر الغصن الذي يتعلق به بأكمله . ويكون هو غافلاً عما يجري حوله إلى أن يهوي إلى الأرض وينفصل عن الغصن فيصير على الأرض حيواناً بلا حركة ..** عاجزاً منكفئاً على وجهه وقوائمه مفتوحة ومخالبه دون نفع ، وعندها تصبح حركته زحفاً بطيئاً على بطنه (انظر الشكل) .



الكسلان

اكتشافات علمية

جيولوجيا
Geology

نظريات الانقراض المفاجئ للكائنات الحية

إن هلاك الكائنات الحيّة وانقراضها المفاجئ من على الأرض الذي يتمّ في بضع لحظات جيولوجية دون أن تترك أيّ أثر، كان دائماً أمراً يحيّر علماء التطوّر. ومنذ أكثر من عام رأت مجموعة من علماء المستحاثات وعلماء الفلك أن **هناك تأثيرات كونية يمكن أن تكون هي المسؤولة عن رمي الأرض بوابل متكرّر من المذنبات** comets المهلكة التي تكون سبب انقراض الكائنات الحية من على الأرض!

وكان قد بدأ الخلاف والجدل حول هذه النظرية في عام (١٩٧٩م)، حين أعلن ثلاثة علماء هم (**والتر ألفاريز**) من جامعة كاليفورنيا (**بيريكلي**) وهو ابن عالم الفيزياء المشهور الحاصل على جائزة نوبل، والعالم (**فرانك أسارو**)، والعالمة (**هيلين ميشيل**) أنهم وجدوا مستويات عالية من (**الإيـرّيديوم**) في طبقات الصخور المشكّلة منذ (٦٥) مليون عام، أي عندما كان نهاية عصر الديناصورات على الأرض، والايـرّيديوم عنصر معدني نادر جداً على الأرض، ولكنه يتوفّر نسبياً في النيازك Meteorites.

وبناء على هذا الاكتشاف، قال العلماء الثلاثة في نظريتهم الجديدة **إنه حدث أن صدم كويكب** asteroid **كبير الأرض، ونتج عن هذا الاصطدام سحب من الغبار صعدت إلى جوّ الأرض أهلكت الديناصورات وأنواعاً أخرى عديدة من الكائنات الحية!**.

وفي عام (١٩٨٣م) أتمّ عالما المستحاثات (**دايفيد راوب**) و(**جون سبكوسكي**) دراسة عن تسجيل مستحاثيّ لـ(٢٥٠) مليون عام الماضية من عمر الأرض، وأعلنا **بأن الانقراضات الكبيرة للكائنات الحية من على الأرض يبدو أنها تحدث بانتظام (وبشكل دوري) وفي كل فترة معيّنة تبلغ (٢٦) مليون عام.**

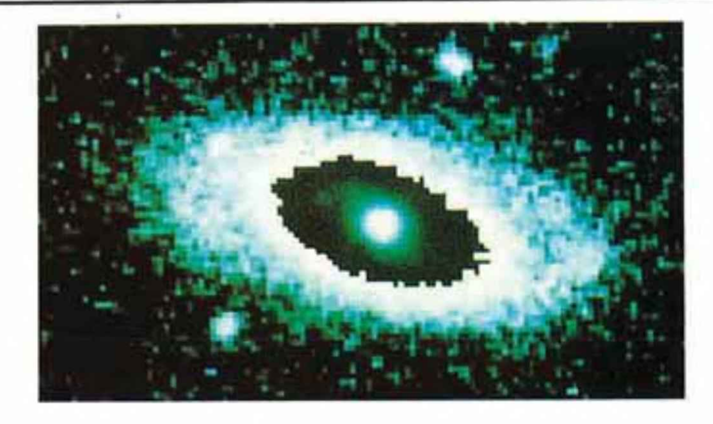
والتفسير الشائع جداً لانهيار المذنّبات على الأرض جاء به عالم الفيزياء في جامعة

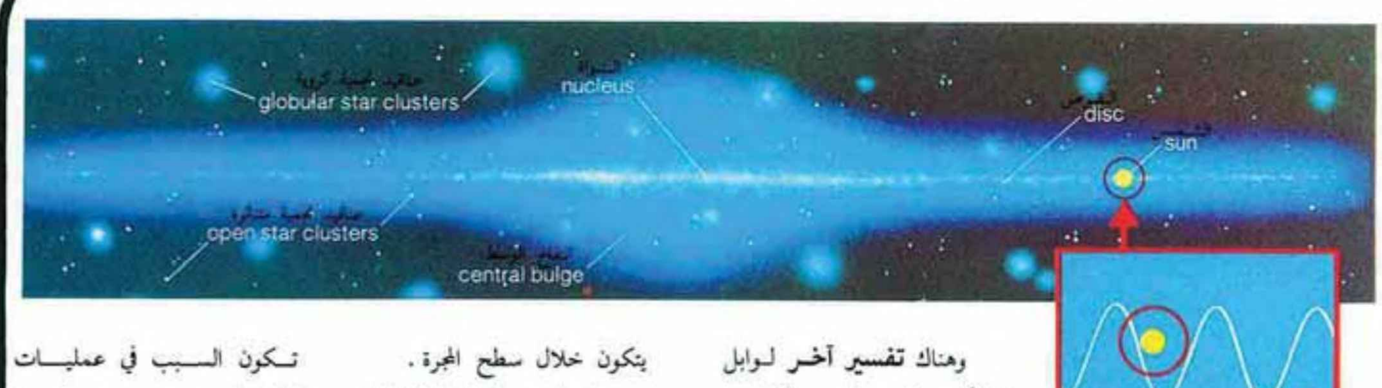
كَـوْن COSMOS

اكتشاف عدسات الجاذبية في السماء

المجرّة ذات الاسم غير المثير (0305 + 2237) تبدو كأيّ مجرة من (٧٠٠٠) مجرّة قريبة منّا، وقد قام العالم الفلكي (**جون هوشرا** John Huchra) وزملاؤه من مركز **هارفارد سميث سونيان** لعلم فيزياء الفلك بمسحها ودراستها طوال العشر سنوات الماضية، وكانت نجوم هذه المجرة تشعّ بأضوائها كأيّ نجوم عادية، ولها مركز مضيء ساطع، كما أنه رصد منها إشعاعات ضعيفة تدلّ على وجود أذرع حلزونية لها.. ولكن كان هناك طيف ضوئيّ قويّ يأتي من جانب المجرة حيّر العلماء كشف مصدره.

وبعد جهود مضنية من فريق العالم (**هوشو**) الذين عملوا على المنظار ذي المرآة المضاعفة متعدّدة الطيّات العملاقة المقام على قمة جبل **هوبكنز** في (**أريزونا**) وجدوا أن هذه البقعة المركزية المضيئة ليست جزءاً من المجرة وإنما هي شبيه نجم (**كواسار** Quasar) يبعد





(بـريكلي) (ريتشـارد مولر) الذي قال إن هناك نجماً رفيقاً للشمس غير مكتشف حتى الآن اسمه (نيميسيس Nemesis) وهو نجم متوسّط بارد، وإنه كل (٢٦ ـ ٣٠) مليون عام يعوق هذا النجم سحابة (أورت Oort) التي تقع خلف النظام الشمسي وتلفّه، ومنها تنطلق المذنّبات باتّجاه الأرض لتصطدم بها.

وهناك تفسير آخر لوابل المذنّبات الذي يضرب الأرض، وهو افتراض يقول بوجود **كوكب عاشر للمجموعة الشمسية غير مكتشف حتى الآن، وإنّه هو المسؤول عن وابل المذنّبات الذي يضرب الأرض.. وهناك نظرية ثالثة** تقول بافتراضية **الشمس المتذبذبة** oscillat-ing، التي تفترض أنه قد حدث تصادم بين سحابة المذنّبات (أورت) وسحب (بين نجمية) عندما كان النظام الشمسيّ يتكون خلال سطح المجرة.

وقد اجتمع العلماء القائلون بكل هذه النظريات في شهر يناير (كانون الثاني) الماضي في (توكسون) في محاولة لوضع نظرية واحدة صحيحة تفسّر هذا الأمر، واستقرّ الرأي أخيراً على أن نظريّة (الشمس المتذبذبة) **هي أصحّ تفسير لعملية انقراض المخلوقات المفاجئة من على الأرض.**

ومع هؤلاء، وهؤلاء، فإن بعض علماء الجيولوجيا يجمعون البراهين لنظريات أرضية قد تكون السبب في عمليات الانقراض، وهي مبنية على أساس **نظريات انحراف القارات والثورانات البركانية وبعض التأثيرات الكونية**.. وفي الصورة رسم توضيحي لنظرية الشمس المتذبذبة التي تُعتبر أصحّ نظرية حتى الآن، ونرى **حركة الشمس الموجيّة**، ثم نرى (فوق) **موقع الشمس وكواكبها في مجرّتنا درب التبّانة**.

* * *

بحوالي (٧) آلاف مليون سنة ضوئية، أي (٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) كيلومتر، وذلك في الطرف البعيد الآخر من المجرّة، وهو إشعاع هائل وطاقة قوية جداً.

واستنتج العلماء بأنهم إنما يشاهدون كوازاراً عادياً كان يصلهم إشعاعه من خلال مركز المجرّة، حيث الخلل يكون مليوناً لواحد، وتبيّن لهم أنهم أمام ظاهرة كونية نادرة اسمها **عدسات الجاذبية** gravita-tional lens التي تعمل في السماء كمرصد طبيعي يلتقط الإشعاع ويقوّمه ويكبّره، ويرسله من خلاله واضحاً قوياً، وهي هنا التقطت الضوء الواهن المنحني الآتي من الكوازار الغامض البعيد وركّزته focused وكبّرته بمساعدة حقل الجاذبية حول مركز المجرّة المخلخل، وهذا أيضاً يوجد إمكانية وجود ثقب أسود black hole ضخم، وإذا تمكّنت عدسات الجاذبية من تركيز وتكبير إشعاع الكوازار الآتي من البعيد فستهبط فرص رصده حتى واحد إلى ثلاثين، لأن الكوازارات الغامضة توجد بكثرة في السماء.

وكانت نظرية النسبية العامة للعالم **آنشتاين** قد تنبأت من قبل بوجود عدسات الجاذبية هذه في السماء، ولكن حتى الآن لم يكتشف علماء الفلك وجود إلا خمس منها فقط في هذا الفضاء الرحب، وإضافة إلى كونها قريبة منا كما يقول العالم (هوشرا)، إلا أن عدسات الجاذبية المكتشفة حديثاً هذه تكاد تكون الأولى التي يُحتمل أن تكون تماماً كمجرة مفردة، وعمليات التصوير التقنية المتقدمة التي قام بها العالم **(انتوني يتسون)** من مختبرات «بل» تقترح بأن علماء الفلك لم يشاهدوا خيالا واحداً بل شاهدوا ثلاثة أخيلة متفرّقة، كل خيال منها يتشكل من الضوء الآتي من الكوازار البعيد وقد فتح ممراً لنفسه مختلفاً من خلال قلب المجرّة.

وبمقارنة كثافات الأخيلة الثلاثة هذه، سيتمكن علماء الفلك من إيجاد كيفية توزع الكتلة الخارجية حول قلب المجرة، وبحساب التقلب في مقدار كثافة أخيلة الكوازار المختلفة هذه سيتمكنون من قياس المسافة لهذه المجرة العلمية، مؤسسين بهذا المقياس المعياري الجديد الموثوق به الذي سيستخدمونه مستقبلاً لقياس أبعاد كلّ أجرام السماء في بقية أنحاء الكون.. وفي الصورة تبدو مجرّة (0303 + 2237) وقد برز منها ضوء الكوازار الآتي من بعيد بعد أن ركّزته وكبّرته عدسات الجاذبية المكتشفة حديثاً.

اللوحة : صياد

• يصور الفنان صياداً يجلس بين أفراد أسرته، يحكي لهم ثمار تجربته مع البحر، ربما بعد اعتزاله رحلات الصيد، أو بعد عودته من إحدى رحلات الصيد المضنية، ليحكي لهم ذكرياته.. والبحر له تأثير جوهري في المكونات الشخصية لأهل دول الخليج العربي، فعلاقتهم وثيقة به، ويشكل لهم الحلم والأمل والهدف، بل إنه أحد المصادر الأساسية للثروة والرزق.. وظل أهل المنطقة يعتمدون عليه بصفته مصدراً أساسياً لفترة طويلة للسكان..

لذا تأثر فنانو تلك المنطقة ومنهم هذا الفنان بالبحر، فعبّر عنه من خلال هذا الصياد، والبحر أحد المظاهر الطبيعية، التي تبعث على التأمل والاسترسال في الخيال، كما أنه مصدر للراحة النفسية حين الجلوس جانبه والنظر إليه.. ومنظر البحر والتقائه بكل من الرمال «الشاطئ» والسماء، غني بالجمال الشكلي واللوني والحسي سواء في ضوء الشمس أو القمر..

• تنتمي هذه اللوحة إلى المدرسة التعبيرية، ويبدو هذا واضحاً من الحالة الحركية للمشخصات، ومن التعبيرات المختلفة والمتنوعة المرتسمة على الوجوه.. وقد اتخذ الفنان هذا الموضوع لإبراز تلك التعبيرات، والانفعالات المرتسمة على الوجوه عن طريق الألوان والخطوط والأشكال المبسطة، ويمكن إدراجها أيضاً تحت المدرسة الواقعية.

• التكوين في اللوحة تقليدي ويميل إلى الكادر السينمائي، وقد تقيد الفنان بأصول النسب التشريحية إلى حد كبير كما أنه راعى قواعد المنظور من حيث الحجوم، ولكنه لم يتقيد بها من حيث التدرجات اللونية، فالدرجات اللونية للبحر في خلفية المشخصات تماثل التدرجات اللونية للأشخاص من حيث الشدة.. كما أن الفنان قد سجل الأزياء الوطنية كجزء من تسجيل التراث الشعبي.

• التشكيل في اللوحة في إطار الثلاثة أبعاد، ويتميز التكوين بالديناميكية والرسوخ، والألوان متجانسة رغم استخدامه الألوان الشعبية والزخارف المستمدة من البيئة سواء في الملابس أو السجادة.

الفنان : أنور بن خميس بن سونيا

• ولد بسلطنة عُمان في عام ١٩٤٨م.

• اشترك في المعرض العام الأول للفنون التشكيلية في المهرجان الثقافي الأول لشباب عُمان عام ١٩٨٠م.

• شارك في معرض الشباب للفنون التشكيلية بمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء الإعلام العرب عام ١٩٨١م.

• اشترك في المعرض العام الثاني للفنون التشكيلية في المهرجان الثقافي الثاني لشباب عُمان عام ١٩٨١م، كما شارك في الثالث والرابع والخامس.

• اشترك في معرض الشباب المتنقل الأول للفنون التشكيلية في بزوي عام ١٩٨٢م، وشارك في المعرض الثاني أيضاً الذي أقيم في صلالة عام ١٩٨٢م.

• اشترك في معرض المهرجان الثاني لدول الخليج العربي بباريس عام ١٩٨٠م.

• اشترك في معرض الكويت السابع للفنانين التشكيليين العرب بالكويت عام ١٩٨١م.

• شارك في معرض الخليج العربي الثاني للفنون التشكيلية في بغداد عام ١٩٨١م.

• اشترك في معرض بينالي القاهرة الدولي الأول عام ١٩٨٤م، بالقاهرة.

• اشترك في معرض مؤتمر القمة الخليجي لدول مجلس التعاون عام ١٩٨٤م.

• اشترك في معرض الفنون التشكيلية والصناعات الشعبية بدولة الإمارات العربية المتحدة.

• اشترك في معرض الخليج الأول بدولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٨٥م.

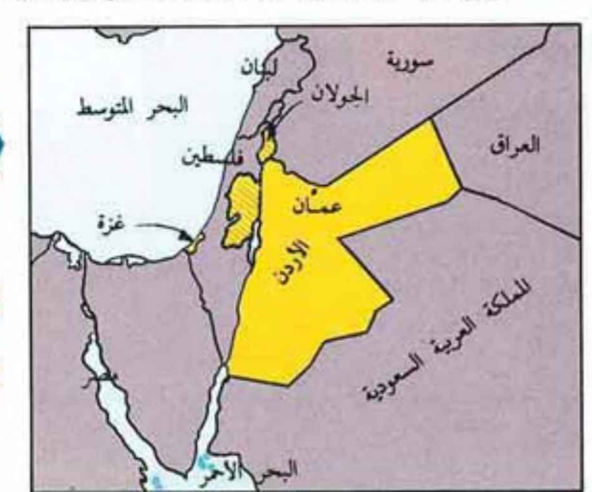
• حصل على ميدالية ذهبية وشهادة تقدير في مجال الرسم عام ١٩٨٠م، في المعرض العام الأول للفنون التشكيلية.

• حصل على ميدالية ذهبية في مجال النحت في المعرض العام للفنون التشكيلية لعام ١٩٨٠م.



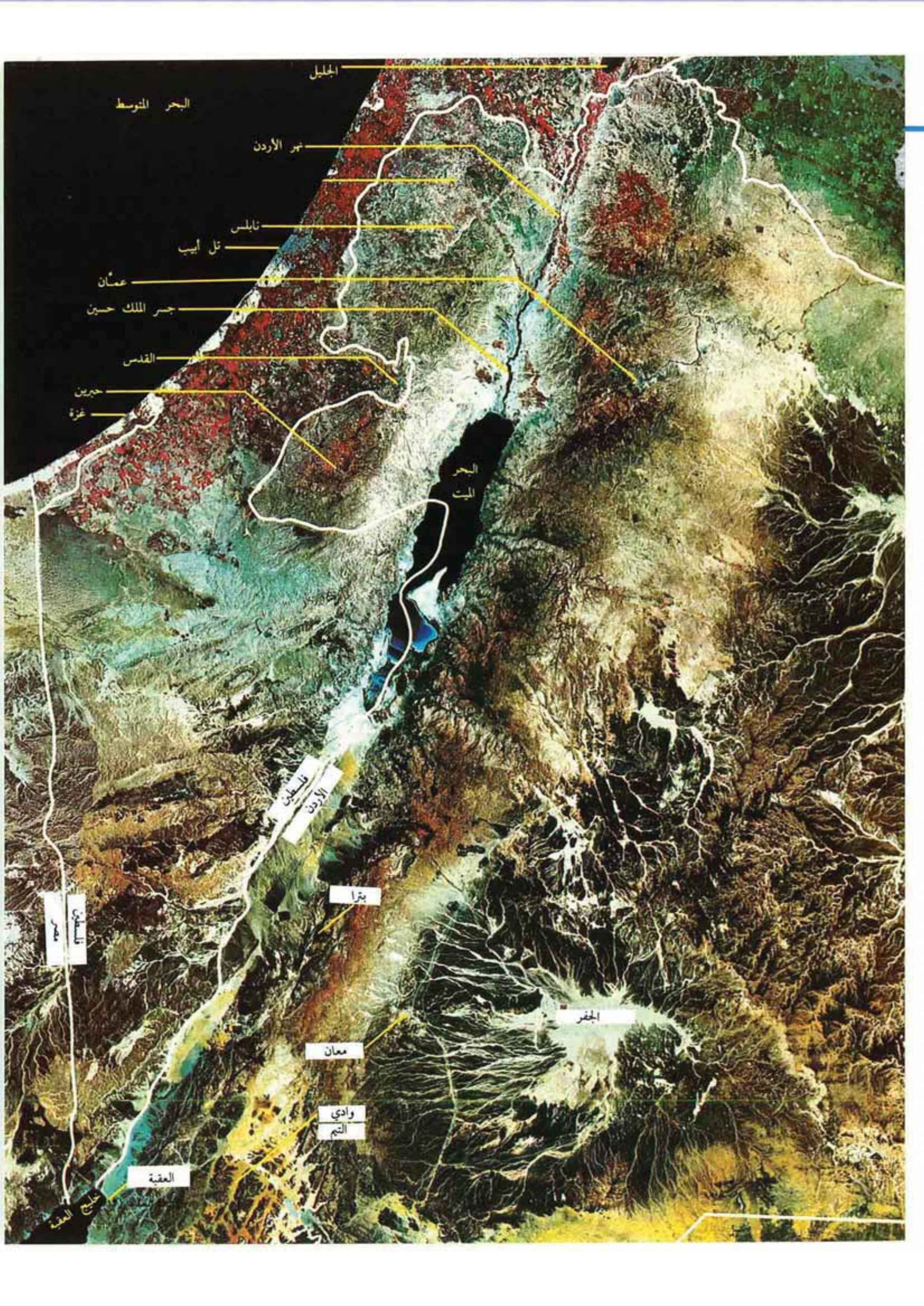
★ صورة واضحة التقطها القمر الصناعي لاندسات لوادي الأردن . ويظهر الغالق السوري الإفريقي الذي شطر قارة إفريقيا عن آسيا وأدى إلى تشكل البحر الأحمر ★

البحر الميت والمشروع الإسرائيلي لتغيير المعالم



بقلم : عدنان عضيمة

منذ خمس سنوات مضت حدث انقلاب مفاجئ في التركيبة الكيميائية لعمود الماء في البحر الميت DEAD SEA ، إذ تبددت المياه الأحفورية FOSSIL WATER العميقة ذات درجة الملوحة العالية بعد أن اختلطت بطبقة المياه الحديثة التي تعلوها وتعزلها عن الاتصال بالجو . وإذا كان سبب ذلك يعود إلى المشاريع التي نفذتها إسرائيل في مجال تحويل مجاري المياه لأغراض الري ، فإن البحر الميت على أبواب انقلاب شامل في تركيبته الطبيعية بسبب مشروع إسرائيلي آخر يجري العمل به حالياً لجر مياه البحر الأبيض المتوسط إليه من أجل توليد الطاقة الكهربائية .



الجليل
البحر المتوسط
نهر الأردن
نابلس
تل أبيب
عمّان
جسر الملك حسين
القدس
حبرين
غزة
البحر
الميت
فلسطين
الأردن
بترا
فلسطين
مصر
الجفر
معان
وادي
اليتم
العقبة
خليج العقبة

البحر الميت والمشروع الإسرائيلي لتغيير المعالم

عندما يذكر البحر الميت فإن أول ما يتبادر إلى الذهن ملوحته العالية التي يتميز بها ، فمنذ بضعة آلاف من السنين اندفعت المياه المحملة بالأملاح المذابة نحو فالق وادي الأردن JORDAN RIFT VALLEY لتتجمع في حوض البحر الميت . وإثر ذلك انقطع معين المياه التي كانت تصب في الحوض ، وبدأت المياه بالتبخر السريع عندما ساد المنطقة مناخ صحراوي جاف ، وبدأت درجة الملوحة في الارتفاع للدرجة التي جعلت الأملاح تتبلور وتغطي القاع بطبقة سميكة من الرواسب . واليوم يعد البحر الميت أكثر البحار ملوحة في العالم ، إذ يحتوي الكيلوغرام الواحد من مياهه على ٢٨٠ غراماً من الأملاح ، في حين تبلغ درجة ملوحة مياه المحيطات الوسطى ٣٥ غراماً في الكيلوغرام .

كما يتميّز البحر الميت في كونه أكثر مناطق الأرض انخفاضاً عن مستوى سطح البحر ويبلغ هذا الانخفاض ٤٠٠ متر . وهذين العاملين المميزين ـ الملوحة والانخفاض ـ جعلا البحر الميت مخزناً هاماً للمواد الكيميائية والخامات التي أصبحت تستغلها إسرائيل إلى جانب الأردن .

وتعد البحيرات مرقاباً MONITOR للتغيرات البيئية التي مرت على المنطقة ، إذ تحتوي رواسب القاع في العادة على سجل مفصل للتاريخ الجيولوجي والبيئي ، وفي حالة البحر الميت فإن التاريخ الجيولوجي لم يسجل فقط في الرواسب ، بل أيضاً في ملوحة المياه التي يستقرئ منها العلماء التاريخ الهيدرولوجي HYDROLOGIC HISTORY للبحر .

وخلال القرون العديد الماضية كانت الكميات القليلة من المياه العذبة التي تصل من الجداول والأنهار والينابيع المجاورة ، تضاف إلى الطبقة المائية السطحية للبحر بسبب نقص ملوحتها وكثافتها ، وهذا يؤدي إلى حدوث انفصال شبه تام بين الطبقتين المائيتين القاعية والسطحية . ومنذ عقد الستينات الميلادي بدأ مستوى سطح البحر الميت بالانخفاض التدريجي حين شرعت إسرائيل بتحويل مجاري المياه التي كانت تصب في البحر الميت من أجل الري ، ونقصت إثر ذلك مصادر المياه العذبة وازدادت درجة ملوحة الطبقة المائية السطحية كما ازدادت كثافتها فبدأت بالاختلاط مع الطبقة المائية العميقة .

البحر الميت عبر التاريخ

يتألف البحر الميت من حوضين ، حوض شمالي أكثر عمقاً ومساحة ، وحوض جنوبي صغير المساحة لا يتعدى عمقه بضعة أمتار .

وتفصل بين الحوضين شبه جزيرة عريضة تدعى اللسان EL LISAN تعد امتداداً للضفة الشرقية ، ويتصل الحوضان بمضيق ضيق يقع على مقربة من شاطئ الضفة الغربية . وأدى الانخفاض المتزايد لمستوى سطح البحر إلى تعرض الحوض الجنوبي للجفاف شبه التام معظم أيام السنة .

ويقع البحر الميت في ظل الأمطار RAIN SHADOW التي تسقط على الضفة الشرقية بمعدل ٦٠٠ ملم في العام (٦٠٠ ليتر في المتر المربع) ، أما في الحوض نفسه فيبلغ معدل تساقط الأمطار ٥٠ إلى ٧٥ ملم فقط ، وفوق الحوض الجنوبي يبلغ عدد أيام السنة التي تخلو فيها السماء من الغيوم ٣٠٠ يوم ، وترتفع درجة الرطوبة في الصيف إلى ٤٠٪ ، كما يبلغ متوسط درجة الحرارة ١٦ درجة مئوية في الشتاء و ٣٤ درجة في الصيف ، وأعلى درجة حرارة سجلت في المنطقة بلغت ٥٤ درجة مئوية .

وقبل تنفيذ مشاريع الري كان ثلثا مصادر المياه التي تغذي البحر الميت يأتي من نهر الأردن وبحيرة طبريا ويأتي الثلث الباقي من نهر أرنون ARNON الواقع إلى الشرق ، بالإضافة لينابيع المياه العذبة والمالحة والسيول الموسمية التي تنساب إثر تساقط الأمطار على الضفتين .

وبسبب التقلبات المناخية وتغير معدل سقوط الأمطار فإن البحر الميت كان يمر بمراحل تغير مستمرة من حيث عمقه ومساحة سطحه ودرجة ملوحة مياهه . وتميزت معظم سنوات العقدين الماضيين بتناقص كميات المياه العذبة التي تصله من المصادر المختلفة ، بعد قيام إسرائيل بتحويل مجاري الأنهار الصغيرة لأغراض الري تنفيذاً للبرنامج المسمى بنظام (ناقلات المياه القومية الإسرائيلية ISRAEL'S NATIONAL WATER CARRIERS) . والآن يبلغ معدل تناقص منسوب سطح البحر نصف متر في العام .

ويمكن التعرف على نشأة البحر الميت من خلال نظرية انزياح الصفائح التكتونية PLATE TECTONICS ، حيث تتحرك كتل من طبقات القشرة الأرضية بعد انقسامها بواسطة الفوالق الضخمة . ويقع البحر الميت ضمن الفالق السوري ـ الإفريقي SYRIO - AFRICAN RIFT الذي أدى إلى فصل قارتي إفريقيا وآسيا عن بعضهما . وتشهد القشرة الأرضية الواقعة شرق الفالق حركة انزياح نحو الشمال مستمرة منذ عشرة ملايين من السنين .

وأدت هذه الحركة النسبية إلى تمدد الطبقات الأرضية وهبوطها . وفي بعض الأماكن يظهر مستوى الفالق واضحاً وهو شديد التحرج نحو الغرب . وإثر حدوث الانهدام تشكلت الأحواض المنفصلة ومنها البحر الميت . ويثبت وجود الطبقات السميكة من الأملاح ، كملح كلور الصوديوم والجيبسوم GYPSUM في

رسوبيات الوادي الممتد على طول الشمال ، بأنه خلال **عصر البليوسين** PLIOCENE منذ مليونين إلى خمسة ملايين من السنين كان الوادي عبارة عن **بحيرة ضحلة** LAGOON واسعة تتصل بالمحيط الواقع إلى الغرب . ثم انقطع هذا الاتصال إثر سلسلة من الحركات التكتونية الأرضية فتشكلت عدة بحيرات منفصلة ، كانت من أهمها **بحيرة اللسان** LAKE LISAN التي كانت أكثر عمقاً واتساعاً من البحر الميت نفسه ، فقد بيّنت المعلومات أن سطحها كان ينخفض عن مستوى سطح البحر بمقدار ١٨٠ متراً فقط .

ويعتقد العلماء أن البحر الميت لم يتخذ شكله الذي يوجد عليه الآن إلا خلال العشرة آلاف سنة الماضية ، وبيّنت الخرائط التي رسمها المؤرخون عام ٥٦٠ بعد الميلاد وجود الحوض الشمالي من البحر فقط، ويرجع العلماء حدوث سلسلة من التغيرات منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، أدت إلى تغير مستوى سطح البحر الميت ، من أهمها قطع الأشجار من الجبال المحيطة به مما سبب السيول التي كانت تصب مياهها في البحر . والقياسات الحقيقية لمنسوب سطح البحر الميت ، التي أجريت عام ١٩٢٠ م ، أثبتت أن سطحه كان ينخفض بمقدار ٣٩٢ متراً عن مستوى سطح البحر ، ومنذ تلك الفترة أخذ منسوب المياه يتناقص تدريجياً .

الملوحة والحياة

وخاصة الملوحة SALINITY تعد الظاهرة الأساسية التي لازمت كلاً من البحر وحوضه منذ القديم . وتحتوي الأملاح على خليطة من العناصر الكيميائية ، وبالمقارنة مع الأملاح ذات الأصل البحري فإن **أملاح وادي الأردن تعد أغنى بعناصر الكالسيوم والمغنيزيوم والبوتاسيوم والبروم ، وأفقر بعنصر الصوديوم . ومن حيث الشوارد السالبة ، تحتوي أملاح البحر على نسب أقل من الكبريتات** SULFATES **والكربونات** CARBONATES **. ومثل هذا التركيب لا يمكن أن يكون ناتجاً عن تبخر مياه البحر ، ولا نتاجاً لعمليات التجوية** WEATHERING **للصخور القارية ، ولهذه الأسباب بقيت المراحل المفصلة لبلوغ البحر الميت هذه الدرجة العالية من الملوحة مثار خلاف بين العلماء .**

وفي عام ١٧١٥ م ، اقترح العالم الفلكي **الإنجليزي إدموند هالي** EDMUND HALLEY طريقة لتحديد تاريخ تجمع المياه والأملاح في البحر الميت تعتمد على مقارنة سرعة تدفق الأملاح إلى البحر مع كمية الأملاح المخزونة في مياهه وقاعه . وفي عام ١٩٦١ م ، قام **ياكوف بنتور** YAACOV BENTOR **من جامعة هيبرو** HEBREW بمثل هذه المقارنة فتوصل إلى أن عمر ملوحة البحر الميت يقارب عمر البحر نفسه . وكشفت الأبحاث اللاحقة بأن أغلب الأملاح الذائبة لم تأت في الواقع من مجموعة الأنهار التي تصب في البحر الميت بل من الينابيع وسطوح الرشح المائي ، فالكثير من هذه المصادر لها تركيب كيميائي كثير الشبه بتركيب البحر نفسه ومرت بنفس دورة الملوحة التي مر بها البحر الميت . ويلائم ذوبان بعض رواسب البحيرات القديمة التي خلفها انحسار المحيط في زيادة درجة ملوحة البحر ، ومثل هذا التفسير يتفق مع وضعية البحر الميت من حيث انخفاضه عن مستوى سطح البحر وحيث يصبح هروب الأملاح أو تسربها إلى أي مكان آخر شيئاً مستحيلاً .

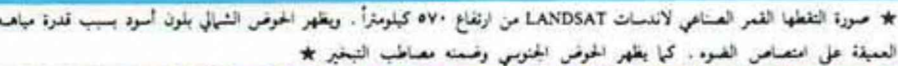
وغياب صور الحياة المتطورة من البحر الميت بسبب التركيز العالي للأملاح هو الذي أعطى للبحر اسمه ــ بالرغم من المحاولة الفاشلة التي قام بها علماء جامعة هيبرو لإعطائه الاسم العبري YAM HAMELACH الذي يعني البحر المالح ــ .

وفي عام ١٩٣٦ م ، أثبت العلماء أن البحر الميت كان دائماً موطناً **لبعض المتعضيات الدقيقة** MICRO ORGANISMS ، كالبكتيريات والأشنيات ALGA ، وخاصة **أشنة الديوناليللا** DUNALIELLA التي تصادف عادة في المياه العذبة أو مياه البحر وتتميز بقدرتها على التكيف مع الأوساط ذات درجة الملوحة المرتفعة ، ذلك لأنها تستطيع تركيب كميات كبيرة من مادة **الجليسيرول** GLYCEROL المتدرجة التي تزيد **الضغط الحلولي** OSMOTIC PRESSURE - داخل الخلية فتمنع تسرب الأملاح إليها . كما وجدت **البكتيريات متحملات الملوحة** - HALOTOLERANT BACTERIA التي يمكنها العيش في المياه ذات الملوحة المتوسطة قريباً من الشواطئ الشمالية للبحر .

وتضاف إلى هذه الأنواع الأحياء الدقيقة المقاومة للأملاح **كالأحياء الهوائية** AEROBIC ، وهي نوع من البكتيريات التي تعيش على الأوكسيجين ، ولا تستطيع العيش في الأوساط التي يقل تركيز كلور الصوديوم فيها عن ١٥٠ غراماً في الكيلوغرام الواحد من الماء . وتحتوي الخلية البكتيرية الملحية على تركيز عال من البوتاسيوم ، وغشاء الخلية ذو مواصفات تكيفية خاصة تعتمد على مبدأ التضاد الكهربائي بين شوارد الصوديوم والبوتاسيوم ، مما يؤدي إلى احتفاظ الخلية بمحتواها من البوتاسيوم ومنع تسرب الصوديوم إلى داخلها .

ويتغير المحتوى الحيوي لمياه البحر الميت بتغير العمق ، إذ بيّنت الدراسات التي أجريت على طبقات مياهه المختلفة أن التعداد الكلي للبكتيريات قد تناقص بمعدل مائة مرة على عمق ٥٠ متراً . ولم يتم العثور على أي من الطحالب أو الأشنيات على عمق يتجاوز المائة متر . وفي عام ١٩٧٠ م ، عدّ الخبراء ٤٠,٠٠٠ خلية من أشنة الديوناليللا الخضراء في الميلليلتر الواحد (١ سنتيمتر مكعب) من مياه السطح ، وعلى عمق ٥٠ متراً لم يعثروا سوى على البكتيريات الهوائية .





★ صورة التقطها القمر الصناعي لاندسات LANDSAT من ارتفاع ٥٧٠ كيلومتراً . ويظهر الحوض الشمالي بلون أسود بسبب قدرة مياهه العميقة على امتصاص الضوء . كما يظهر الحوض الجنوبي وضمنه مصاطب التبخير ★

الثروات الدفينة ومشاريع إسرائيل

أكثر المعادن MINERALS الذائبة في مياه البحر الميت أهمية هو **البوتاس** POTASH الذي يتألف من ملح **كلور البوتاسيوم** ، وتبلغ نسبة هذا الملح ١ ٪ من الكتلة الكلية للأملاح ، ويأتي في المرحلة الثانية من حيث الأهمية ملح **كلور الصوديوم** الذي يؤلف نسبة ٨ ٪ ، ثم **كلور المغنيزيوم** MgCL2 بنسبة ١٣ ٪ ، **وشوارد البروم** Br التي تشكل ٣ ٪ . وأول طريقة لاستخراج وفصل هذه الأملاح حققها مهندس المناجم الروسي **نوفوميسكي** NOVOMEYSKI عام ١٩٣٠ م ، حين وصله استدعاء من الإدارة البريطانية للقيام بالدراسات اللازمة لابتكار طريقة لاستخراج البوتاس . وتعتمد طريقة نوفوميسكي على مبدأ **الترسيب الانتقائي** SELECTIVE PRECIPI-TATION ، وهي الطريقة التي ما زالت متبعة حتى اليوم لإنتاج بوتاس البحر الميت . وتتلخص بضخ مياه البحر وصبها في سلسلة من **مصاطب التبخير** EVAPORATION PANS الضحلة ، وعندما تبدأ المياه بالتبخر التدريجي يبدأ كل ملح بالتبلور على حدة عندما يصل تركيزه إلى **نقطة الإشباع** SATURATION POINT ، وأول الأملاح ترسباً هو **الجيبسوم ـ كبريتات الكالسيوم** CaSO4 ـ ثم **كلور الصوديوم** ، ثم معدن **الكارنالايت** CAR-NALLITE (كلور المغنيزيوم والبوتاسيوم المتميهين) . ولاستخراج البوتاس الذي يستعمل أساساً كسماد ، يفصل كلور البوتاسيوم عن ملاطة الكارنالايت ، والكمية القليلة من الملح المتبقي تعامل بغاز الكلور لفصل كميات عنصر البروم التي تتواجد فيها بصورة شوائب .

★ تظهر الخريطة أعماق النقاط المختلفة لحوض البحر بواسطة خطوط المناسيب المترية . القطاع الممثل بلون أخضر يمثل المناطق التي جفت تماماً ★

500
600
700
725
728
728
725
600 700
500
405
400
405
400
401
401
392

★ خريطة للبحر الميت توضح الأنهار والجداول ، التي كانت تغذيه بالمياه العذبة والتي حولت إسرائيل مجاريها . ويبدو مخطط الأقنية الأربع المقترحة ★

بيروت
البحر المتوسط
دمشق
حيفا
بحيرة طبريا
نهر اليرموك
تل أبيب
نهر الزرقاء
نهر الأردن
عمان
أريحا
القدس
البحر الميت
بئر السبع
ش
العقبة
خليج العقبة
0 50 100



وفي البداية كانت مصاطب التبخير تقام قريباً من شواطئ الحوض الجنوبي للبحر، وامتدت مساحتها الكلية حتى بلغت ١٣٠ كيلومتراً مربعاً عام ١٩٦٦ م، فشغلت بذلك نصف الحوض. والتغيرات التي طرأت على الحوض منذ إنشاء المصاطب أثرت على العملية نفسها، فالملوحة المتزايدة أدت إلى تناقص الوقت اللازم لإتمام عملية التبخير، ولكنها خلقت صعوبة أخرى تمثلت بترسب الأملاح ضمن مضخات الحقن.

وفي عام ١٩٠٢ م، اقترح **تيودور هرتزل** المشرف على إنشاء الدولة الصهيونية في فلسطين بكتابه «**أرض الميعاد** ALT-NEULAND» مشروعاً للاستفادة من فرق المنسوب بين مستوى سطحي البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت البالغ ٤٠٠ متر في إنتاج الطاقة الكهربائية المائية. ومنذ ٤٠ عاماً وضعت خطة شاملة لاستغلال وادي الأردن من قبل العضو البريطاني المحافظ **والتر لوديرميلك** WALTER LOWDERMILK تتضمن مشروعاً لتحويل مجرى نهر الأردن واستغلال مياهه في أغراض السقي، وآخر لإنشاء قناة تصل بين البحر المتوسط والبحر الميت بغية إنتاج ١٠٠ ميغاواط من الطاقة الكهربائية. وأتمت إسرائيل تنفيذ مشروع تحويل جزء من **نهر الأردن** وكذلك **نهر اليرموك**، والانخفاض المتزايد في منسوب المياه في البحر الميت الذي نتج عن تحويل المياه جعل مخطط إنتاج الطاقة الكهربائية ذو قيمة متزايدة الأهمية.

وفي عام ١٩٧٧ م، عينت الحكومة الصهيونية هيئة كلفتها بإعداد المخطط النهائي لمشروع القناة المائية، فاقترحت الهيئة أربعة معابر للقناة بحيث يتم الاتفاق النهائي على اختيار أحدها، القناة الأولى تصل بين **خليج العقبة** والبحر الميت، والقنوات الثلاث الأخرى تصل من البحر المتوسط، وأولها القناة الشمالية التي وردت خطة إنشائها في مشروع لوديرميلك وتصل من **وادي جزريل** JEZREEL VALLEY قرب حيفا إلى بحيرة طبريا، ومن ثم تتدفق المياه بشكل سيول نحو وادي الأردن ثم البحر الميت، **ويعد هذا المشروع من أكثر المشاريع الإسرائيلية خطورة بسبب التلوث الذي سينتج عن اختلاط المياه المالحة بمصادر المياه العذبة المتواجدة في وادي الأردن، كما تشكل السيول خطراً على المساكن والقرى والمزارع المنتشرة في الوادي**. والقناة الثانية تصل بين منطقة تقع جنوب **تل أبيب** والبحر الميت مباشرة،

وتعد القناة الثالثة أكثر أهمية بسبب عبورها لصحراء النقب وتمتد من أقصى الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط وحتى بئر السبع ثم البحر الميت، وهذه هي القناة التي يرجح الخبراء احتمال تنفيذها.

ويتضمن المشروع ملء البحر الميت حتى يعود منسوب سطحه إلى ما كان عليه خلال عقد الثلاثينات وهو ٣٩٣ متراً في غضون عشرة أو عشرين عاماً، ويصاحب ذلك تدفق (١٠٦) كيلومترات مكعبة من المياه سنوياً.

ويكافئ هذا التدفق توليد طاقة كهربائية في التوربينات تقدر بـ ٨٠٠ مليون كيلوواط/ ساعة في العام، مما سيؤدي إلى توفير ٢٧٥٠٠٠ طن متري من الوقود السائل سنوياً. ويزمع الخبراء إنشاء سد لتخزين المياه في **منخفض مسعدة** MESSADA على ارتفاع ٣٠٠ متر عن سطح البحر الميت. وسيستعمل هذا السد في التحكم بتنظيم توليد القدرة الكهربائية وتكييفها مع تغيّر الطلب. وحالما يمتلئ البحر الميت سيتم التحكم بسرعة تدفق المياه الواردة إليه عبر القناة بحيث يتم تحقيق حالة من التوازن بين كمية المياه الواردة والمتبخرة، ومعنى ذلك أن فعالية القناة في توليد القدرة الكهربائية ستتناقص كلما زاد البحر امتلاء، وستصل هذه القدرة أدنى مستوياتها بعد عشرة أو عشرين سنة عندما سيصل مستوى السطح إلى منسوبه الأعظمي.

ويهدف زيادة أمد توليد القدرة الكهربائية قررت إسرائيل تحويل المزيد من مجاري المياه العذبة التي تصب في البحر الميت من أجل تخفيض سرعة امتلائه بالمياه.

وتزمع إسرائيل تحقيق فائدة أخرى من هذا المشروع تتمثل في إنتاج الطاقة بطريقة **البركة الشمسية** SOLAR POND التي تتلخص باستغلال تطبق STRATIFICATION الكتل المائية للبحر الميت بعد وصول مياه البحر المتوسط قليلة الملوحة والكثافة، فهذه الكتل الجديدة ستتجمع على السطح وتحجب الكتل المائية العميقة عن كل اتصال مع الجو، وعند سقوط أشعة الشمس فإن الطبقة المائية العميقة تسخن أكثر من الطبقة السطحية نظراً للتركيز المرتفع لأملاحها، وبذلك تختزن الطاقة الشمسية في أعماق البحر، ويمكن استخراجها بواسطة المحولات الحرارية التي تولد البخار.

ولقد أقامت الدولة الصهيونية محطات تجريبية للبرك الشمسية على شواطئ البحر الميت، أمكن بواسطتها تسخين المياه حتى ١١٠ درجات مئوية، ومن المتوقع أن يبلغ مردود إنتاج الطاقة الكهربائية بهذه الطريقة ٥ ميغاواط لكل كيلومتر مربع من مساحة البحر الميت، وتواجه تنفيذ هذا المخطط صعوبات فيزيائية وتكنولوجية معقدة لم يتمكن الخبراء الصهاينة من التوصل لحلها حتى الآن.

عمود الماء.. والتغيرات المستمرة

جميع البحيرات التي يسودها مناخ مشابه لمناخ البحر الميت لا بد أن تتميّز بدورة فصلية SEASONAL CYCLE، تتغيّر خلالها الخصائص الفيزيائية والكيميائية لعمود الماء.

ففي حالة البحيرات العذبة تسخن الشمس مياه الطبقة السطحية في فصل الصيف فتنقص كثافتها ، في حين تبقى الطبقات العميقة أكثر برودة وكثافة ، واعتماداً على هذه الظاهرة فإن **التدرج الثابت للكثافة STABILIZING DENSITY GRADIENT** يمكن استنتاجه بتتبع الاختلاف في درجات الحرارة . وتنفصل بين الطبقة المائية السطحية والعميقة خطوط الفصل الحراري THERMOCLINES التي تقع بين طبقتين مائيتين بينها اختلاف كبير في درجة الحرارة ، وتؤثر تغيرات درجة الحرارة بين الصيف والشتاء على موضع هذه الخطوط ، إذ ترتفع في الشتاء وتنخفض في الصيف .

وفي حالة البحر الميت تلعب الملوحة دوراً أكبر من الذي تلعبه درجة الحرارة في تطبق الكتل المائية ، إذ ينشأ خط الفصل الكثافي PYCNOCLINE بين الطبقتين السطحية والعميقة ، وعمق هذا الخط يتعلق بفرق الكثافة بين الطبقتين الناتج عن الاختلاف في درجة تركيز الأملاح . ويعود تغيّر درجة الملوحة إما إلى تمديد DILUTION المحلول المائي بسبب تدفق المياه العذبة ، أو إلى زيادة تركيز المحلول بسبب التبخر . ومن الناحية النظرية تعد التغيرات في الكثافة توابع لتغيرات درجة الحرارة ، وكمثال على ذلك فإن زيادة درجة الحرارة بمقدار ٢٠ درجة مئوية ، إذا اقترنت مع زيادة في التركيز مقدارها ٩,٢ غرامات لكل كيلوغرام ، فإن مجموع هذين التغيرين لا يؤدي إلى تغير كثافة المياه . ومن هنا يمكننا أن نفهم أسباب تغير التركيب الكيميائي والفيزيائي لعمود الماء في البحر الميت ، فلقد ازداد تركيز محلوله المائي بمقدار ٤٠ إلى ٥٠ غراماً لكل كيلوغرام خلال القرن الحالي ، ولربما كانت هناك تغيرات أكبر من هذه في الماضي . وأول القياسات الهيدروغرافية في البحر الميت أجريت عام ١٨٦٤ م ، وأثبتت بأن عمود الماء قد تطبق وفق تدرج تركيز الأملاح بدرجة أساسية ، وتم التأكد من هذه القياسات عام ١٩١٩ م . وبيّن **كينيث إيمري KENNETH EMERY من معهد وودز هول لعلوم المحيطات** أثناء دراسة التطبق المائي للبحر الميت في عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ م ، بأن كثافة الطبقة المائية السطحية تتراوح بين ١,٢٠ و ١,٢١ غرام للسنتيمتر المكعب (وهذا يوافق تركيزاً يقارب ٢٥٠ غراماً لكل كيلوغرام) ، كما أثبت أن الفرق في تركيز الأملاح يكون كبيراً ما بين السطح وحتى عمق ٣٥ إلى ٤٠ متراً ، ويبلغ هذا الفارق ٢٥ غراماً لكل كيلوغرام ، ثم يعود هذا الفارق إلى التناقص والانتظام حتى بلوغ العمق ٨٠ متراً ، وما دون هذا العمق وجد أن المياه تكون متجانسة تماماً عند الدرجة الحرارية ٢١,٣ مئوية والتركيز ٢٧٦ غراماً لكل كيلوغرام .

واستطاع إيمري أن يثبت عدم وجود **الأوكسيجين** في الطبقة المائية العميقة استناداً إلى ظاهرتين ، فقد لاحظ انبعاث الرائحة القوية لغاز **كبريت الهيدروجين** H2S من عينات المياه المستخرجة من الأعماق ، ويعني هذا وجود **البكتيريات اللاهوائية** ANAEROBIC BACTERIA التي تحصل على الطاقة من إرجاع أملاح الكبريتات ، أما الظاهرة الثانية فتتمثل بوجود **شوارد الحديد** ذات التكافؤ الثنائي BIVALENT .

واظهرت الدراسات أن كتلة المياه المتجانسة التي تقع على عمق يفوق ٨٠ متراً بقيت لفترة طويلة دون أن يطرأ عليها أي تغير بسبب ظاهرة تدرج الكثافة التي عزلتها تماماً عن الاتصال مع الطبقات المائية السطحية ومع الجو ، ولهذا السبب أطلق عليها كتلة الماء الأحفوري .

ومنذ عام ١٩٧٥ م ، بدأ العلماء بإجراء عمليات المسح الهيدروغرافي المتعاقبة فتبيّن أن ملوحة الطبقات السطحية كانت تتزايد بشكل مضطرد ، والفرق بين درجة ملوحة المياه السطحية والعميقة انخفض من ٢٥ غراماً لكل كيلوغرام عام ١٩٥٩ م ، إلى غرامين لكل كيلوغرام عام ١٩٧٥ م ، وطرأ تغيّر مقابل على تركيبة عمود الماء الذي أخذ يميل نحو التجانس عندما اقترب تركيز الأملاح للطبقة السطحية والعميقة من التساوي ، وازداد عمق خط الفصل الكثافي الذي يفصل بين الطبقتين من ٨٠ متراً عام ١٩٦٠ م ، إلى ١٠٠ متر عام ١٩٧٥ م ، ثم إلى ٢٠٠ متر عام ١٩٧٨ م .

وتبددت كتلة الماء الأحفوري تماماً بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ م ، نتيجة اختلاطها التام بطبقة المياه السطحية التي تغطيها . وأكثر من هذا فقد اتضح منذ صيف عام ١٩٧٨ م ، أن الطبقات المائية السطحية أصبحت لأول مرة أكثر ملوحة من المياه العميقة . وبقيت ظاهرة تطبق الكتل المائية قائمة ، لكن ليس بناء على تغيّر درجة الملوحة هذه المرة ، بل اعتماداً على ظاهرة التدرج الحراري .

والسؤال الذي كان مطروحاً أمام العلماء .. ما الوقت الذي اقتضته عملية التطبق المائي قبل حدوث التحول .. ؟ وبمعنى آخر .. ما هو عمر كتلة الماء الأحفوري .. ؟ .

للإجابة عن هذا السؤال لجأ **شانغ CHUNG من معهد سكريبس لعلوم المحيطات بولاية كاليفورنيا** إلى دراسة **التحلل الإشعاعي RADIOACTIVE DECAY** لعنصري **الراديوم ٢٢٦ والكربون ١٤** اللذين يتواجدان بنسب ضئيلة في المياه العميقة ، فاستنتج أن كتلة الماء الأحفوري قد بدأت بالانفصال منذ ٣٠٠ عام تقريباً ، ليكتمل تشكلها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي .

أما السبب الأساسي لحدوث هذا التحول في تركيبة عمود الماء فيرجع لزيادة درجة ملوحة الطبقات المائية السطحية بسبب نقص تغذية البحر الميت بالمياه العذبة بعد إقدام إسرائيل على تحويل المجاري المائية .



وكما هو متوقع فإن التغيرات في درجة الملوحة، التي أتينا على ذكرها، من شأنها أن تترك الأثر الكبير على المحتوى الحيوي للبحر الميت. ففي عام ١٩٧٩م، وبعد عدة سنوات من بدء سطح الماء بالانخفاض وزيادة تركيز الأملاح، بدا البحر وكأنه معقم يكاد يخلو من جميع مظاهر الحياة، ثم أتى شتاء عام ١٩٨٠م، الممطر فازداد عدد المتعضيات الدقيقة بشكل هائل حتى وصل إلى ١٩ مليون خلية في الملليليتر من مياه السطح، وأدى تجمع هذه الأحياء إلى تغيير لون سطح البحر من الأزرق المائل إلى الأخضر، إلى الأزرق المائل إلى الأحمر، وكان هذا التغيّر دليلاً على أن البحر الميت ليس ميتاً تماماً.



86.9 | 12.1 | .63 | .32 — 83.7 | 10.1 | 3.0

١ ــ مياه المحيط
٣٥ جراماً لكل كيلوجرام

72.6 | 17.3 | 9.2 | .86 — 46.6 | 6.7 | 10.0

٢ ــ نهر الأردن
١٥ جراماً لكل كيلوجرام

97.4 | .19 | 2.3 | .11 — 37.0 | 7.1 | 40.3

٣ ــ البحر الميت
(أعماق المياه)
٢٧٦ جراماً لكل كيلوجرام

89.4 | 10.5 | .08 — 82.9 | 7.0 | 3 | 3.9

٤ ــ البحيرة المالحة الكبرى (سالت ليك)
(الذراع الشمالي)
٢٦٦ جراماً لكل كيلوجرام

الأنيونات: بروميد، بيكربونات، سلفات، كلوريد

الكاتيونات: بوتاسيوم، كالسيوم، مغنسيوم، صوديوم

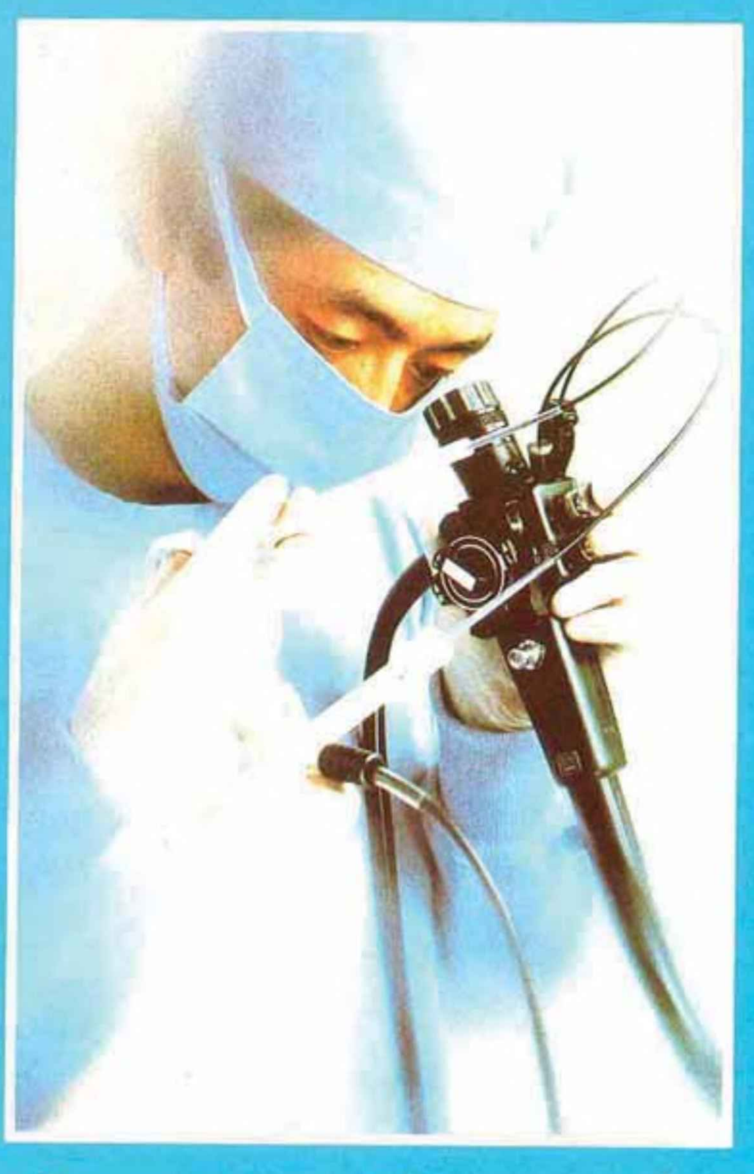
★ التركيب الكيميائي المميز للبحر الميت تظهره مخططات المقارنة. في الأعلى مخطط لتوضيح تركيب مياه المحيطات (الشوارد المعدنية موجبة الشحنة، والشوارد سالبة الشحنة). ثم مخطط تركيب مياه نهر الأردن، ثم البحر الميت. وفي الأسفل تركيب مياه بحيرة سولت ليك في الولايات المتحدة ★

المراجع

١ ــ مجلة (سيانتيفيك أمريكان)، عدد شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣م، مقال بعنوان (البحر الميت)، بقلم: إيهانا شتاينهورن وجويل جت.

٢ ــ مجلة (ناشونال جيوغرافيك)، عدد شهر فبراير (شباط) ١٩٨٤م.

٣ ــ مقال تحت عنوان (الأردن.. مملكة في الوسط)، بقلم: توماس أبيركرومبي.



★ باستخدام مناظير الأليات الضوئية القابلة للثني، يمكن تشخيص من ٨٥ ـ ٩٥٪ من حالات القرحة ★

قرحة المعدة وقرحة الإثني عشر هل من جديد؟

بقلم : د. سامي عزيز

عرف قدماء المصريين أمراض المعدة، وكلمة «معدة» باللغة المصرية القديمة تعني فتحة القلب. وتحتوي البردية إيبرس EBERS PAPYRUS على وصف دقيق لبعض الأمراض التي قد تنشأ من المعدة. واعتبر قدماء المصريين أمراض الصدر، والذبحة الصدرية، وربما مرض البول السكري، والتهابات الزائدة الدودية من ضمن أمراض المعدة. وفي وصف حالة نزيف من المعدة تقول البردية إيبرس مخاطبة الطبيب المصري القديم: «إذا ما فحصت مريضاً يعاني من تعب بالمعدة، ووجدت أن لونه أصبح باهتاً لدرجة الموت، وأنه فقد الوعي، ووجدت أعلى البطن يؤلمه. فقل إنها حالة نزيف، وعليك أن تحضر له بعض العقاقير لطرد هذه الدماء من معدته. وبعد العلاج ستجد الدماء تندفع من فمه أو من فتحة الشرج ولونها بلون دماء.... بعد غليها».

قرحة المعدة وقرحة الاثني عشر .. هل من جديد؟

ماهية المعدة

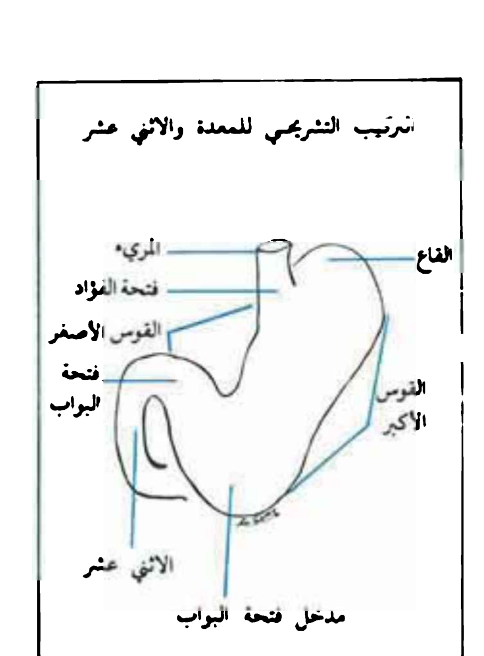
المعدة عضو أجوف ــ أوسع جزء في القناة الهضمية ــ وتقع من الناحية اليسرى من أعلى تجويف البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة الذي يفصلها عن القلب . وهذه العلاقة بين المعدة والقلب تفسّر حدوث اضطرابات دقات القلب إذا كثرت الغازات في المعدة . والغشاء المخاطي المبطن للمعدة يحوي غدداً أنبوبية تفرز العصير المعدي (الذي يتكون من حامض الهيدروكلوريك وبعض أنزيمات الهضم مثل البيبسين) ويلي هذا الغشاء ثلاث طبقات من العضلات غير الإرادية ويكسوها من الخارج غشاء رقيق (البريتون) . وحامض الهيدروكلوريك رغم فائدته العظيمة في هضم المواد البروتينية ، قد ينقلب إلى وحش فيهاجم الغشاء المخاطي ، ويحدث تقرحات في المعدة والاثني عشر .

لذلك فلا بد من منظّم يتحكّم في كمية حامض الهيدروكلوريك التي تفرزها المعدة . هذا المنظّم هو هرمون الجسترين .

هرمون الجسترين

تقوم خلايا خاصة موجودة بالغشاء المخاطي المبطن للمعدة بإفراز هذا الهرمون . وهو لا يصل تجويف المعدة وإنما يصل إلى تيار الدم مباشرة . وهرمون الجسترين ــ كما ذكرنا ــ هو السيد المتحكّم والمنظّم لكمية حامض الهيدروكلوريك المفروزة . فعندما يصل الطعام إلى المعدة وتبدأ الحاجة إلى إفراز الحامض لبدء هضم المواد البروتينية ؛ يبدأ هرمون الجسترين في الزيادة ويصل تيار الدم ويثير خلايا المعدة التي تفرز الحامض .

وعندما تصل درجة الحموضة إلى درجة معيّنة . . يتوقف إفراز الجسترين ، وبالتالي تتوقف خلايا الحامض عن الإفراز . وقد أشارت الأبحاث الحديثة إلى علاقة هرمون الجسترين وفتحة الفؤاد . فزيادة الجسترين تؤدي إلى إغلاق هذه الفتحة ، وأهمية ذلك حصر الحامض المفروز من زيادة الجسترين في تجويف المعدة التي تصبح شبه مغلقة ، وبالتالي تزداد كفاءة المعدة على الهضم . أما قلّة إفراز الجسترين فإنها تؤدي إلى عدم إغلاق فتحة الفؤاد بصورة محكمة ، وبالتالي يتسلل حامض المعدة إلى المريء وينشأ عن ذلك الشعور بالحموضة أعلى فم المعدة نتيجة ارتجاع الحامض إلى المريء . **وقد**



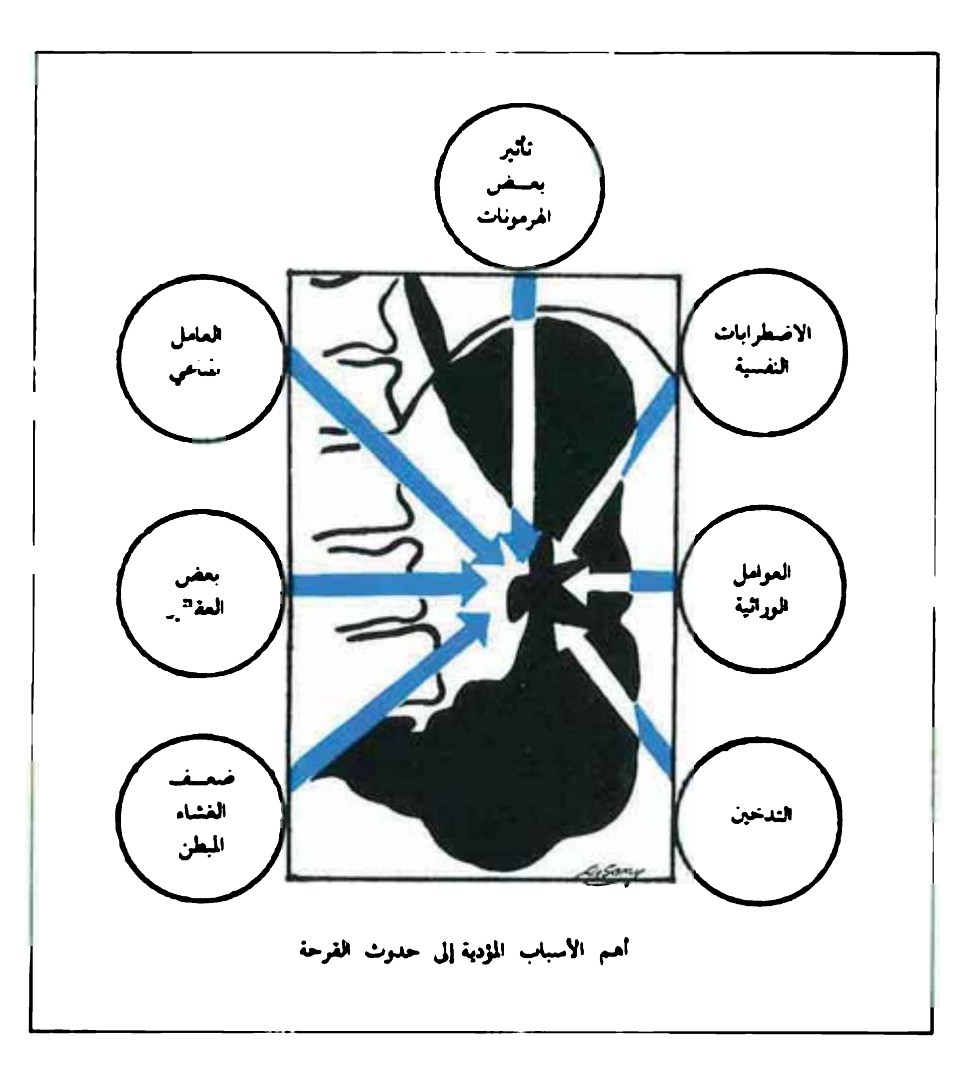
وجد أن المواد البروتينية تزيد من زيادة إفراز الجسترين . أما المواد الدهنية فتؤدي إلى قلة إفراز الجسترين . والسبب يمكن استنتاجه ، إذ إن المواد البروتينية تحتاج إلى حامض الهيدروكلوريك حتى يتم هضمها وبالتالي تحتاج إلى زيادة هرمون الجسترين . أما المواد الدهنية فعلى النقيض . ولعل ذلك يفسّر لنا الشعور بالحموضة أثناء الليل بعد وجبة عشاء دهنية معينة . . فقلّة إفراز الجسترين المصاحب للمواد الدهنية يؤدي إلى عدم إحكام فتحة الفؤاد وبالتالي تسرب حامض الهيدروكلوريك إلى المريء والشعور بالحموضة . لذلك يلزم تجنّب تناول المواد الدهنية في وجبة العشاء . كما **أثبتت الدراسات العلاقة بين هرمون الجسترين ومرض زولينجر أليسون ZOLLINGER – ELLISON** SYNDROME وهو مرض نادر الحدوث ويرجع إلى وجود أورام في البنكرياس تتسبّب في زيادة إفراز هرمون الجسترين (أو مواد ذات تركيب كيميائي مشابه للجسترين) وبالتالي زيادة غير عادية في حامض الهيدروكلوريك ، فتحدث تقرحات متعددة في المعدة والاثني عشر وتزداد الحموضة زيادة رهيبة .

العوامل المساعدة على حدوث القرحة

●● أولاً ــ عوامل بيئية : يعتبر التدخين من أهم العوامل البيئية التي تمت دراستها وثبتت أهميته وعلاقته بقرحة المعدة والاثني عشر . فالمدخنون أكثر عرضة القرحة . كما أن المضاعفات تكثر في المدخنين عن غير المدخنين . **والعلاقة بين التدخين والقرحة غير مفهومة إلى الآن . فالتدخين لا يصاحبه زيادة أو نقصان في حموضة المعدة . ولكنه يثبط من إفراز العصارات البنكرياسية القلوية وربما كان ذلك في حد ذاته تفسيراً لحدوث القروح في المدخنين** . ورغم النظريات القديمة التي تفترض أن لنوع الطعام علاقة في حدوث القرحة إلا أنه للآن لم نتوصل إلى دليل قاطع على صحة هذا الافتراض . **وتنتشر قرحة الاثني عشر في مختلف المجتمعات والطبقات وعلى العكس نجد قرحة المعدة تكثر في المجتمعات الفقيرة ذات الدخل المحدود** .

●● ثانياً ــ العوامل الوراثية : في دراسة أجريت حديثاً في الولايات المتحدة الأمريكية وجد أن نسبة الإصابة بالقرحة تزيد ثلاثة أمثال في أقارب المرضى عن غير أقاربهم . كما وجد أن عائلات معيّنة تزداد نسبة القرحة فيها عن غيرها . والأبحاث الجديدة تشير إلى أن العوامل الوراثية هي المسؤولة عن ذلك وليس مشاركتهم لنفس البيئة . ولقد وجد أن قرحة الاثني عشر أكثر حدوثاً في الأشخاص الذين تنتمي فصيلة دمهم إلى المجموعة (٥) وإلى الآن لم نتوصل إلى تفسير هذه العلاقة .

●● ثالثاً ــ الاضطرابات النفسية : وما يصاحبها من زيادة نشاط العصب الحائر وبالتالي زيادة إفراز حامض الهيدروكلوريك . هذا بالإضافة إلى أن المشاكل النفسية يصاحبها زيادة في إفراز الكورتيزون . والمعروف أن هرمون الكورتيزون له تأثير ضار على الغشاء المخاطي المبطن ويساعد على حدوث قرحة .



أهم الأسباب المؤدية إلى حدوث القرحة

●● **رابعاً ـ تأثير بعض الهرمونات**

مثل هرمون الجسترين الذي يُزيد من إفراز حامض الهيدروكلوريك بالإضافة إلى زيادة إفراز عصارة البنكرياس والعصارة الصفراوية وأنزيم البيبسين بالإضافة إلى زيادة حركة للمعدة والأمعاء. ويتم تكسير هرمون الجسترين في الكبد. لذلك فمن الممكن حدوث قرحة من زيادة إفراز الجسترين والدليل على ذلك:

(أ) نسبة حدوث القرحة تزيد في حالات تليف الكبد، نظراً لعدم مقدرة الكبد المتليف على تكسير هرمون الجسترين.

(ب) زيادة هرمون الجسترين في مرض زولينجر أليسون تؤدي إلى حدوث تقرحات متعددة في للمعدة والاثني عشر وتزداد الحموضة زيادة رهيبة.

●● **خامساً ـ العامل المناعي:** قرحة الاثني عشر ربما تحدث نتيجة تفاعل الأجسام المضادة مع الأجسام الغريبة. إذ ينتج عن هذا التفاعل زيادة إفراز **مادة الهستامين HIS-TAMINE** التي تؤدي إلى زيادة إفراز حامض الهيدروكلوريك ويؤكد ذلك:

(أ) أعراض قرحة المعدة تظهر وتختفي بصورة دورية.

(ب) كثيراً ما يصاحب قرحة الاثني عشر وجود **أرتكاريا أو أكزيما ECZEMA** الجلد (وهي من أمراض الحساسية).

(جـ) **الدوسنتاريا الأميبية** كثيراً ما تصاحب قرحة الاثني عشر. وقد فسّرت هذه الظاهرة على أن **الأميبا (طفيل الدوسنتاريا)** تعمل كجسم غريب مما يؤدي إلى تكوين أجسام مضادة. ونتيجة تفاعل الأجسام المضادة مع الأجسام الغريبة يزيد إفراز الهستامين في الجسم وبالتالي حامض الهيدروكلوريك الذي يساعد على حدوث القرحة.

(د) **الحروق الشديدة** التي يصاحبها زيادة الهستامين قد يصاحبها قرحة في الاثني عشر وتعرف باسم CURLING'S ULCER.

●● **سادساً ـ بعض العقاقير** تساعد على حدوث القرحة مثل أقراص **الأسبرين** ومضادات الروماتيزم ومركبات **الكورتيزون** ومشتقاته والسرابازيل.. وغيرها.

●● **سابعاً ـ ضعف الغشاء المبطن** كما يحدث عند نقص كمية الدم التي تصله نتيجة تصلب الشرايين أو قصور الشرايين التاجية للقلب أو التهاب الأوعية الدموية المصاحب لمرض الروماتيد المفصلي.

●● **ثامناً ـ سوء التغذية** والنقص الشديد في تناول البروتينات قد يؤدي إلى حدوث قرحة كما هو الحال في الهند (**قرحة مدراس**).

القرحة... كيف تبدو؟

يكثر المرض في الشباب وربما يحدث في كبار السن. فقرحة الاثني عشر غالباً ما تحدث في سن ٢٠ ـ ٤٠ سنة؛ أما قرحة المعدة فأكثر حدوثاً في سن ٣٠ ـ ٥٠ سنة. كما أن **نسبة حدوث القرحة في الذكور أعلى من الإناث**. قرحة الاثني عشر تحدث بنسبة (١٩ : ١) أما قرحة المعدة فتحدث بنسبة (٢ : ١). **وقد ثبت أن قرحة الاثني عشر أكثر انتشاراً عن قرحة المعدة**، والنسبة بينهما ٤ : ١ ولكن ربما تحدث الإصابة بهما معاً في نفس الوقت. **أما القرحة فلها الصفات الآتية:**

١ ـ مكان القرحة: تحدث قرحة المعدة دائماً في القوس الأصغر أو في مدخل فتحة البواب ولكن البواب نفسه والقوس الأكبر وقاع المعدة وفتحة الفؤاد نادراً ما تصاب بقروح. أما قرحة الاثني عشر فتحدث دائماً في البوصة الأولى للاثني عشر، وربما نجد قرحتين معاً في نفس الوقت، الأولى على السطح الأمامي والأخرى على السطح الخلفي للاثني عشر.

٢ ـ شكل القرحة: غالباً ما تكون مستديرة أو بيضاوية ولكن القرحة التي تحدث في منطقة القوس الأصغر تكون بشكل سرج الحصان.





٣ ــ وحافة القرحة منتظمة ومحددة : وتمتد بالتدريج حتى قاع القرحة ، ويحيط بالقرحة الغشاء المخاطي للمعدة الذي قد ينثني عدة ثنيات ليغطي القرحة كنوع من الحماية لها . والغشاء البريتوني المقابل للقرحة غالباً ما يكون أكثر سمكاً .

٤ ــ دراسة القرحة تحت الميكروسكوب (هستولوجيا القرحة) تفيدنا في التفرقة بين القرحة الحميدة وقرحة سرطان المعدة كما سنذكر فيما بعد .

أعراض مرض القرحة

أهم ما يميز قرحة المعدة والاثني عشر : حدوث الألم والقيء بعد الوجبات ، وغالباً ما يحدث الألم بصورة دورية (يظهر بعض الوقت ، ويختفي لفترة ثم يعاود الظهور) :

★★ الألم : يشعر المريض بالألم في فم المعدة ، ما بين السرة ونهاية عظمة القص وبالتحديد في منتصف الخط الواصل بينهما (في حالة قرحة المعدة) . وعلى الناحية اليمنى لهذا الخط (في حالة قرحة الاثني عشر) . ويكون الألم على هيئة حرقان أو تقلص شديد أو الشعور بعدم الراحة بعد تناول الطعام . **ويتوقف ميعاد ظهور الألم على نوع القرحة** ، ففي قرحة المعدة يظهر الألم بعد الأكل مباشرة ويختفي من تلقاء نفسه قبل ميعاد الوجبة التالية . أما في قرحة الاثني عشر ، فالألم يظهر بعد ساعتين إلى ساعتين ونصف من تناول الطعام ، وغالباً ما يستمر الألم حتى ميعاد الوجبة التالية . وبتناول الطعام يختفي الألم . لذا نطلق عليه « ألم الجوع » . وألم قرحة الاثني عشر غالباً ما يحدث في الليل ، وقد يدفع المريض إلى الاستيقاظ في ساعات الصباح الأولى . لذا يلجأ المريض إلى تناول **مادة بيكربونات الصوديوم** مثلاً لإيقاف الألم . كذلك تناول الطعام يوقف ألم قرحة الاثني عشر ، لذلك فمريض قرحة الاثني عشر دائماً ما نراه يحتفظ في جيوبه بكمية من البسكويت يتناولها عند شعوره بالألم .

★★ القيء : من الأعراض الهامة في قرحة المعدة ، فالمريض يشعر بالراحة بعد القيء ويذهب عنه الألم . أما مريض قرحة الاثني عشر فقد يشعر بالحموضة أعلى البطن وصعودها حتى تصل إلى الفم وفي بعض الحالات الأخرى يحس وكأن سائلاً يخرج من أعلى البطن إلى فمه . وشهية مريض قرحة الاثني عشر تستمر كما هي ولا تتأثر بالمرض . أما مريض قرحة المعدة ؛ فالمريض يخشى

★ منظر مكبر آلاف المرات لشكل القرحة . والحبيبات البيضاء المنتشرة أعلى القرحة تشير إلى طريقة تأثير بعض العقاقير المستخدمة حديثاً في العلاج ★

الأكل ولذلك قد يفقد وزنه ؛ على عكس مريض قرحة الاثني عشر الذي غالباً ما يزيد وزنه .

★★ **النزيف :** على صورة قيء دموي لونه بني كالقهوة نظراً لاتحاد هيموجلوبين الدم مع حامض الهيدروكلوريك في المعدة . وقد يصاحب ذلك تغيير البراز الذي يصبح كالقار (لونه أسود ولين) . ونتيجة لذلك الفقد المستمر للدم غالباً ما يشعر المريض بالدوار والضعف والهزال وعدم القدرة على العمل .

★★ **تكرار حدوث الأعراض بصورة موسمية :** كثيراً ما تظهر الأعراض في فصلي الربيع والخريف . كما أن القلق وتقلبات الطقس والمجهود في العمل من العوامل التي تساعد على عودة الأعراض .

الفحوص والاختبارات

لا يمكن تشخيص المرض بدون عمل بعض الفحوص والاختبارات :

(١) الأشعة باستخدام الباريوم : نستطيع باستخدام الأشعة الملونة تشخيص ٨٠ ـ ٨٥٪ من حالات القرحة . وهناك بعض العلامات المميزة التي تساعدنا على تشخيص القرحة . فقرحة المعدة التي تحتل القوس الأصغر قد تبدو على هيئة بروز بسيط يشبه فوهة البركان ، وغالباً ما يقابل هذا البروز على القوس الأكبر للمعدة نتوء للداخل تختفي فيه الصبغة نتيجة انقباض العضلات الدائرية المقابلة لمكان القرحة . أما قرحة الاثني عشر فتظهر على هيئة قلنسوة أو قبعة نظراً للانقباض الحادث في مكان القرحة ؛ وللتأكد من التشخيص تؤخذ صور متتابعة وعلى فترات . . واستمرار ظهور هذه القلنسوة يؤكد صحة التشخيص . والصور المتتابعة تساعدنا على معرفة سرعة المعدة لتفريغ محتوياتها ؛ ففي قرحة المعدة تكون سرعة التفريغ أسرع من المعدل الطبيعي .

(٢) تحليل العصير المعدي : هذه التحاليل عديمة القيمة في التشخيص ، ولكن تكمن قيمتها الحقيقية في اختيار أفضل وسائل العلاج . والفكرة الأساسية لهذه الاختبارات تعتمد على الاستجابة الهرمونية للطعام . فبعض الاختبارات تستخدم فيها مادة الهستامين ، والبعض الآخر عقار الأنسولين ، والبعض الآخر يعتمد على قياس وتحليل العصير المعدي المفروز أثناء الليل .

(٣) استخدام مناظير الألياف الضوئية : نستطيع باستخدام منظار الألياف الضوئية القابل للثني FLEXIBLE GLASSFIBRE ENDOSCOPE تشخيص من ٨٥ ـ ٩٥٪ من حالات القرحة . وباستخدام هذه المناظير أمكننا التشخيص المبكر للمرض خصوصاً إذا ما كان قرحة سرطانية . ولمكن تشخيص القروح التي تحتل أماكن يصعب تشخيصها بالأشعة الملونة . كما أمكن باستخدام المنظار وعن طريق جفت طويل ، الحصول على عينات من القرحة يمكن فحصها بواسطة الميكروسكوب لتحديد نوع المرض . إذ إن التشخيص الدقيق للأورام لا يعتمد فقط على الشكل الخارجي بالرؤية ، بل يعتمد أساساً على الفحص الميكروسكوبي الباثولوجي للأنسجة المصابة . ولم يقف استعمال المنظار على التشخيص فقط ، بل أصبح الآن استعماله كوسيلة للعلاج ؛ ففي حالات النزيف من القرح ـ أمكن حديثاً ـ بواسطة المنظار وباستعمال الكي الكهربي أو باستعمال **أشعة الليزر** إيقاف النزيف .

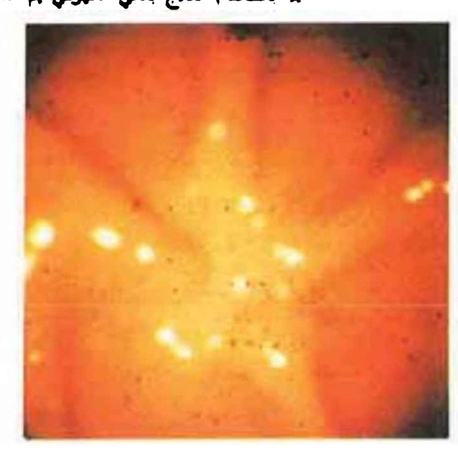
كما أن المنظار يمكن استخدامه للتأكد من استجابة القرحة للعلاج ؛ فشكل القرحة وما يطرأ عليها من تغيّرات قبل البدء في العلاج وأثناءه هي المعيار للحكم على مدى هذه الاستجابة .

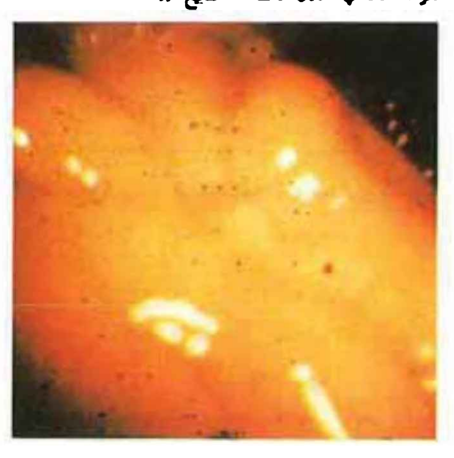
وتتكوّن مناظير الألياف الضوئية بصفة عامة من ألياف زجاجية تستطيع نقل الصورة والضوء بواسطة الانكسارات الداخلية ، ويمتاز هذا النوع من المناظير عن المناظير القديمة المعدنية بسمكه الصغير حيث يتراوح قطره بين ٩ ـ ١٣ ملليمتراً ، كما أنه يمكن التحكم في توجيه الطرف الأمامي داخل المعدة والاثني عشر ، والمريض هنا لا يحتاج إلى تخدير عام بل يكتفي عادة بإعطائه حقنة مهدئة . لذلك يمكنه مغادرة المستشفى بعد ساعة أو ساعتين على الأكثر .



★ (أ) قرحة بالمعدة مع حدوث نزيف منها . (ب) قرحة بعد إيقاف النزيف باستخدام الكي الكهربي ★

★ باستخدام العلاج بالكي الكهربي يتم التئام القرحة تماماً في خلال ٤ ـ ٥ أسابيع ★





علاج قرحة المعدة والاثني عشر

أولا : خطوط عامة .. لا بد منها

(١) الطعام : يجب الابتعاد عن الأطعمة التي تسبّب زيادة في حامض المعدة وهي الحمضيات والتوابل والشاي والقهوة والأطعمة الدسمة أو المشبعة بالحلوى والمشروبات الروحية والغازية . ورغم أن الوجبات الخالية من **التوابل وغير الحريفة** وصفت لمرضى القرحة خلال السبعين سنة الماضية ، إلا أنه ثبت حديثاً عدم أهمية هذا الحرمان ، وأنه لا فرق بين تناولها أو الإقلاع عنها . كما أن تناول **اللبن** بكميات كبيرة ولمدة طويلة مصحوباً بالأدوية المضادة للحموضة قد يؤدي إلى مضاعفات كاضطراب وظائف الكليتين نتيجة تكوين حصوات بالإضافة إلى قصور الشرايين التاجية وتصلب الشرايين . لذلك فالأبحاث الحديثة تشير إلى ضرورة الإقلال من تناول اللبن الذي اعتاد الأطباء وصفه في الماضي لمرضى القرحة . أما **العرقوس** فهو أفضل السوائل التي تشير إليها الأبحاث الجديدة لمرضى القرحة . وتجدر الإشارة إلى أن **العرب هم أول من استخدموا العرقوس في علاج أمراض المعدة** .

(٢) الامتناع عن التدخين : تزيد نسبة حدوث قرحة المعدة والاثني عشر في المدخنين عن غير المدخنين . ولقد ثبت حديثاً أن التوقف عن التدخين يزيد من سرعة التئام القرحة ويحد من عودة الأعراض ؛ لذلك **يجب تشجيع كل مريض بالقرحة على الامتناع عن التدخين : ولكن قد ينشأ عامل آخر نتيجة الامتناع عن التدخين وهو الانفعال النفسي . وفي هذه الحالة فقط يمكن للمريض أن يدخن مع وجوب الإقلال من السجائر** .. وملاحظة عدم التدخين والمعدة خالية من الطعام . وبعد الشفاء يستحسن أن يستمر الامتناع عن التدخين أو الإقلال منه .

(٣) العلاج بالمستشفى : في بعض الدراسات التي أجريت حديثاً وجد أن مريض قرحة المعدة عندما يتم علاجه بالمستشفى فإن الاستجابة للعلاج تكون أسرع من تناول نفس العلاج في المنزل . لذلك يفضل في الحالات المشتبه فيها وجود قرحة المعدة ؛ أن يتم علاجهم بالمستشفى لعدة أسابيع ريثما يتم عمل الفحوص اللازمة لهم كالكشف بالأشعة الملونة ، والكشف بالمنظار ، وأخذ عيّنات وفحصها بالميكروسكوب والبدء في العلاج الطبي على أن يكملوا تناول العلاج في منازلهم . ربما البقاء في المستشفى ، والبعد عن المجهود والتفكير ، وما يصاحب ذلك من ارتياح نفسي له علاقة في الاستجابة للعلاج أثناء البقاء في المستشفى أكثر من تناوله في المنزل .

قرحة المعدة وقرحة الاثني عشر .. هل من جديد؟

ثانياً : العلاج بالعقاقير

(١) مضادات الحموضة : في الولايات المتحدة وحدها تقدر قيمة مضادات الحموضة المستخدمة سنوياً بحوالي ١١٠ ملايين دولار . وفي دراسة أجريت حديثاً في الولايات المتحدة وجد أن استخدام مضادات الحموضة وحدها يحدث التئاماً في ٨٠٪ من المرضى . والأساس الذي يعتمد عليه العلاج بمضادات الحموضة :

- نادراً ما تحدث قروح في غياب حامض المعدة .
- يقل التأثير الضار لأنزيم البيبسين الموجود في العصير المعدي عندما تقل نسبة حوضة المعدة .
- وجد في الحيوانات المعملية أن مع استخدام مضادات الحموضة تقل نسبة حدوث القروح .
- العمليات الجراحية التي من شأنها الإقلال من إفراز حامض الهيدروكلوريك يعقبها التئام القرحة .

وأمثلة مضادات الحموضة : بيكربونات الصوديوم ، وكربونات الكالسيوم ، وهيدروكسيد الماغنسيوم ، وهيدروكسيد الألمونيوم .

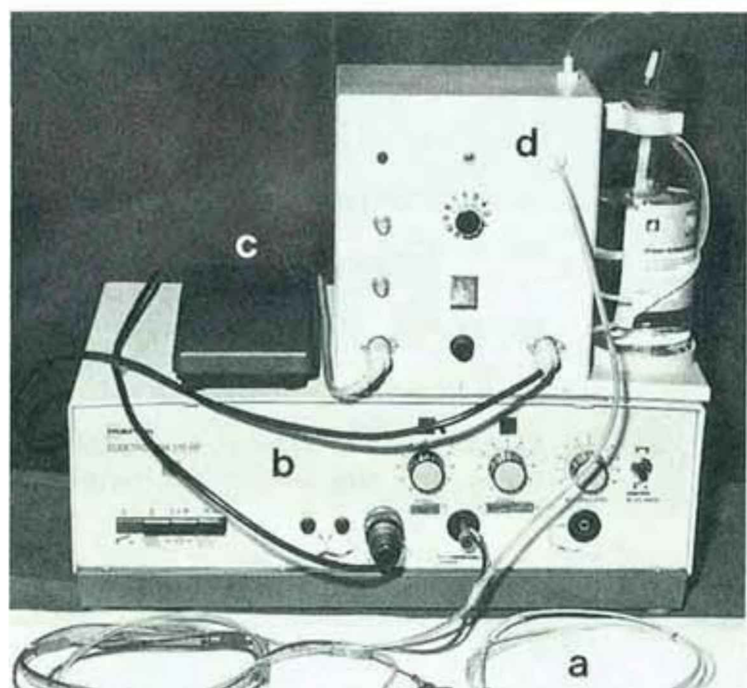
(٢) مضادات مستقبلات الهستامين : في سنة ١٩٧٢ م ، وصف **جيمس بلاك** هذه المجموعة الجديدة من الأدوية . وهذه المركبات تختلف عن مضادات الهستامين العادية المستخدمة في علاج الحساسية التي يقال لها **(مضادات هـ ١)** ، أما هذه المضادات الجديدة فيرمز لها **(مضادات هـ ٢)** ، وقد ثبتت فعاليتها في تثبيط إفراز الحامض المعدي . و « **السيمتدين** » هو العقار المعروف في هذه المجموعة وثبتت فعاليته ولو أن بعض الآثار الجانبية حدثت منه مثل : كبر الثديين عند الرجال واضطراب الناحية الجنسية . هذا بالإضافة إلى الصداع والدوخة والدوار والإسهال التي قد تنجم عند استعماله . وقد تم حديثاً في إنجلترا التوصل إلى عقار آخر وهو « **الرانتدين** » ويقال إنه ذو فعالية أعلى من السيمتدين ، وإن الأعراض الجانبية أقل في العقار الجديد . ولكن لا يمكن الحكم عليه إلا بعد استخدامه ووضعه تحت الاختبارات لفترة من الزمن .

(٣) مضادات الكولين : حتى يقوم العصب الحائر بوظيفته لا بد من توافر مادة « الأستيل كولين » عند نهايته العصبية . لذلك تم عمل مضادات الكولين على هيئة أقراص لإيقاف وظيفة العصب الحائر . وعيب هذه الأدوية أن تأثيرها يتعدى العصب الحائر للمعدة . لذلك فهي ممنوعة في مرضى المياه الزرقاء أو « **الجلوكوما** » ، وهي أيضاً ممنوعة في مرضى تضخم البروستاتا ، كما أن لها تأثيراً مهبطاً لإفرازات الجسم مثل الدموع واللعاب ، ولذلك فهي تسبّب جفافاً مضايقاً للفم والأنف والعين .

(٤) مركبات البزموت : تم تحضير مركبات شبه غروية يدخل في تركيبها عنصر البزموت . وقد أثبتت الأبحاث الحديثة في إنجلترا قدرة هذه المركبات على التئام قروح الاثني عشر ولكنها عديمة الفائدة في قروح المعدة .

(٥) مركبات مستخلصة من العرقوس : من قديم الزمان استخدم العرقوس في علاج القرحة . وقد تم حديثاً استخراج عقاقير من العرقوس ثبتت فعاليتها في علاج قرحة المعدة والاثني عشر . إلا أن بعض الآثار الجانبية قد تحدث من استخدامها مثل أوديما القدمين ، وارتفاع ضغط الدم ، نظراً لأن هذه المركبات تشابه في تركيبها الكيميائي للألدوستيرون وينشأ عن ذلك احتجاز الماء وعنصر الصوديوم بالجسم ، وبالتالي ظهور الأعراض الجانبية .

★ استخدام القطب بمساعدة مناظير الألياف الضوئية لكي القرحة ★



★ الجهاز المستخدم في الكي الكهربي ★

(٦) المهدئات: أثبتت البحوث الحديثة عدم فعالية المهدئات في علاج مرض القرحة. ولذلك فهي عديمة الفائدة ولا داعي للإكثار من تناولها إلا أنه في بعض المرضى الذين تظهر عليهم علامات القلق الشديد فيستحسن تناولها. ولقد ثبت حديثاً أن مضادات الاكتئاب الثلاثية الحلقات لها تأثير نافع على التئام قرحة الاثني عشر.

ثالثاً: التدخل الجراحي

يعتمد علاج قرحة الاثني عشر أساساً على العقاقير. لكن التدخل الجراحي قد يكون ضرورة ملحة عند حدوث مضاعفات مثل النزيف وانسداد المعدة الذي قد يحدث نتيجة القرحة. كذلك عندما تفشل العقاقير في تخليص المريض من الأعراض. أما بالنسبة لقرحة المعدة فالتدخل الجراحي غالباً ما نحتاج إليه. ولقد أمكن حديثاً استئصال الأعصاب الموصلة لجزء المعدة الذي يفرز حامض الهيدروكلوريك دون تدخل في باقي وظائفها ولا في وظيفة عضلات البواب. ومن فوائد هذه الجراحة، عدم حدوث أية مضاعفات أو مضار.

كما أنها تتم دون عمل أية فتحات في أي جزء من المعدة أو الجهاز الهضمي وهي بذلك عكس ما اعتاد عليه الأطباء في الماضي من استئصال جزء كبير من المعدة وتوصيل باقي المعدة بالأمعاء، وما يصاحب ذلك من عدم استطاعة المريض تناول الكميات التي يحتاج إليها من الغذاء وسرعة مرور الطعام إلى الأمعاء وما يصاحبه من انخفاض في ضغط الدم والشعور بالإغماء.

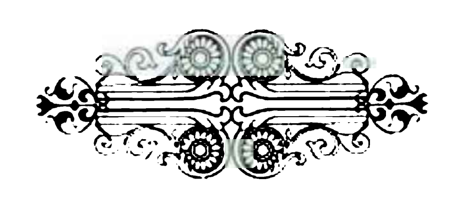
الجديد من طرق العلاج

لا شك أن مضادات مستقبلات الهستامين (هـ ٢) التي تحدثنا عنها بشيء من التفصيل وعلى رأسها «السيمتدين» و«الرانتدين» تعتبر من الإنجازات الهائلة التي حدثت في العشر سنين الماضية. ولقد أمكن تصنيع مركبات منها تعطى بطريق الحقن في الحالات الطارئة مثل نزيف القرحة. وثبتت فاعلية هذه المركبات في وقف النزيف، وهذا في حد ذاته يعتبر تقدماً هائلاً لم نكن نحلم به إلى عهد قريب. كما **استخدمت أشعة الليزر لوقف النزيف من قرحة المعدة، وتمتاز هذه الطريقة الجديدة في عدم تعريض المريض لأية آثار جانبية**. بل إن العلاج بالليزر أقل تكلفة من العلاج بالجراحة.

كما أمكن حديثاً في حالات النزيف من القرحة وبواسطة مناظير الألياف الضوئية القابلة للثني استخدام **الكي الكهربي** لإيقاف النزيف،

وقد أثبتت الأبحاث أنه باستخدام هذه الطريقة يتم التئام القرحة خلال ٤ ـ ٥ أسابيع. هذا بالإضافة إلى النجاح الجراحي في **علاج قرحة المعدة باستئصال الأعصاب الموصلة لجزء المعدة الذي يفرز حامض الهيدروكلوريك دون اضطراب وظائف المعدة الأخرى، أو اضطراب عضلات البواب**. وبذلك تجنبنا

العديد من المضاعفات التي تحدث من العمليات القديمة التي استخدمت في الماضي لعلاج القرحة التي يستأصل فيها جزء من المعدة ويوصل باقي المعدة بالأمعاء. ولا شك فإن العلم كل يوم يقدم الجديد من أجل المريض، وما كنا نحلم به من وسائل العلاج أصبح الآن حقيقة يمكن استخدامها... ولن يقف المرض!! ولن تقف حربنا ضده.





★ الجاحظ ★



★ امرؤ القيس ★

في التشكيل باللفظ والموسيقى

بقلم : د. يوسف نوفل

لسنا في حاجة إلى تكرار قول السابقين في عدم الفصل بين عنصر الذات والموضوع في التجربة الإبداعية ، إذ يصعب على المرء أن يتخيل عملاً أدبياً مكوّناً من جزئيات متباينة من الموسيقى ، واللغة ، والصورة ، والفكر ، والمعنى ، والعاطفة ، والرمز ، إذ تتشكل هذه التشكيلات الصغيرة في تشكيل كلي ذي سيطرة موحدة في حالة الإبداع تكتنف المبدع ، وذي تأثير كلي في حالة القراءة يغمُر المستقبل .

وإذا كان لنا أن نقول إن عماد التشكيلات الأدبية : موسيقى ولفظ ، جاز لنا أن نقول إن التشكيليْن : اللفظي والنغمي هما عماد أي تشكيل فني ، وفي الوقت نفسه نرى أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر منعزلا ، إذ نرى التشكيل اللفظي موسيقي في أساسه ، ونرى التشكيل الموسيقي لفظي في جوهره ، وإذا توصلنا ــ من ذلك ــ إلى تلاحم هذين التشكيلين ــ وهما عماد الأدب ــ جاز لنا أن نقول بتعانق التشكيلات الفنية والتحامها ، فإذا تناولنا التصوير وجدناه مديناً ــ في وجوده ــ لتشكيلي اللفظ والموسيقى ، وإذا تناولنا الرمز وجدناه ــ أيضاً ــ مديناً لهذين في تكوينه ، ومن هنا ننظر إلى الرؤية الفنية الداخلية من خلال تشكيلين هما : اللفظ والموسيقى .

من هذين التشكيلين نُبْصرُ **التجربة الإبداعية** في جانبها المادي والنفسي ، الانفعالي والفكري ، الخارجي والداخلي ، الواعي وغير الواعي ، كما نُبْصرُ المضمون أو المحتوى بأفكاره ، ومعانيه ، وتعبيره عن الحياة والأفكار ، أو إن شئت قلت نشعر بالطاقة المبثوثة في العمل ، ثم المنبثقة عنه حالة التلقي ، في تشكيل فني .

في هذين التشكيلين : اللفظي ، والنغمي ، نرى إعجاز **القرآن الكريم** ، وبلاغة **الحديث النبوي** ، وفصاحة **قس بن ساعدة الإيادي** ، وقدرة **امرئ القيس والجاحظ وأرسطو وهوراس وكروتشه** ، ونرى ونسمع وقع كلمات الآداب العالمية من قديم وحديث ، صنعة وتصنيعاً ، وتصنعاً حينا يقوم الأديب بالملاحظة ، ثم التحليل ، ثم التمييز والانتخاب .

في هذين التشكيلين نرى معظم محتوى عمود الشعر في أدبنا القديم ، كما نظر له **المرزوقي** في مقدمة شرحه **ديوان الحماسة لأبي تمام**[1] ، وكما أحس « بالتشكيل الكلي » لمكوّنات العمل الفني بما هو فوق « الالتحام » ، و « الالتئام » ، و « لذيذ الوزن » ، و « اللفظ » ، و « المشاكلة » ، و « اقتضاء القافية » .

في هذين التشكيلين نرى محور قضية اللفظ والمعنى في نقدنا القديم ، وفيهما تلتقي تأثرية جيل **لوميتر** في (انطباعاته المسرحية) ، **وإميل فاجيه** في سلسلة ما كتبه بعنوان (على هامش . . .) ، وبنيوية **ليفي شتراوس** ، ونظرة من يؤمنون بالدراسة الداخلية للأدب ، وأسلوبية الأسلوبيين ، ومثالية المثاليين ، وتعبيرية التعبيريين ، وجمالية الجماليين ، وتصويرية التصويريين ، وأسطورية الميثولوجيين .

وكثيراً ما يضم المضمون عناصر شكلية ، مهما حاول بعضهم استحداث مصطلح « الشكل الداخلي » ، أو اقتراح تسمية « مواد » ،



★ أرسطو ★



★ أبو تمام ★

و « بنية » للشكل والمضمون ، أو تقرير أن « العمل الفني قد اعتبر إذن نظاماً كلياً من الإشارات أو بنية من الإشارات تخدم غرضاً جمالياً نوعياً »[2] .

وقد لا نجاري القائلين ببحث مجالات التداخل بين القيم الاسطاطيقية وغيرها من القيم الأخرى ، أو عدم تداخلها ، فإذا قلنا بتداخل تشكيلات الفن ، قلنا بتداخل هذه التشكيلات مجتمعة مع غيرها من قيم تتصل بالتجربة الفنية ، المهم ألا يطغى مثلاً اهتمامنا بسيرة الكاتب على اهتمامنا بتشكيله اللفظي ، أو تشغلنا أهداف أدبه عن تشكيلاته الموسيقية ، ولعله من هنا لا نرى ضرورة لتلك المناقشة المطولة التي أدارها **محمد النويهي**[3] ، حول آراء **مصطفى ناصف**[4] ، حول القيم الاسطاطيقية وغيرها من العناصر الفنية ، ومن قبل نوقشت آراء **كروتشه** CROCE حول الحدس واستقلال الفن ، وسلطان الشكل ، ولنا أن نقول مع القائلين إن التشكيلات الفنية مما ينتمي للشكل ليست منفصلة عن المضمون ، فالتشكيلان : اللفظي والموسيقي لهما مضمون ، وليس معنى قولنا : « الشكل » أنه إطار خارجي بل هو نظام داخلي يمتزج بغيره في وحدة فنية مكتملة ، بها يتحقق **الجمال الخالص** Free Beauty في عمل فني ، يتميز عن **الجمال غير الخالص** Non Free Beauty الذي يجمع بين الجمالية والنفعية كصنع المعماري مثلاً ، ومن هنا وجدنا أحد التشكيلين المذكورين يطغى على الآخر ، كما نرى سيادة التشكيل الموسيقي في الشعر عنه في المسرح والرواية ، بينما يظهر التشكيل اللفظي في هذين الفنين عنه في الشعر .

وإذا نظرنا إلى الشعر في تجربة « الإلقاء » ، أو « الإنشاد » تجلّى طابع لفظي وصوتي ، تتعاون فيه المهارة الإلقائية ، والتنغيمية ، والتعبيرية ، وقد يكون ذلك على حساب قيم فنية أخرى ، وإذا كان النحويون رأوا الإعراب فرعاً للمعنى ، فإن أنصار تعانق التشكيلات الفنية يرون أن قراءة النص لصيقة بفهمه وتذوقه والإحساس به ، فكلنا نمتلك القدرة على القراءة ، أما القراءة الأدبية فتختلف من شخص لآخر ، وهناك من يرى أن قراءة العمل الأدبي ليست إلا أداءً للنص فحسب ، في الوقت الذي يرى فيه الآخرون أن القراءة إعادة تأليف للعمل الأدبي وزيادة بما في ذلك من إضافة للقصيدة الأصلية[5] من تلفظ ، وصوت ، وتوقيت الوقف ، وتوزيع النبر ، وثقافة القارئ ، وفهمه ، وذوقه ، ومعتقده ، ولهذا رأينا الشعر (ديوان العرب) يرتبط بالإلقاء والإنشاد[6] .

والحق أن قضية قراءة الشعر تختلف في اللغة العربية عنها في أية لغة أخرى لما يفرق بين اللغات من سمات ، يضاف إلى ذلك أن القراءة الصحيحة هي لصيقة فهم النص واستيعابه ، والإحساس به ، على نحو يجعل القارئ المتمعّن في صورة من التجربة الإبداعية تقترب من المنشئ أو المبدع ، إذ يعيش التشكيلات اللفظية والموسيقية ، ويمتزج بها ، ويعاني لحظات إعادة خلقها من جديد .

الهوامش

(١) شرح ديوان الحماسة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٥١م .

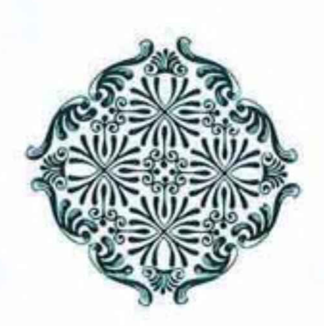
(٢) أوستن وارين ، ورينيه ويليك ، نظرية الأدب ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٣) ناقش هذه الآراء بكتابه (وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي) ، معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ، ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧م ، من ص ١٠٤ حتى ص ٢١٤ ، ورأى أن دعوة ناصف دعوة جمالية مسرفة ، وناقش موضع العاطفة ، وتأثير الأديب في قرائه ، والطبع والتكلف وغيرها من قضايا .

(٤) كان قد أصدر كتابه (دراسة الأدب العربي) ، الدار القومية ، ١٩٦٦م ، في طبعته الأولى ، فأدار النويهي حوله هذه القضايا من موقف يعارض الاتجاه الجمالي المحض ، وقد صدرت للكتاب طبعة ثانية عن دار الأندلس ببيروت ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، في سبعة فصول تناقش الانطباعات والعجز عن مواجهة النص ، وصلة الأدب بالمجتمع ، وبعلم النفس ، والتحليل اللغوي الاسطاطيقي ، ووحدة الشعر ، والصدق . في (٣٦١ صفحة) .

(٥) انظر وارين ، وويليك ، نظرية الأدب ، والمجموعة ، الأديب وصناعته ، وسارتر ، ما الأدب ؟ .

(٦) من الفريد في هذا الباب في العربية كتاب علي الجندي : الشعراء وإنشاد الشعر ، دار المعارف ـ القاهرة ، ط٢ . انظر الفصول : الشعراء المجيدون للإنشاد وعلوية النغمة ، اختيار البحور المناسبة ، اختيار القوافي ، تجنب حروف الروي الكريهة .. إلخ .



دهاء طفلتي

شعر: محمود ممتاز الهواري



شذاك يا بُنيتي   عطْر لي أبوتي

أشمه كأنني   أشم عطر الجنة

فأنت لي برعمة   تفتَّحت في مهجتي

جذورها تغيبُ في   قلبي بكل رقة

ونورُها يضيءُ لي   جوانحي في الظلمة

إذا بكيتِ تمطرُ السماءُ فوْق جبهتي

وتصبح الحياةُ في   التوائها كالحية

وإن بسمتِ تضحكُ الدُنيا وَراء البسمة

ويطربُ الوجودُ مهتزاً لأي لفتة

أطلُ في عينيكِ ما   أعذبها من نظرة

كأنني أعبُّ ما   في الكون من مسرة

كأنني أشعة   تهيمُ في أشعة

فأنت يا بُنيتي   خيال ذات ليلة

فشعرك البني هفهافَ رقيق اللمسة

يسيل كالخيال لا   يقر فوق الجبهة

وأنت بيضاء الجبين أشربت بالحمرة

كقمر عند الشروق   مستدير الطلعة

فليس في الدنيا أرق منك يا بنيتي

وإن بدوتِ تارةً   خبيثة.. كالقطة

تعابثين أنْفَ «بابا» الفخم في مودة

وتجذبين شَعْرَه الأجعد دون خشية

وتركبين ظَهْرَه   إذا هوى في سجدة

وتضحكين كلما   تحتَ ظِلَّ غضبة

وتسرعين بالفرار   لاتقاء وثبتي

وتحتمين كالفراش   في ظلال زهْرة

حانيةً على أبيكِ   في هجيْرِ الرحلة

فأحتويكِ هانئاً   مقهقهاً في ضمة

وفوق ثغري نغمة   تقطر إثر نغمة

لم يخلق الله دهاء   كدهاء طفلتي!



★ سلاح المدفعية في الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط ★

•• تاريخ ما أهمله التاريخ ••

البارود والمدفع .. اختراع عربي

بقلم : د . أحمد شوقي الفنجري

هناك الكثير من إنجازات الحضارة العربية والإسلامية ، الذي ما يزال خافياً علينا ، والذي نهب منا ونسبه غيرنا إلى نفسه في غفلة منا . فهناك في مكتبات أوروبا ، الألوف من المخطوطات العلمية العربية الموجودة في الأقبية والدهاليز السرية ، والكثير منها من النادر الثمين الذي لا يوجد منه غير نسخة واحدة في أوروبا ولا مثيل لها في العالم العربي ، كما ان هناك أضعاف هذا العدد من المخطوطات في العالم العربي نفسه .. ومعظمها لم يتفرغ له أحد لتحقيقه والكشف عما يحتويه من كنوز المعرفة .

البارود والمدفع.. اختراع عربي

وللأسف الشديد أن أوروبا في بداية نهضتها في أواخر القرون الوسطى ، قد تنكرت للحضارة العربية التي استقت منها ونقلت عنها كل مقومات نهضتها الحالية ؛ فقد لعب التعصب الصليبي في العصور الوسطى دوره في إنكار أوروبا لفضل علماء المسلمين عليها مما مهد المجال للكثير من علمائهم إلى السطو على كنوز المخطوطات الإسلامية وكل إنجازات علماء المسلمين ونسبتها إلى أنفسهم .. وقد تم ذلك كله في مرحلة كان نجم الحضارة الإسلامية فيه يتجه نحو الأفول ، فلم يجدوا من علماء المسلمين المعاصرين لهم من يردعهم .

وقد استمرت الكذبة يتردد ذكرها في الكتب والمراجع من عصر إلى عصر ، ومن جيل إلى جيل حتى نسيت الحقيقة الأولى .. وأصبحنا اليوم إذا تحدث أي عالم مسلم عن أي اختراع أو اكتشاف إسلامي ورده إلى أصحابه المسلمين .. قوبل قوله بالاستغراب الشديد من المسلمين أنفسهم .

البارود

هناك ثلاثة آراء متضاربة حول صناعة البارود :

● فالأوروبيون يقلون إن أول من اخترعه (**روجر بيكون**) ، وكان ذلك سنة ١٣٢٠ م .

● والصينيون يقولون إنهم عرفوه قبل الميلاد ، وكانوا يستعملونه في المناسبات الدينية والأفراح والجنازات وتكريم الآلهة .

● والرأي الثالث يقول إن البارود اختراع عربي ، وإن المسلمين أول من ابتكروه ثم طوروه واستعملوه في الحرب كقوة دافعة .

وسوف نناقش هنا بموضوعية وحياد كل واحد من هذه الآراء مستشهدين في ذلك بثلاثة مصادر رئيسية :

★ **(أولا)** ما جاء في المخطوطات العلمية الإسلامية الموجودة اليوم في متاحف أوروبا والعالم الإسلامي .

★ **(ثانيا)** ما جاء في المراجع العلمية الأوروبية التي تكتب بروح علمية وخاصة ما كتبه المستشرقون المنصفون في هذا المجال .

★ **(ثالثا)** ما جاء في المراجع الصينية العلمية . وفي مقدمتها (موسوعة[1] تاريخ العلم والحضارة عند الصينيين) ، التي ألفها الدكتور **نيد هام** مع نخبة من علماء الصين المعاصرين ، والتي تعد أوثق مرجع في تاريخ الصين العلمي .



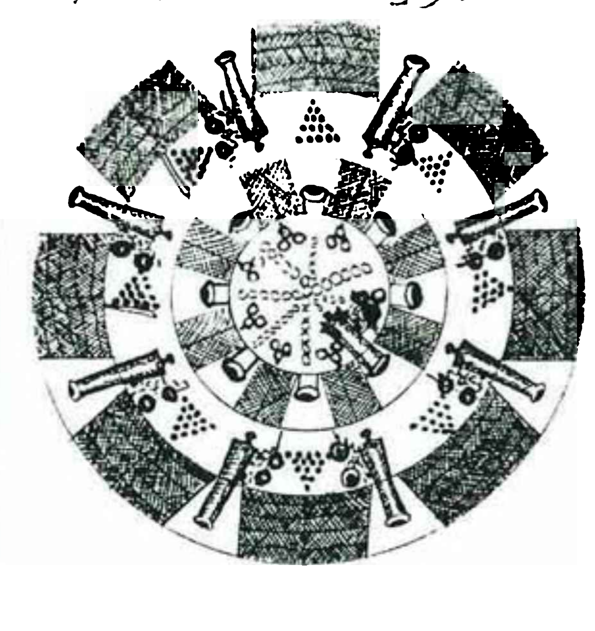
★ الكيميائيون العرب أول من اكتشف الأحماض وحضّر الأملاح في المعامل الكيميائية ★

المخطوطات العسكرية الإسلامية

لقد اهتم المسلمون بالدراسات العسكرية سواء منها النظرية أم التطبيقية .. فألّفوا الكثير من المراجع في كل هذه المجالات . فمنها دراسات عن صناعة السلاح وتطويره ، ومنها عن التدريب على السلاح واستعمالاته ، ومنها دراسات عن الخطط العسكرية ، وفنون تعبئة وتحريك الجيوش .

وقد أحصى المؤرخ الإسلامي **ابن النديم** الكتب والمراجع في هذا الميدان ، فإذا بالتراث العلمي العسكري الإسلامي من أغنى المراجع في تاريخ الحضارات القديمة .. وقد كتب هذا الباب بعنوان : « فيما كتب في الفروسية ، وحمل آلات الحرب والتدريب الحربي ... » ، وللأسف الشديد أن الكثير من هذه المخطوطات التي عددها ابن النديم قد فقدت من العالم العربي . وبعضها قد اكتشف في متاحف أوروبا ، ولم يكشف عنه النقاب إلا في عصر متأخر ، ولا يوجد له مثيل في العالم العربي .

ومن أهم المؤلفين في هذا الميدان القائد العسكري الإسلامي حسن الرماح[2] ، الذي كان قائد حامية حلب في سورية والمتوفى سنة ١٢٧٥ م . وقد ألّف كتاب « **بغية القاصدين في العمل بالميادين** » ، وهو مخطوط في مكتبة (ليدن) ، وأيضاً كتاب « **الفروسية والمكائد الحربية** » ، ثم كتاب « **غاية المقصود من العلم والعمل بالبارود** » ، وهو مخطوط في باريس . والكتاب الأخير عن صناعة البارود وتنقيته من الشوائب ، ويدعي **سارتون** إلى أن **روجر بيكون** قد نقل سر صناعة البارود عن كتاب حسن الرماح . ويدلنا هذا الكتاب على أن صناعة البارود في العالم الإسلامي في ذلك العصر كانت متطورة ، وقد بلغت أوجها قبل أن يعرفها (**بيكون**) بزمن طويل يقدر بحوالي ثلاثة

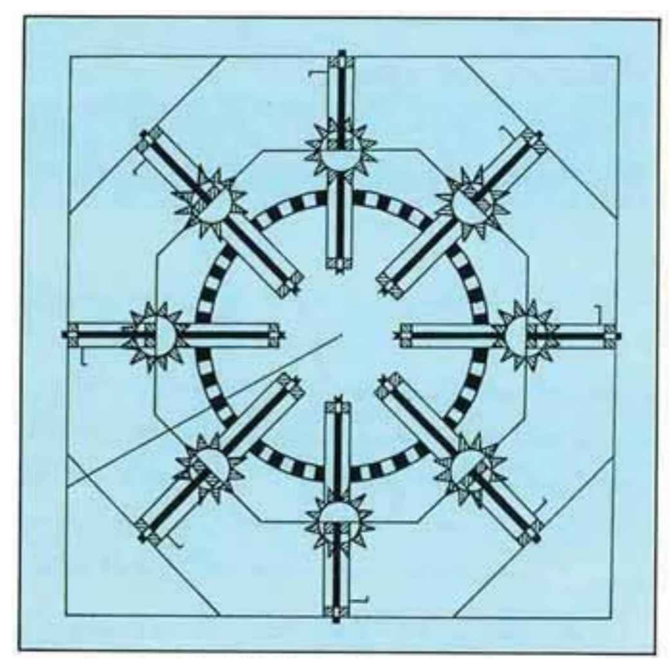


★ صفحة من مخطوط إسلامي عن تصميم وتصنيع المدفع ★

قرون ، فالكتاب يتحدث عن «**المواد المتفجرة**[٣] ، **والأسلحة النارية ، وعن بيض متحرك حارق ينطلق كقذائف نارية قاصفة كالرعد ، وعن رعادات (طوربيدات) بمحركات صاروخية**» ، وهذه الفقرة عما جاء في صناعة البارود في أحد المخطوطات العربية[٤] القديمة :

«تؤخذ عشرة دراهم من ملح البارود ، ودرهمان من الفحم ، ودرهم ونصف من الكبريت . . . وتسحق حتى تصبح كالغبار . ويملأ منها ثلث المدفع فقط خوفاً من انفجاره ويصنع الخراط من أجل ذلك مدفعاً من خشب تتناسب فتحته مع جسامة فوهته . . وتدك الذخيرة بشدة ، ويضاف إليها البندق (كرات الحديد أو الحجارة) ، ثم يشعل ويكون قياس المدفع مناسباً لثقله» .

وتجمع آراء الباحثين العلميين أمثال **جوستاف لوبون وسارتون وسيجريد هونكه** وغيرهم كثيرون أن الأوروبيين قد عرفوا البارود عن طريق العرب ، ونقلوه عنهم . . وفي ذلك يقول لوبون[٥] :



★ تصميم المدفع في أحد المخطوطات العسكرية الإسلامية في مراكش ★

«وعزي اختراع البارود إلى روجر بيكون زمناً طويلاً . . مع أن روجر بيكون لم يفعل غير ما فعله **ألبرت الكبير** من اقتباس المركبات القديمة ، فقد عرف العرب الأسلحة النارية قبل النصارى من زمن طويل . . . .» .

ويقول **سارتون** في كتابه «**مقدمة في تاريخ**[٦] **العلم**» :

«إن نسبة البارود إلى **بيكون** أمر تدور حوله الشكوك والشبهات» ، ثم يشير إلى احتمال اطلاع بيكون على كتاب «حسن الرماح» .

وتقول **سيجريد هونكه** : «إن عرب الأندلس هم أول من استعمل القذائف النارية في القارة الأوروبية لأهداف عسكرية . . فأصبحوا بذلك أساتذة الأوروبيين في هذا الميدان ، وكان ذلك في معارك **بازا** Baza **واليكانت** Alicante **والجزيرة** Al - geciras في سنة ١٣٢٥ م ، ١٣٣١ م ، ١٣٤٢ م»[٧] .

وهكذا تسقط حجة من يدعون أن أوروبا صاحبة اختراع البارود .

تبقى الآن الحجة الثانية التي تقول إن الصينيين صنعوا البارود قبل العرب واستعملوه في الألعاب النارية والأغراض الدينية . . وللرد على ذلك يجب أن نميِّز بين أمرين هامين : فهناك ملح البارود . . وتركيبه الكيميائي (نترات البر'سيوم) ، وهو موجود في الطبيعة تحت اسم (البارود الأسود الخام) ، وسمي بالبارود لأنه قابل للاشتعال عند التسخين أو ملامسته النار . . فهذه المادة الخام هي التي عرفها الصينيون واستعملوها كما هي في الطبيعة دون تركيب أو تحضير ، وقد عرفها العرب عنهم وسموها (الحجر الصيني) . وقد جاء في الموسوعة العالمية «العلم والحضارة في الصين» للدكتور نيدهام قوله[٨] : «إن المسلمين قد عرفوا ملح البارود (Salt Peter) عن الصينيين . . وكانوا يسمونه الملح الصيني

البارود والمدفع.. اختراع عربي

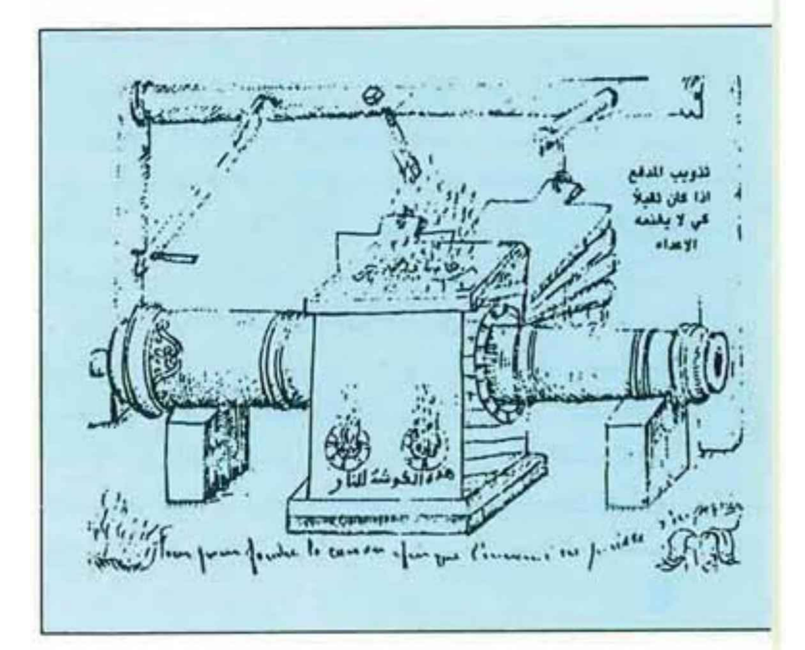
كان هذا الملح يؤخذ من الحجارة أي من الموارد الطبيعية في أواسط وشرقي آسيا» انتهى كلام نيد هام.

أما بارود المدافع Gun Powder فهو تركيبة كيميائية اخترعها الكيميائيون العرب في معاملهم، وتتركب من «نترات البوتاسيوم بنسبة ٧٥٪ + كبريت بنسبة ١٠٪ + فحم بنسبة ١٥٪». وطبيعي أن العرب قد جربوا الملح الصيني أو ملح البارود الخام في هذه التركيبة أول الأمر، فلم يؤد الغرض لأنه في صورته الطبيعية مليء بالشوائب.

وهنا تأتي ثلاث خطوات هامة قام بها علماء العرب:

★ **الخطوة الأولى:** تحضير ملح البارود كيميائياً في المعمل بصفة نقية. فالمعروف أن أول من اخترع حامض النتريك هو **جابر بن حيان** المولود سنة ٧٢٢م، ثم جاء من بعده **الرازي** الطبيب والعالم الكيميائي المولود سنة ٨٥٠م، فأجرى التجارب عليه، وصنع منه الأملاح، وذلك أثناء محاولته لإذابة الذهب وسماه المزج الأخضر. ويقرر الدكتور **نيد هام**[9] أن العرب هم أول من قام بتحضير الأملاح في معاملهم كيميائياً في تاريخ الإنسانية.. فيقول في ص ٤٣٢، جـ٥:

«كان العرب يطلقون على الأملاح المأخوذة من الطبيعة اسم (الحجارة)، أما الأملاح المستحضرة في معاملهم كيميائياً، فكانت تسمى المستنبطات Mustanbat، ولم يكن الصينيون يعرفون غير الأملاح الطبيعية وحدها».

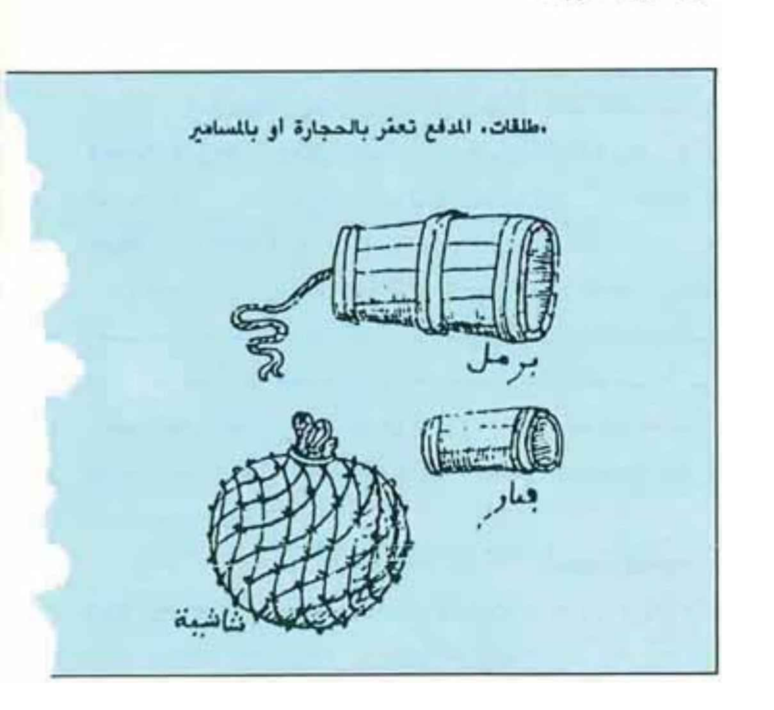


★ **الخطوة الثانية:** هي تنقية ملح البارود الخام من الشوائب الطبيعية، لأنه أقل تكلفة من الملح المستحضر كيميائياً. وهنا أيضاً نستشهد بفقرة من **سارتون** (مقدمة[10] في تاريخ العلم، جـ٢)، إذ يقول فيها تحت عنوان (البارود): «إن المسلمين أول من قام بتنقية ملح البارود الخام»، ويستشهد على ذلك بأن ثورة الزنج التي قامت سنة ٨٦٩م، وأن هؤلاء الزنوج كانوا عمالاً في صناعة تنقية ملح البارود في البصرة. وفي شرح أهمية هذه الخطوة يقول **سارتون**: «وبفرض معرفة الصينيين لملح البارود قبل العرب، فلم يكن ذلك ذا قيمة تذكر من الناحية العملية.. لأنه لم يكن بصورة تسمح باستعماله كقوة دافعة. وأول من قام بتنقيته هم علماء المسلمين».

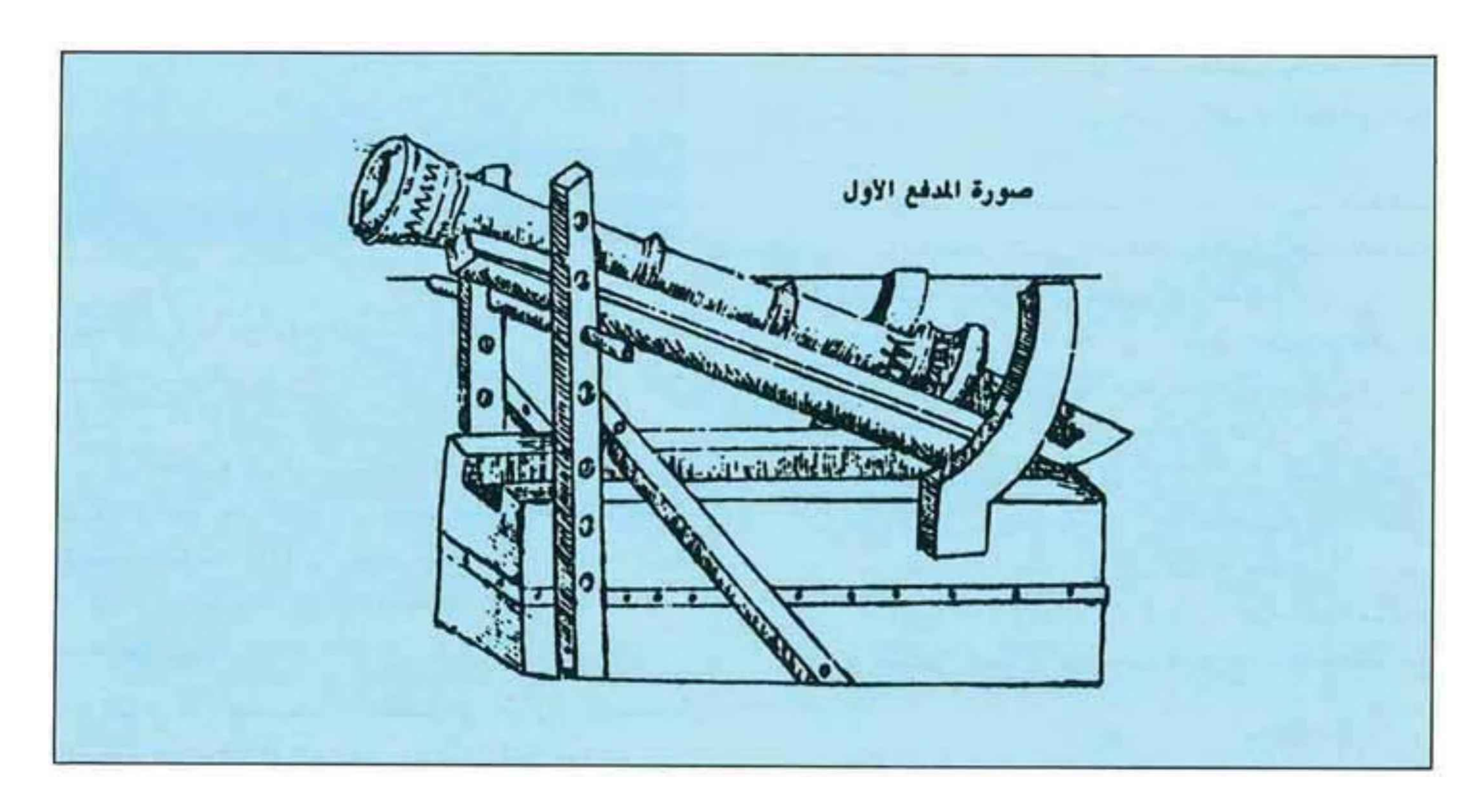
★ **الخطوة الثالثة:** هي صنع بارود المدفع Gun Powder ليكون قوة دافعة، لقد اكتشف الكيميائيون العرب أن الاستعمال السريع للكبريت مع الفحم يولد كمية هائلة من الغازات دفعة واحدة...

فأرادوا أن يستفيدوا من هذه الخاصية باستعمالها كقوة دافعة فوضعوا عليها نسبة معينة من ملح البارود كعامل وسيط للاشتعال. وكان المدفعي يدك هذا المسحوق في المدفع ثم يضع أمامه القذيفة وهي كرة من الحجر أو الحديد ثم يشعل فيها النار. من هنا تبيَّن أن العرب أول من صنع بارود المدفع واستعمله كقوة دافعة. في حين أن الصينيين كانوا يستعملون ملح البارود الخام لخاصية الاشتعال في أعمال الزينة والأغراض الدينية كالجنازات.

والخلاصة أن بارود المدافع اختراع عربي أصلاً.. لم يعرفه الصينيون قبلهم ولم يعرفه الأوروبيون إلا بعدهم بثلاثة قرون، وكان ذلك عن طريق العرب.



«طلقات» المدفع تعمر بالحجارة او بالمسامير



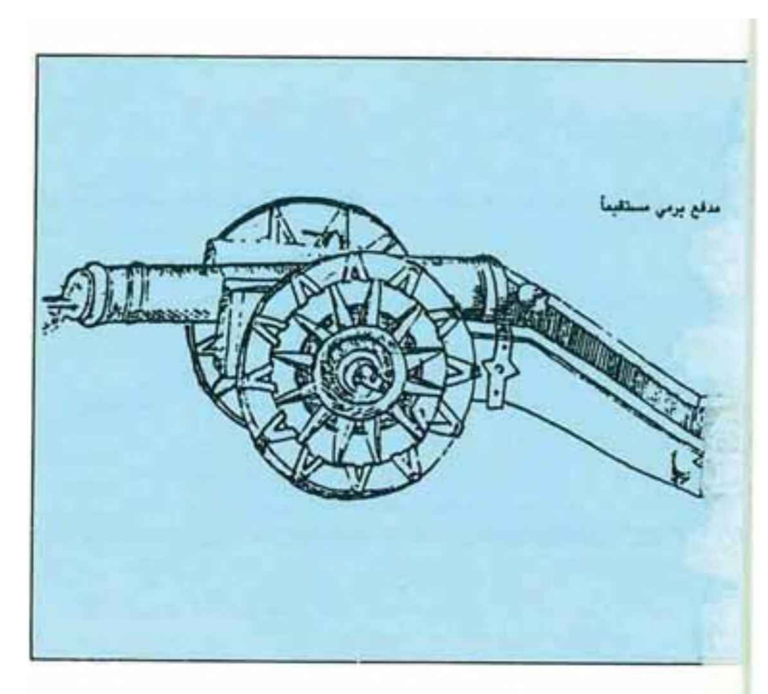
صناعة المدفع

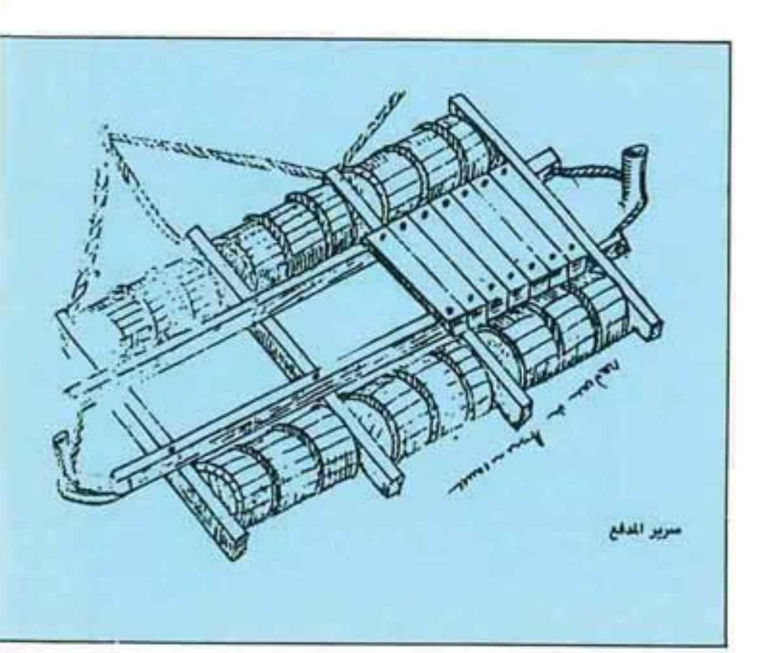
المدفع اختراع إسلامي ، وليس هناك من يدعي غير ذلك . وقد جاء في المخطوطات العربية أن المسلمين استعملوا المدفع في حصار **سرقسطة** سنة ١١٢٨ م ، ويذكر **ابن خلدون** أن سلطان مراكش عندما فتح **سلجماسة** سنة ١٢٧٣ م ، استعمل المدافع في حصارها فيقول : « إنهم ضربوا أسوارها بمختلف الآلات . فكانت الآلة ترمي قذائف كبيرة من الحجارة أو الحديد ينبعث من خزنة أمام المدفع بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها » .

وتذكر الدكتورة **سيجريد هونكه** في كتابها « **شمس**[11] **العرب تسطع على أوروبا** » ، أن المسلمين قد استعملوا البارود في الحروب الصليبية سنة ١٢٤٩ م ، في المدفع والطوربيد ، وكان ذلك شيئاً لم يعرفه الصليبيون من قبل . . فكان ملك فرنسا يصرخ عندما تسقط القذائف الملتهبة على معسكره ويقول : « سيدي الحبيب . . احمني وشعبي من الكارثة !! » .

وقد أوردت في كتابها رسماً للزعّادة أو الطوربيد الذي اخترعه حسن




مدفع يرمي مستقيماً


سرير المدفع

البارود والمدفع .. اختراع عربي

الرماح ، وهو عبارة عن كرة من الحديد مزودة بمادة البارود التي إذا اشتعلت تحولت الكرة إلى صاروخ يندفع نحو العدو .. (انظر رسم الرعادة) .

وحتى بعد أن عرفت أوروبا صناعة المدافع فقد ظلت متخلفة عن المسلمين في تطوير هذا السلاح ... فعندما حاصر **محمد الفاتح القسطنطينية** سنة ١٤٥٣ م ، استعمل مدافع ضخمة لم تعرف أوروبا لها مثيلاً .. وعندما حاصر العثمانيون **فيينا** بعد ذلك كانت مدفعيتهم متفوقة على أوروبا .

كذلك كان للمسلمين الفضل في اختراع الأسلحة الصغيرة كالبندقية أو البارودة . ويذكر **الدكتور وودكب**[١٢] ان مسلمي الأندلس قد اخترعوا القربينة ونقلها عنهم الإسبان في غزو **المكسيك** سنة ١٥٢٠ م ، وكانوا يسمونها Arquibus وهو اسم مشتق من العربية .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر مخطوطاً هاماً عن المدفعية الإسلامية ، اكتشف حديثاً في مراكش لمؤلفه القائد الإسلامي (**إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا ، المتوفى سنة ١٥٨٣ م**) ، وكان إبراهيم

هذا ميزان لوزن المدافع صورة تخيلية

ميزان المدفع

هذا من بقايا مسلمي الأندلس الذين أخفوا إسلامهم . وعندما اكتشف الإسبان أمره ، طردوه إلى مراكش بعد أن قضى في سجونهم سبع سنوات .

وكان إبراهيم خبيراً بالمدفعية وبصناعة البارود . وقد ورث هذا العلم أباً عن جد منذ عصور الأندلس . أما الكتاب فاسمه « **العز والرفعة والمنافع للمجاهدين**[١٣] **في سبيل الله بالمدافع** » .

ويعد هذا الكتاب أول مخطوط من نوعه في التاريخ متخصص في صناعة المدافع وحدها . وفيه يصف مؤلفه صناعة المدافع ابتداء من عصور الإسلام الأولى وكيف انتقلت هذه الصناعة إلى الإسبان .

وقد وصف الكتاب اثنين وثلاثين نوعاً من المدافع المختلفة الأحجام والصناعة والأغراض ، ووصف صناعة المدفع وطريقة وزنه بميزان خاص للتأكد من دقة إصابته للهدف ، ثم يختم هذا المخطوط ببيان طريف بعنوان « **تذويب المدفع** » ، إذا كان ثقيلاً كي لا يغنمه الأعداء ، والكتاب ممتلئ بالصور العلمية التوضيحية التي أوردنا بعضاً منها مع هذا المقال .

وهكذا لا يبقى حجة واحدة لأي معترض بأن العرب كانوا السابقين إلى اختراع البارود والمدفع . **وكم أتمنى أن يصل هذا البحث إلى أصحاب دوائر المعارف والموسوعات العلمية سواء كانت عربية أم أجنبية ، وخاصة دائرة المعارف**[١٤] **الإسلامية التي صدرت في بريطانيا عن تاريخ الحضارة الإسلامية ، حتى يصححوا هذه المعلومة توخياً للدقة والأمانة العلمية وإحقاقاً للحق** .

المراجع والهوامش

(١) موسوعة (تاريخ العلم والحضارة عند الصينيين) بروفيسور نيد هام Science and Civilisation In CHINA, By Needham .

(٢) موسوعة (تاريخ العلم وتعليم المسلمين) ، تأليف مجموعة من الأساتذة العلماء ، طبعة القاموس الإسلامي .

(٣) من كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » ، تأليف الدكتورة الألمانية سيجريد هونكه ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، طبعة سنة ١٩٦٩م ، ص ٥٠ .

(٤) من كتاب « فضل العرب والمسلمين على أوروبا » للدكتور عز الدين فراج . ص ١٦٢ ، طبعة سنة ١٩٧٨م .

(٥) حضارة العرب (جوستاف لوبون) .

(٦) Introducation To The History of Science By Sarton, Vol 2 - P 569

(٧) سيجريد هونكه ، المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٨) نيد هام ، المرجع السابق .

(٩) نيد هام ، المرجع السابق .

(١٠) المرجع السابق .

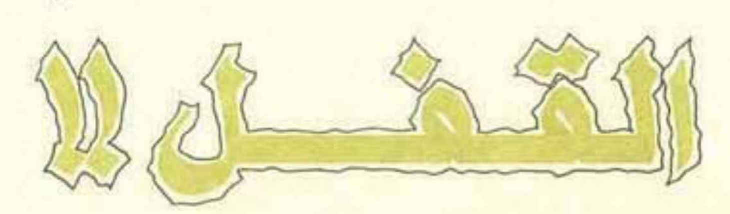
(١١) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(١٢) كتاب المسلمون في تاريخ الحضارة ، الدكتور وودكب ، النسخة العربية .

(١٣) نشر هذا المخطوط في مجلة (تاريخ العرب والعالم) ، عدد ٤٩ ، حققه الدكتور سهيل زكار أستاذ التاريخ بجامعة دمشق .

(١٤) تردد دائرة المعارف الإسلامية أخطاء الموسوعات الأوروبية وتنقل عنها رغم أن المؤلفين من أفاضل المستشرقين والعلماء في بريطانيا وغيرها .

بقلم: د. أحمد عبد المنعم عربود



القفل !!

لست أدري لماذا أطلقت عليه «شلة» الأصدقاء هذا الاسم الغريب؟! . ألأنه يشبه القفل في الصدأ الذي يعلو عقله، فيمنعه من التفكير السليم؟! أم أن القفل دائماً نذير شؤم، بعكس كلمة «الفتح» مثلاً وهي توحي بالتفاؤل؟! أم أن القفل يقف دائماً حائلاً أمام الإنسان للوصول إلى هدفه؟! أم لأنك تحتاج أحياناً إلى فتحه، فتعجز بالرغم من محاولاتك الكثيرة لاستخدام مفاتيح عدة، فلا تملك ـ ساعتها ـ إلا أن تسب القفل «واللي» صنع القفل! .

أم أن القفل قرين «الترباس» أو «المزلاج» وكلها مسميات لا قيمة لها في ذاتها، ولا تعدو أن تكون كتلاً صماء لا حياة فيها، وبالرغم من ذلك تتحكم في نوازع الإنسان. وأياً كان السبب في التسمية، فصاحبنا يستحق هذا اللقب الفريد عن جدارة واقتدار.

فصاحبنا كثير الحديث في شتى المواضيع ولا يبخل على محدثه بالرأي حتى إن لم يطلب منه ذلك مهما كانت طبيعة الحديث الذي يخوض فيه، وبالرغم من أنه قليل الخبرة، محدود النظرة، سطحي التفكير، سقيم الرأي إلا



أنه يعتقد أنه داهية عصره، وفيلسوف زمانه وعنده الحل لكل العقد التي عجز عن حلها أصحابها.

ولعله رضي بهذا الاسم لا حباً فيه، ولكن إبقاءً على علاقته الطيبة مع «شلة» الأصدقاء التي لا يمكن أن يكون مجرد إطلاق مثل هذا اللقب عليه سبباً في فراقهم وبعدهم عنه! . وكثيراً ما كان يخرج صاحبنا هذا بأفكار غريبة، شاذة ولكنه يعتقد ـ مع ذلك ـ أنها من المسلَّمات، بل إنه لا يتحرج من أن يسميها «نظريات»!! .

وله في ذلك الكثير والكثير من النظريات في الحياة العامة، والحب والزواج وغيرها. وأشهر تلك النظريات على سبيل المثال لا الحصر نظريته المشهورة في الحُب ألا وهي نظرية «الجبس» أي نعم «الجبس» قرين «الأسمنت»، ولعلك تزعجك لفظة «الجبس» تلك بجانب كلمة «الحب» ولقد كان هذا هو شعورنا نحن أيضاً حين سمعنا هذه النظرية لأول مرة، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب! .

وتتلخص هذه النظرية ـ إن جاز لنا أن نسميها نظرية ـ في أن صاحبنا «الميمون» يُشبِّه

قلب الفتاة بالجبس، إذا سقط عليه الماء لأول مرة فإنه سرعان ما يتصلد، ويظل على حاله هكذا لا يتأثر بأي ماء آخر يسقط عليه ما دام قد تصلد من قبل. وهو يعني بنظريته تلك، أن الفتاة التي تعلق قلبها بشخص معيّن من الصعب أن يتغيّر قلبها ليحب غيره، بشرط أن يكون هذا الحب هو الأول في حياتها.

وما أتعسنا بهذا «القفل» ونظرياته. فبالرغم من سطحية هذا التفكير الأهوج، إلا أنه صادف هوى في نفس أحد أفراد الشلة الطيبين المشهود له بالاستقامة وهدوء الطبع. وما أسرع ما اقتنع بكلام صاحب نظرية الجبس تلك!! فلقد كان معجباً بواحدة من زميلاته في العمل، وكم تكتم هذا السر في نفسه مدة طويلة يداوي جراحه بنفسه، ولم يكن يجرؤ على التفكير في مجرد التحدث إليها، علاوة على أن يطلب ودها أو..

طلب الزواج منها، وذلك لعلمه بالفارق المادي والمعنوي بينه وبين فتاة أحلامه، فأين هو من جمالها ورقتها وعراقة نسبها ومؤهلاتها العلمية، وهو من هو فقراً وغلباً ومؤهلاً متوسطاً متواضعاً. حتى شاء له القدر ذات ليلة — في ساعة انسجام — أن يبوح لصديقه «القفل» على انفراد بهذا السر الخطير وبإعجابه بفتاة أحلامه، وذلك أثناء سيرهما معاً في ليلة صافية ألقى القمر فيها عليهما ظلاله، وبدت الأشجار كأنها عشاق يتناجون همساً.

تلقف «القفل» هذه الفرصة السانحة ليثبت لصديقه صدق نظرياته، وليبيّن له قيمة أفكاره السديدة التي لا غنى لأحد عنها. لقد أقنع «القفل» صاحبنا أن هذا الإعجاب ما هو إلا بداية الطريق إلى الحب الحقيقي، بل ونيل المراد من حبيبة القلب. ومضى معه يقنعه بصدق نظرية «الجبس» وأنه لا بد أن يبوح بسره لمحبوبته وليس ثم إنسان أياً كان يستطيع أن يحول دون هذا الحب، ولا يظل هذا الحب حبيس صدره وإلا مات كمداً دون أن يظفر بمراده ولم لا؟ وربما كانت تبادله حباً بحب، ولكنها تخجل من مبادءته بالحديث كعادة بنات حواء يتمنعن وهن راغبات، وما درى القفل ولا دار بخلده لحظة أن تلك الفتاة مخطوبة، بل ومتزوجة من شاب ملء السمع والبصر!!.

وارتعشت أطراف صاحبنا الطيب وهو يسمع اقتراح «القفل» بمحاولة التحدث إليها، ولكم عاش صاحبنا في لذة الخيال دون أن يستطيع أن يكلمها أو ينظر إليها أو يلقي السلام عليها ولو لمرة واحدة.

ولقد كان مستريحاً لهذا الشعور وقانعاً بهذا الخيال ما دام لا يكلفه عناء ولا يورطه فيما لا تحمد عقباه.

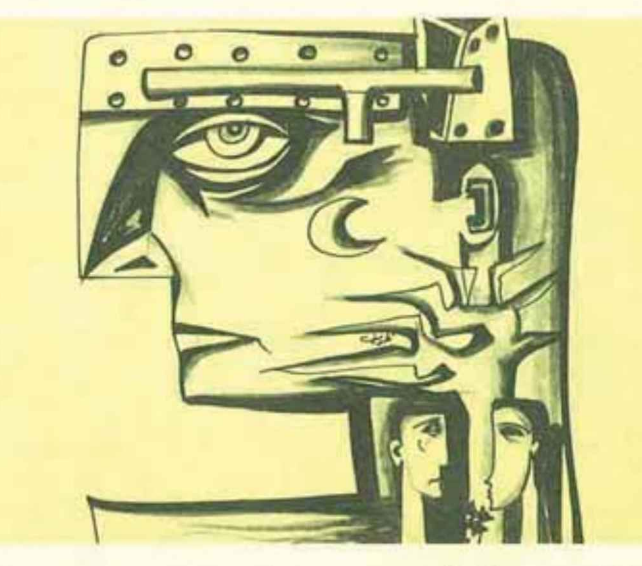
وكيف له أن يحدثها وهو لم ينفرد بفتاة في حياته قط، ولا سيما ليحدثها حديث عشق!، ولكن «القفل» استطاع أن يقطع عليه أفكاره ويقنعه أنه لا بد أن يتخلى عن خجله وأن يلقي بهذه الأوهام وتلك المخاوف جانباً. وهنا يدور رأس صاحبنا وهو يعود لتفكيره مرة أخرى يسائل نفسه: ماذا لو استوقفها ليبوح لها بحبه فلم ترد عليه؟! وما موقفه لو رآه أحد المارة وهو يفعل تلك الفعلة الشنعاء؟! وما موقفه لو اعتذرت عن مواصلة حبه ومبادلته شعوره؟! أو... أو.. وقطع عليه «القفل» مرة أخرى تفكيره وصوته يتردد أنه لا بد من مقابلتها وأن يشرح لها كل شيء.. بل لقد رسم له فعلاً خطة لمقابلتها، بل وحدد له المكان والزمان اللذين سيقابلها فيها.

تردد صاحبنا المسكين كثيراً في موافقة صاحبه «القفل»، ولكن ما أشد عذاب قلبه الذي تعلق بحب من لا تحس به.. وكم سهر الليالي يفكر فيها، وقطع النهار في تفكرها والهيام بحبها.. وأمام إصرار زميله وافق وقلبه يكاد ينخلع كلما تخيل هذا الموقف العصيب المرتقب.

وجاءت ساعة الصفر..

«القفل» يرقب الطريق الذي ستمر منه المحبوبة، وصاحبنا يقف بجانبه منكمشاً، زائغ البصر، شاحباً، يتفصد وجهه عرقاً، يفرك أصابعه في عصبية، يحاول أن يصلح من هندامه، تخرج الكلمات منه مرتعشة رغماً عنه، يدق قلبه دقات متتالية سريعة، تحس وكأنه على وشك ارتكاب جريمة قتل أو سرقة أحد البنوك الكبيرة!!.

حتى إذا بدت «المحبوبة» من بعيد بطلعتها البهية لمحها «القفل» فوخز صديقه وخزة شديدة لينبّهه باقتراب دوره في المسرحية «الغبراء». ويتسمر صاحبنا في مكانه شاخصاً ببصره إلى الأرض، يدفعه «القفل» بشدة وهو جامد في مكانه كتمثال مثبت في قاعدته.. يدفعه «القفل» مرة أخرى فيتحرك وكأنه يساق إلى حتفه. أخيراً تشجيع، أخذ



شهيقاً عميقاً، نفث في يديه وكأنه داخل إلى حلبة ملاكمة، أو مصارعة ثيران، يتشابه قلق شديد من صعوبة الموقف، رأسه يدور بالأفكار السوداء، ولكن لا يلبث أن يطرد تلك الأفكار السوداء كلما تذكر نظرية «الجبس» لصديقه الوفي «القفل».

اقترب صاحبنا من فتاته، أسرع الخطا وأسرعت معه دقات قلبه حتى أحس بكل دقة تخرج من رقبته. اقترب أكثر، لم يبق بينه وبينها إلا خطوات قليلة،

تشجع، نادى عليها بصوت خافت أحس كأن روحه خرجت معه، وبالطبع لم تسمع لأنه كان يحدث نفسه. كرر النداء، وهنا توقفت واستدارت تجاه الصوت وهنا يواجه صاحبنا عينيها الواسعتين البارقتين لأول مرة في حياته، تزداد دقات قلبه، أسقط في يده، تمنى لو انشقت الأرض وابتلعته، ونسي كل ما كان قد أعده لهذا اللقاء، ولكن نطق لسانه المرتعش بهمهمات ليقول لها وهو ينظر إلى الأرض:

– لقد كنت أود أن أبوح لك بأمر ولكن..

– ولكن ماذا... أي أمر تريد؟! بصمت برهة.. يستأنف حديثه وكأن لحم وجهه يتساقط:

– إنني في الحقيقة أحبك يا...

ولم تمهله حتى ينطق باسمها حتى لوحت بيدها في الهواء حتى شاهد بريق «دبلة الخطوبة» في يدها لتهوي بيدها على وجهه لتصفعه صفعة أطارت كل تفكير من رأسه، ثم استدارت لتواصل سيرها!!.

يضع صاحبنا كفه مكان الضربة كأنه يريد أن يزيل ألم الإهانة التي لحقته. اسودت الدنيا في وجهه، أحس كأنما ألقي به في بئر من الماء البارد أخرجه من عالم الخيال والرومانسية إلى عالم الواقع والقسوة والحقيقة!! كاد يغمى عليه، تمالك نفسه، أخذ يجر قدميه، مضى وقد تغيرت المفاهيم في نظره، كل المقاييس قد قلبت في رأسه، كل الألوان أمامه الآن باهتة، لا جمال فيها، صارت كل الأجسام حوله وأمامه أشباحاً تنظر إليه، تشير إليه، تطارده، تسخر منه ومن خيبة أمله!! يتراءى أمام عينيه شريط للموقف ينتهي ليعاد مرة أخرى وهكذا.

«القفل» كان يرقب كل شيء، فلقد تلقف الصفعة قبل صاحبه فلقد رأيته وقد أغمض عينيه وحمى وجهه بكفيه حين هوت الفتاة على وجه صاحبه كأنه يحاول أن يتلاشى الضربة وهي تسقط على وجه صاحبه.

تمر لحظات قاسية بغيضة، يحاول «القفل» أن يتدارك الموقف ويهون على الضحية المسكين فيتجه إليه منكس الرأس، خائفاً من رد الفعل، ليسأل صاحبه متجاهلاً كل ما رآه:

– إيه.. عملت إيه ؟!.

صمت رهيب.. يكرر عليه السؤال، يرد وهو شاخص ببصره إلى الأرض:

– لم يحدث شيء.. لقد انتهى كل شيء.

– كيف.. ألم تبادلك شعورك ؟!. ألم تبُح لك بأسرار قلبها.. ألم تقل لك إني أحبك ؟! ألم تقل لك إنني كنت أتمنى أن أصارحك بهذا منذ زمن ؟!، ألم... وهنا يعبس صاحبنا ويحمر وجهه ويكشر عن أنيابه ويحس وكأن نيراناً تخرج من أذنيه وعينيه لينفجر في صديقه «القفل» مقاطعاً:

– كفى.. كفى.. لم يحدث.. لم يحدث!!.

ويستطرد:

– لم يحدث شيء من ذلك.. خطأ.. خطأ خطأ.

– ما هو الخطأ يا صديقي ؟! القفل معقباً.

– كل ما قلته لي.. نظرياتك.. نظرية الجبس!!.

إن عقلي هو «الجبس» لأنه صدق مأفوناً مثلك وبنى قصوراً على رمال نظرياتك وليس على جبس كما تدعي، وجاء الموج ومعه الماء ليحطم القصور وأخذ في طياته حبات الرمال.. وأخذ معه قلبي وأذاب عقلي أيها القفل!!.

وحين علمت شلة الأصدقاء بهذه الحادثة، أخذوا يتندرون بها ليل نهار وهم يضربون أكف بعضهم ببعض ويضحكون بملء فيهم وهم يرددون: صدق من أسماك قفل!!.

قصة قصيرة

بقلم: جهاد عبد الجبار الكبيسي



هسيس كالأزيز. يثقب سمعي. يخترقني. في هدأة الليل. يحوم حولي بإصرار مستفز. أتابعه بعيني المتداورتين. ينقض قريباً من وجهي ويبتعد. يحط على المتعرى من جسدي. أهشه، يطير ويعود. أتأوه ملتاعاً. لا يأبه. يزرق خرطومه ويرتشف.

متى تكف؟ تعبت. أرحني. عذبتني كثيراً. لليل طويل وأنا أرق. أنّى لعينيّ أن تغمضا، وأنت تلاحقني؟ كفاك ما استلبته مني، ومن أفجعتني بهم. دعني أنام.

تقلبت. حككت. مددت يدي لأكثر من موضع. تلطخت أصابعي بالدماء. انتفخت وتورمت أجزاء من جسمي. قاومت في البدء، تصدى وأعند. تحايلت، لاحقني. مصراً على استنزاف دمي.

بكل الحلول توسلت. ما أجدت وسيلة. كلما ظننته سلى، لقيته تلقائي أعتى. تفكرت. ساءلت نفسي... قنعت ألا فكاك من أسره. على دمي حياته متواصلة.

انتفضت من نومتي على لسعته. تصابرت أول الليل على مضايقته. تحملت كثيراً. كرهت الليل لأجله. أحببت النهار. في لحظات غفوتي تمكن مني. استلب الدم والنوم والراحة. وطّدت نفسي لعذاب آت. يطول طول الليل.

ألفته تلقاء عيني. يطأ بأرجله أنفي. لبثت. لم أتحرك ولم أرمش. تأملته. مستسلماً كنت. ضرب بمؤخرة رجله أنفي. عاود الضرب. بالجَلَد تمسكت.

ما من جدوى في مواجهته. بالخبث يتحرك. ما نفع الشجاعة؟.

تبادلنا النظرة. أدركت عجزي وجبروته. ضعفي وعناده. لا جدوى في عظَم الحجم. الجسد لإنسان. والعدو حشرة. فكرت بمحاورته. تكشفت عقم المحاولة. موؤدة هي اللغة بيننا. تقايضنا. أسلمته جسدي. تسلمت غمده. بنصل الفتك يتسلح. تبشّعت بعيني آلة الزرق من فيه. مخدع أنت يا مظهر. الخرطوم أوهى من شعرة. جلدي أصلب من حائط. لكنه يخترقه.

كتمت فيّ الآلام. لعل النزف يُقنع. علّه يشبع. علّه يسلمني لراحة. خاب الرجاء. الكلب لا يسكن إذا استعر.

تشاغل عن مواجهتي بامتصاص دمي. أتاح لي تأمله. الرأس القميء مستودع موت. العينان المترجرجتان فما جرحين في جسدي الموجوع. الخرطوم المشرع مسبر غور ينكش قاع الوجع العميق.

احتمل قدراً أكبر من قدراتي. قدر لا أملك لدرئه شفاعة. أكبر مني. من إمكاناتي. تغشاني كما الآخرين.

يمتص دماً يرشح حقداً. يمتص دماً يرشح غلاً. يمتص دماً يرشح جبروتاً. يمتص دماً يرشح موتاً. في لحظة يأس أتوهم أن دماء جسدي، وإخوتي، وعشيرتي، لن تروي ظمأه. أنظر في وجهه. آمل ملمح فرج، بارقة خلاص. أن يقنع أو يشبع، ليس ذلك ما يعنيني. فقط خلاص من هذا الكابوس كل ما أرجوه وبه أحلم.

ثانية أنظر في وجهه. أتأمل قسماته، يمتلئ. يتورد، ينضر. كم من دماء عببت حتى تورّدت؟!. يتناهى إلى سمعي هسيس تجشؤه، وهو يرفع رأسه. يعاود إيلاج خرطومه. تتقلص مسام بشرتي رافضة متضجرة. يهز رأسه غير قانع. يتوهم نضب المعين. يقفز إلى شفتي. يطأها بأرجله. يشرع بتحسس موضع ضعف. تنفرج الشفتان. ينبعث من جوف في صوت خافت يصدره اللسان وجلاً وهو يحتمي بسقف الحلق.

ـ لأ.

يهتز الموقع تحت أرجله مصاحباً نطق اللفظة. يرعش أجنحته غضباً. يضرب بأرجله. يحاول دس الخرطوم. ينتدب اللسان،



يطل برأسه من بين الشفتين محتجاً .

ـ ثانية ؟

لا يأبه لتأوهي يقفز إلى خدي . مواجهة العين يكون . يزرق خرطومه . يمضي يترع دمي . أستكين للتعذيب . التعذيب المتجدد كل ليلة .

يتوقف ، يفرك يديه منتشياً . يرمقني بنظرة . ألمح فيها سروراً متشفياً . ينساب الدم من جرحي . يخوض بأرجله فيه . لا أعذب من مرأى الدم له .

ما من عضو في جسدي إلا ثقبه . لا موضع إلا امتص دمه . امتلأ جسمي بالأورام . كل بقعة ناتئة من جلدي قبر لعشرات الضحايا من الكريات البيضاء . نثر جراثيمه بمجرى الدم . أفشى وباءه في سائر أعضائي . أرق عيني . اقض مضجعي (من تظن نفسك ، لترى فيها مدار الكون ؟ المفتدى من قبل الكل ؟) . الدم ليس وجبة غذاء عنده . بل شهوة . امتلأ صحة ، تورد عافية . لكنه أبداً لا يقنع .

وإلا لكفته ارتشافة . يمتص أضعاف حجمه . يجرح لأجل الجرح . كالعقرب ، وكالأفعى . ككل حيوان حقير . الأسد على عظمته واقتداره لا يقتل ، ولا يسفك دماً إلا إذا جاع . أما هذا فيسفح دم حتى من لا يؤذيه . أي سر وراء إصراره ؟ أتراه ـ من حيث لا ندري ـ محاولة إثبات وجود ؟ يتوالد ويترعرع وسط مياه عفنة عطنة مذمومة . فإذا واتته الفرصة ، وتملك إنساناً ، أبى إلا أن ينتهل أطهر ما فيه . أيخفف عن نفسه عقدة نقص تؤرقه ؟ أم ماذا ؟ .

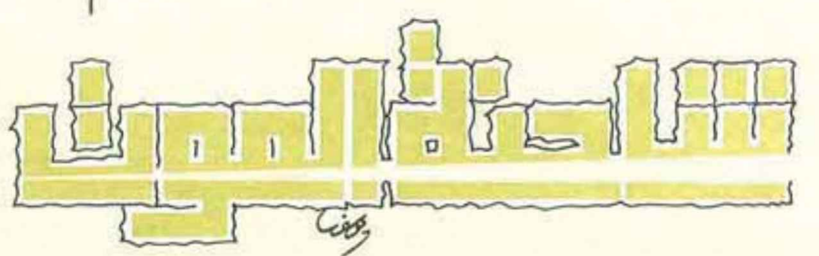
ما يفعله وأشباهه من عشق للدم ، إنما هي شهوة . شهوة للدم وليست أي شيء آخر . العداء فاصل بينه وبين الإنسان . لا مفاوضة ولا مهادنة . يمتص الدم فيكون ، أو يعزف عنه فيموت .

الأمل المتبقى . تطهير المواقع من جراثيمه . ردم البرك العفنة . تنظيف الزوايا المظلمة . لكن هل يجدي التبصير ؟ الناس ، كل الناس تعرف . تعرف هذا ، لكنها صامتة . في كل ليلة يتعذب من أمثالي مئات . كل حين يتساقط العشرات ولا يتحركون . كل ما يمكنني فعله وحدي فعلته . لكن . ماذا تنفع جهودي منفردة ؟ . العمل حتمي أن يكون جماعياً . تتعانق فيه كل الأيدي . لنخلص أرواحنا مما يتهددها .

العين المقهورة مني تتابع فعله . يمضي يمتص دمي . النقطة تلو الأخرى . يتفشى الخدر في خدي . ينداح لوجهي . يتسرب إلى جسدي . أستسلم برغبة عاجز عن مقاومته . يمتص ، يمتص ، يمتص . يحتقن وجهه ، يثقل رأسه . يمتلئ جسمه . يمتص المزيد ينتفخ وينتفخ . لا أعود أراه ، أو كشبح شائه المعالم يتبدى لعيني . يداعبني أمل سرابي . عل أسباب مماته تكون هي أسباب حياته . يتحقق الرجاء . ينفجر . ينبثق الدم منه . يتطاير . يتلطخ وجهي بالدماء .

تنداح الفرحة بي . تشيع بأعماقي راحة . الليل بالرحيل يؤذن . والفجر ببشائره يلوح . أطبق أجفاني . أسلم نفسي لحلم أثير . أن يلقى غيره ذات المصير .

بقلم: جمعة محمد غلاب



شاحنة الموت

جاءت من بعيد زاحفة، عبر الضواحي، مندفعة اندفاعة فورة غضب لبركان، لن يستطيع أحد أن يوقفها، المسافات تطوى وقد قاربت نهاية الطريق، يخيم الصمت عدا صراخ الطلقات.. وبين الحين والآخر، صوت انهيار طابق من مبنى أصيب بقذيفة طائشة، الدمار يحيط كل شيء، قراصنة الموتى تتزاحم حول الجثث الملقاة في كل الشوارع، قناصون خلف بعض السواتر تصوب نحوهم الطلقات في مباراة للإجادة، العفن ظلاله على كل شيء، المتاجر، الحوانيت، ودور اللهو، غمز دواسة البنزين في محاولة للإسراع بها، انطلقت عبر كل الأشياء تطوي الحد الفاصل بين الحياة والموت.

سحق ما تبق من اللفافة قبل أن تحرق فمه، أرهف سمعه لأصواتهم، من بعيد بعيد ينادونه، حاول استبعاد الغلالة الضبابية التي تحجبهم، جذبته الأيدي خلف الغلالة إلى عالمهم ولكنهم يبتعدون، الصراخ يعلو ويعلو، الخيام تحترق، وأمطار الرصاص تخترق الأجساد، حاول أن يستغيث، احتبس الصوت، الخناجر تبقر البطون، الأشلاء تتمزق تتبعثر يدمرون كل شيء، رأى جاره الشيخ الجليل ينشطر جزءين عندما حاول التصدي في محاولة لمنع ابنته من الاغتصاب، رجال مكتوفو الأيدي من خلف يساقون إلى حتفهم حرقاً، نساء مزروعة على الأرض تغتصب ثم تقتل، أشلاء يرقصون بها ويصرخون صراخ الانتصار، كلاب كلاب، الفزع يجتاح كل شيء، الدبابات والعربات الثقيلة تسحق الوجوه، جنود يحفرون حفر كبيرة ويلقون فيها بالأطفال ويهيلون فوقهم التراب أحياء، النيران تلتهم الخيام في محاولة لطمس معالم المذبحة، حاول الإسراع لإنقاذهم، ارتخت العضلات وأصيبت بالشلل، بشاعة الرؤيا دفعت بمحتويات أمعائه، انسحبوا إلى عالمهم، عاد على إثر الغثيان المريع إلى عالمه، كاد أن يصطدم بعمود للإضاءة، انحرف بالشاحنة يساراً ثم يميناً وسار بها في خط مستقيم نحو الهدف، حاول أن ينظف ما خرج منه بعد أن تحكم في عجلة القيادة، استشاط غضباً بعد خروجه من كابوس المذبحة التي كان من ضحيتها زوجته وأبناؤه وخير معارفه، لم يقترفوا ذنباً سوى هويتهم «فلسطينيون»، كان يردد هذا كلما خرج من براثن الكابوس.

أوقف الشاحنة وهبط منها، ثم سافر بناظريه في



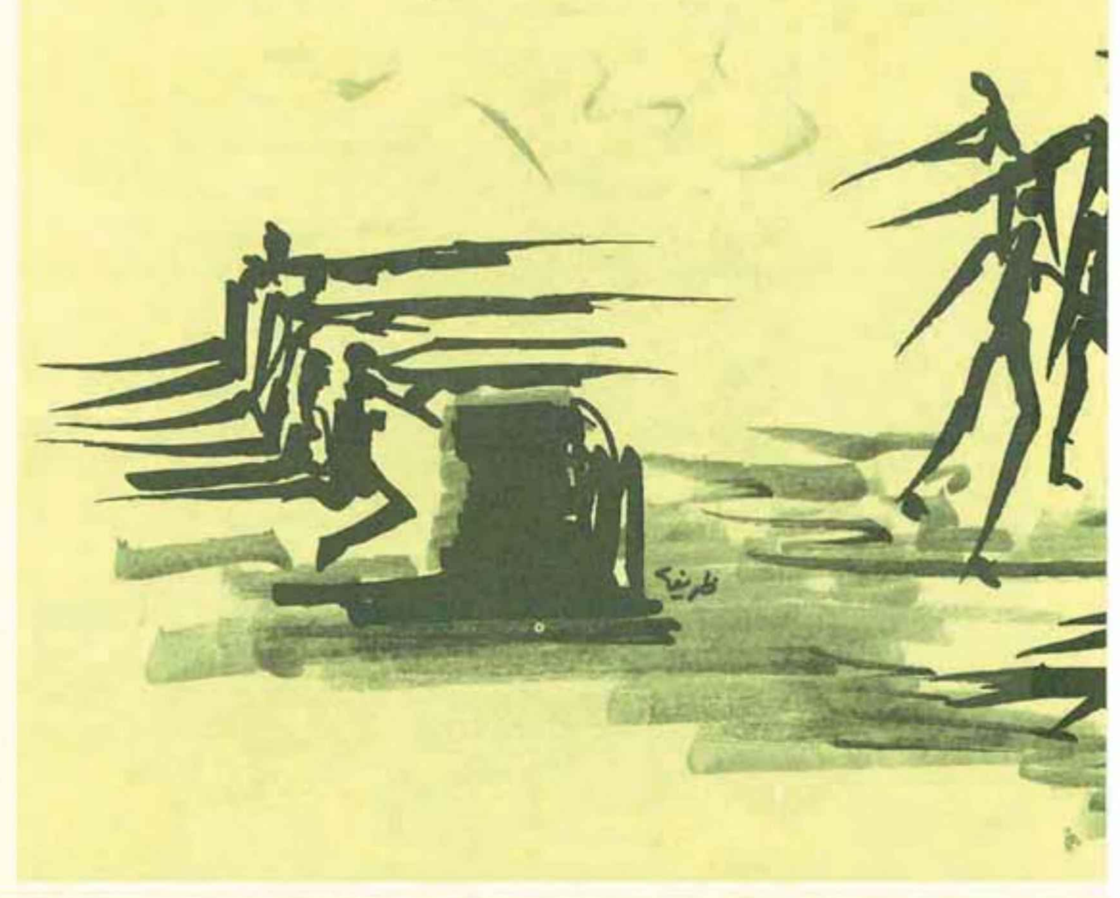
أنحاء البلد الذي كان منارة سياحية كبرى ، ثم أضحى أرضاً يباباً تنعق بين جوانبه الغربان السود ، أشجار الصنوبر والدوح ، تغريد الشحارير ، الضيعات العامرة ووجوه الحسان ، المساجد ، الكنائس ، زحف عليها جميعاً الدمار ، أفاق من سرحته وصعد إلى



الشاحنة وأدار مفتاح التشغيل ، ثم غمز بقدمه دواسة البنزين وأخذت الشاحنة طريقها . كانت الساعة تقترب من السادسة عندما أشعل لفافة تبغ ، ألقى نظرة أخيرة على محتويات الشاحنة وتذكر شيئاً كان لا بد من تذكره . أوقف الشاحنة ثم هبط منها بعد أن أخرج من

جيبه قلماً ، كتب على الصناديق التي تحملها إلى شهداء صبرا وشاتيلا ودير ياسين تحية ثأر لعلها لن تكون الأولى ، عاد مرة أخرى إلى مكانه خلف عجلة القيادة وانطلق في اتجاه الهدف بينما أصوات الدفوف وزغاريد الفرح تستقبله في أبهى احتفال .

روت وكالات الأنباء تفاصيل الحادث ، فقالت إن عربة يقودها رجل واحد على الأرجح اندفعت في الساعة السادسة صباحاً عبر بوابة مركز عسكري إسرائيلي في مدينة صور ، يضم مقر الحاكم العسكري ونقطة لاستجواب المعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين ، وقد حاول رجال الأمن الإسرائيلي منعها من اقتحام المركز دون جدوى ، ودوى الانفجار الرهيب ، وتحول البنيان إلى كومة من الأنقاض ، وكانت الجثث تتناثر في كل مكان ، بينما لف الدخان والغبار المنطقة كلها في خيمة من الظلام .



على رصيف الميناء

بقلم: مصطفى عبد الشافي

الجو عاصف ، والبحر هائج مزبد ، تتناثر أمواجه متلاطمة ، فيرتفع الماء عالياً ملقياً رذاذه على الرصيف . أما هو فكان يجلس عالياً بعيداً عن ثورة الماء ، لكن الثورة داخل نفسه تتصارع كأمواج البحر ، والقلب بمشاعره يتأرجح كالسفينة في مهب الريح . كانت أمامه على صفحة الماء سفينة تتأرجح ، نظر إليها وهي تواجه الرياح العاتية ، والأمواج الصاخبة ، وضوء الفنار يتساقط على الماء كشعاع ممتد ، يمتد تفكيره في ... أمنيته في الحياة . يفكر كيف؟ يفكر بماذا يقربه من قلبها ، فهو ما زال متعلقاً بها يتمنى الاقتراب من بابها ، تقترب السفينة من باب البوغاز ، والموج يتلاطم بالبدن فيتراجع الماء والقبطان يحاول الوصول إلى بر الأمان .

تذكر آخر مرة رآها بابتسامتها ، كانت في أجمل ثيابها ، ووجهها كالبدر يشع نوراً من حوله ، فتمتزج الأنوار بأنوار الفنار .. والضوء المنبعث شعاعه يتجه رويداً رويداً إلى سطح الماء ، إلى السفينة التي تصارع الريح والأمواج .. حدث نفسه قائلاً :

ـ «هذا القبطان عنيد رغم شدة الرياح وتلاطم الأمواج ، وما يمكن أن يحدث من عواقب الأمور ، لكنه يحاول المرور لدخول الميناء» .

الليل ساكن ونفسه في حيرة بين يأس ورجاء وظنون ، قد يطول الليل أحياناً عليه فيشعر كأنه دهر طويل ، وأحياناً يمر كالشهب . يمني النفس بشقة خالية ، فتدور النفس في متاهات الطريق ، تدور السفينة في دورة غير عادية ، والقبطان لا حيلة له ، فيدير الدفة إلى ناحية أخرى حتى يتبين موقفه ، وكيف يكون تصرفه ، والأمواج تعلو وتهبط فترتفع السفينة وتتلاطم مع الأمواج ، تتلاطم الأفكار داخل نفسه ، فيحاول أن يقرر شيئاً لكنه متردد .. ودائماً متردد خصوصاً في مثل هذه الأمور فقلبه لا يهدأ ، شقة خالية ، هاها ، يضحك في سخرية .



يجازف القبطان ويتجه ضد الريح ، ويتعاون معه الجميع للخروج من هذه الزوبعة ، يتهيأ للمرحلة المقبلة من عمله ، يتذكر ما قيل له عن مقدم الإيجار خمسة آلاف قالها السمسار ، يشعل سيجارة محاولاً أن يبعد الأفكار عن مخيلته ، لكن كيف يبعد الإنسان عن نفسه ودنياه ، صورتها أمام عينيه ، إنها جميلة غضة ، صدرها كأنه موج عظيم ، صوتها له رنين ، شعرها مسترسل أسود حريري الملمس يتماوج كالموج فيعطي انعكاسات كالضوء المنعكس على المرآة .

يحدث نفسه :

ـ لماذا؟ لا يمكن ، الحب ، ماذا أنتظر؟

تتعانق الأشياء ، والدخان المتصاعد من سيجارته يدور في حلقات فتزيد من تفكيره .

تقترب السفينة من الميناء ، يتفادى القبطان الاندفاع فيهدئ من سرعة محرك السفينة خوفاً من الاصطدام ، يتنهد في جو زادت برودته فيشد معطفه على كتفيه ، ويبحث عن علبة سجائره لكنه لا يتذكر أين وضعها؟ ، تعبث أنامله بالمحتويات التي بجانبه . أخيراً يعثر عليها ، يخرج سيجارة يشعلها ونفسه لم تهدأ بعد .

سأل نفسه :

ـ أيكون حباً من طرف واحد؟ .

يبصر لنشاً قادماً يقترب من السفينة الكبيرة ليرشدها . يهدأ قليلاً ، يهتدي تفكيره إلى قرار بعد طول انتظار ، فيشعر كأنه البرج العاجي الذي يجلس فيه أصبح من نور ، والقمة الشاهقة تغزو السحاب ، وشعاع الفنار من فوق يصل إلى مكان طالما تمنى أن يصل إليه .

وترسو السفينة بالميناء . تهدأ النفوس ، يصافح كل منها الآخر .



بيرم التونسي في ذكراه

(١٨٩٣ ـ ١٩٦١م)

بقلم : جـلال العشري

شعره يزداد سمواً كلما ازددنا فيه إمعاناً ، وفنه يزداد عمقاً كلما توغلنا فيه إلى الأعماق .. ذلك لأننا نلتقي في شعره وفنه بعالم كامل من الناس والأشياء والأحداث .

هذا ، وبيرم التونسي لم يكن زعيماً ولا كان ثرياً ولا كان مرهوب الجانب ، بل كان ككل نابغة وكل عبقري داعية تؤذيه دعوته حتى لتحرقه ، ومن هذا الأذى ومن ذلك الاحتراق ، تتعطر الحياة بأريج تلك الدعوة ، وتزداد بهذا الأريج شعوراً كلما ازداد عطر الاحتراق والأذى ذيوعاً وانتشاراً !

نعم .. لم يكن بيرم التونسي زعيماً ولا ثرياً ولا مرهوب الجانب ، بل كان شاعراً وزجّالا وكاتب فوازير ومؤلف أوبريتات .. كان عمله في الحياة أن يبث السرور والنشـوة في نفس الجمهور ، ثم لا ينـاله في أكثر الأحيـان مـن السلطة الحاكمة غير السخط والازدراء ، غير التشرد والنفي ، غير الفقر والقهر ، غير الجوع والدموع . ولكن الزمن الدّوار ، الذي يصهر تراث الماضي فيستخلص جوهره ، لم يجد في بيرم التونسي إلا جوهراً يشع في المستقبل إلى عصور وعصور ، فلا تزداد إلا تطلعاً إليه ، وإعجاباً به .

هذا الزمن هو الذي وجد في تراث بيرم التونسي .. فناً وشعراً ، فأقام له من المجد ما عبر عنه عملاق الأدب العربي **عباس محمود العقاد** بقوله : **« إن الزمان ضنين بأمثال هذه العبقرية .. لا ينفق منها بغير حساب »** .

تاريخ من الجوع والدموع

وإذا لم يكن بيرم التونسي زعيماً ولا ثرياً ولا مرهوب الجانب ، فليس في تاريخ حياته ما يستلفت النظر إلا أن يكون طبعه الثائر على القهر والظلم والاستغلال وروحه التواقة إلى كل معاني الحق والخير والجمال .

ومع ذلك فقد كانت حياته مرتبطة بأعماله أشد ما يكون الارتباط ، بل إن ما صادفه في تلك الحياة من مهازل ومآسي ، يكاد يكون هو المسؤول عن كل ما كتب ، حتى أننا لا ندري إن كانت حياته هي مرآة شعره ، أم كان شعره هو مرآة تلك الحياة !

كان ذلك في صبيحة اليوم الرابع من مارس (آذار) سنة ١٨٩٣م ، **في حارة السيّالة** إحدى حواري **الإسكندرية** ، عندما أطلق الوليد الجديد أولى صرخاته . وكانت الدار لأسرة تونسية ، وفد عميدها الأول من **تونس** إلى الإسكندرية في النصف الآخر من القرن الماضي ، ولما كانت صناعته هي نسيج الحرير ، فقد أقام لنفسه منسجاً صغيراً في **سوق المغاربة** ظل يعمل فيه حتى انتقل إلى رحمة الله .

وخلفه ولده **الحاج محمد مصطفى** في مهنته هذه ، إلى أن رزق بوليده « محمود » الذي كان مقدراً له أن يخلفه في تلك الصناعة ، ولكن وفاة الوالد نفسه ، ولما يبلغ الولد الرابعة عشرة من عمره ، غيرت من اتجاه هذه الحياة .. وكان كل ما حصله من **مدرسة الرشاد الابتدائية** بحي السيالة ، حفظه لأجزاء من القرآن الكريم ، وتعرفه على شذرات من التراث العربي ، وهاتان هما الدعامتان اللتان اعتمد عليهما بيرم التونسي في ولوجه عالم القراءة والكتابة !

أما دروس الحياة ، فقد تعلمها من **« المعلم الشريدي »** زوج أمه بعد وفاة والده ، وكان تجاراً يقوم بصنع هوادج الجمال ، وينتمي هو الآخر إلى أصل مغربي ، ولقد حاول أن يلحقه بعدة أعمال ، لكنه لم يمكث في أحدها طويلاً ،



ومع ذلك ، فقد كان « المعلم الشريدي » هذا أحد الأساتذة الذين تركوا أثرهم في تكوين الشاعر ، وفي تلقينه أولى الدروس العملية في الحياة .

« هذا الرجل لقّنني درس الحياة الأول . . ولذلك فأنا إذا انسد أمامي باب نفذت من الكوة . . وإذا استعصى عليَّ الاثنان ، انزلقت من تحت عقب الباب » .

وهذا ما حدث له بالفعل بعد أن ماتت أمه ، وانقطعت صلته بذلك الرجل ، وكان في السابعة عشرة من عمره ، فافتتح محلاً للبقالة في حي السيالة ، بالمال الذي ورثه عن والدته ، ومن وراء منضدة البيع ، كان يعكف على قراءة أوراق الكتب من بيضاء وصفراء ، كما كان ينصت إلى أحاديث أبناء الشعب ، وقفشات فتوات بحري وتعليقاتهم الصريحة على ما يسمعون من أحاديث الجيران والجارات .

وأفلس دكان البقالة ، فلجأ بيرم إلى بقية الميراث ، ليشتري بيتاً صغيراً بذات الحي ، ويفتتح دكاناً آخر لتجارة « السمن » بالصفائح ، ويجد مزيداً من الوقت للقراءة والاطلاع والاستماع إلى أحاديث طلاب معهد الإسكندرية الديني الذي كان يقع بالقرب من ذلك الحي .

ومن هؤلاء الطلاب عرف أسماء لامعة في الأدب العربي القديم . . عرف أسماء : **أبي الفرج الأصفهاني** وكتابه « الأغاني » ، **والثعالبي** وكتابه « يتيمة الدهر » ، **وابن عبد ربه** وكتابه « العقد الفريد » ، **وبديع الزمان الهمذاني وناصيف اليازجي والحريري** وما خلّفوه من مقامات ، وغير هؤلاء من أعلام البيان الأدبي وفحول اللغة العربية .

ويُروى أنه في تلك الأثناء قرأ « رسالة الغفران » **لأبي العلاء المعري** في مسجد الشاعر « **البوصيري** » الكبير الذي يطل على شاطئ البحر بالإسكندرية .

ولقد لخص بيرم التونسي تلك الفترة من حياته بقوله : « بدأت حياتي في مدرسة الرشاد الابتدائية بالإسكندرية ، وفي سنوات الشباب غرقت في بحر الأساطير الشعبية ، وقرأت **ألف ليلة وليلة** ، وقرأت التراث كله . . وروح الهجاء التي اتسمت بها أزجالي ، سرت لي من أشعار **ابن الرومي** وأزجال **محمد توفيق** صاحب جريدة « حمارة منيتي » التي كانت تصدر عام ١٩١٢ م ، وكان الخديوي **عباس** يؤجر صاحبها ليشتم « الشيخ محمد عبده » .

حياة بين النفي والاغتراب

وتراءى للشاعر أن ينتقل من عالم القراءة إلى عالم الكتابة ، وأن يصدر مجلة ينفق عليها من بيع المنزل الذي كان يملكه ، وصدر العدد الأول من **مجلة « المسلة »** في ٤ مايو (أيار) عام ١٩١٩ م ، مواكباً لفترة المد الحضاري التي عاشتها مصر في تلك الفترة ومعبراً عن مرحلة المخاض السياسي والاجتماعي والثقافي التي شهدتها البلاد فيما بعد تلك الفترة .

وفي العدد الثالث عشر من « المسلة » نشر بيرم التونسي زجله المشهور الذي عرض فيه **بالسلطان فؤاد** وأسلوبه في الحكم والحياة ، فصدر الأمر بإغلاق المجلة ، ولكنه راح يكتب **أوبريت « شهرزاد »** ويصدر مجلة جديدة سماها **« الخازوق »** هاجم فيها محافظ القاهرة في مقال ونشر زجلاً جديداً تعرض فيه لمولد فاروق ، فصدر الأمر بنفيه خارج مصر في ٢٥ أغسطس (آب) عام ١٩٢٠ م ، وكان قد بلغ من العمر ٢٧ عاماً . ومن سنة ١٩٢٠ م ، حتى سنة ١٩٣٨ م ، عاش بيرم التونسي سنوات النفي والاغتراب ، حيث تنقل من تونس إلى **ليون** إلى **باريس** إلى **دمشق** إلى **بيروت** إلى **السنغال** ، وفي كل هذه البلاد عانى جراح الألم ، وذاق مرارة العذاب ، وزاول كل مهنة لكي يحصل على القوت الضروري .

وفي سنة ١٩٣٨ م ، تصدر السلطات الفرنسية أمراً مفاجئاً بإعادة بيرم من سورية ولبنان إلى فرنسا مرة أخرى ، ويركب السفينة المتجهة إلى **مرسيليا** ، لكنه عند وصوله إلى ميناء **بور سعيد** ، يقرر الهروب إلى أرض الوطن .

ويحكي بيرم التونسي ذكرى ذلك اليوم ، قبل أن يموت بسنوات ، والدموع تترقرق في عينيه : « **عندما وقفت الباخرة في ميناء بور سعيد ، تحت أحد الجبوطية فقلت له : الواحد يقدر يتفسح ؟ وفهم قصدي بسرعة ، وقال « امشي ورايا » وقبّلت تراب بور سعيد عندما دست عليه ، وأعطيت الجبوطي سبعة ريالات مكافأة على أدائه هذه الخدمة ، ثم جريت إلى المحطة ، وركبت القطار ووصلت القاهرة بعد ٢٠ عاماً في المنفى !** » .

وبعد مفاوضات شاقة توسط فيها **محمد محمود باشا** رئيس الوزراء **ومحمود فهمي النقراشي** وزير الداخلية **وأحمد حسنين باشا** كبير رجال السراي ، وكانوا جميعاً من المعجبين بفن بيرم التونسي وأدبه ، سمح له بالبقاء على أرض الوطن ، وكان أن بدأ يستأنف حياته الفنية من جديد .

وكتب بيرم حوالي ألف قصيدة بالعامية ، ونصف ألف قصيدة بالفصحى ، ونصف ألف أغنية عاطفية ووطنية ، وعشر أوبريتات مسرحية ، بالإضافة إلى اشتهاره بذلك الفن الطريف من فنون القول ، الذي عرف بفن كتابة « الفوازير » .

وفي غمار كل هذه الكتابات ، نسي بيرم التونسي أن يحيا حياته ، أو بالأحرى لم يعش حياته كما يفعل سائر الناس . ولكنه كتبها . . أحالها إلى مداد . . إلى حبر وورق . . وراح يريق دمه يوماً بعد يوم قطرات على حروف

المطبعة ، فالسعداء ، كما يقول لويجي **بيراندللو «لا يجدون وقتاً للكتابة» !**

تفصيح العامية !

كان مقدراً لبيرم التونسي أن يكتب شعره بالفصحى ، وأن يكون في عداد كبار شعراء الشعر الفصيح ، وما كتبه من شعر فصيح لم يعرف كله ، وكل ما عرف منه هو جانب الشعر الفكاهي ، الذي استخدمه في التعبير عن مشاكل المجتمع ، وليس أدل على ذلك من قصيدته الأولى التي نشرها وهو لا يزال في الرابعة والعشرين من عمره ، بعنوان « **المجلس البلدي** » الذي كان قاسياً في معاملة الجمهور الإسكندري ، يفرض عليه القيود المكبلة والغرامات الباهظة ، ويحجز على بيته القديم الذي ورثه وكان يعيش مع زوجته على إيراده :

قد أوقع القلب في الأشجان والكمد

هوى حبيب يسمّى المجلس البلدي

ما شرد النوم من جفني القريح سوى

طيف خيال : خيال المجلس البلدي

إذا الرغيف أتى فالنصف آكله

والنصف أجعله للمجلس البلدي

أقول حتى لو أني في الطريق أرى

قرشين : ذا لي وذا للمجلس البلدي

كأن أمي بلّ الله تربتها

أوصت وقالت : أخوك المجلس البلدي

وتمضي القصيدة على هذا النحو ، وبيرم يلتزم فيها بعبارة « المجلس البلدي » يختم بها كل بيت ، مما جعل كل بيت فيها كما يقول الشاعر **عبد العليم القباني** مبنيا في معناه على القافية مرتبطاً بها ، وليس مبنياً على وضعه من سائر القصيدة ، وبذلك أصبح معنى كل بيت مستقلاً بذاته .

وقد عني أن يكون كل بيت عبارة عن « قفشة ذهنية » أو « نكتة ساخرة » أو صورة فكاهية . وفي ذلك كان بيرم التونسي في ذروة الإجادة .

ولكن بيرم يترك هذا كله ويتجه إلى العامية ، فإذا تساءلنا .. ولماذا ؟ .. كانت إجابته على الوجه الآتي : « **استوعبت دراسة الأدب العربي من أقدم مصادره ، وشربته من أصفى ينابيعه ، درست البلاغة وعلوم اللغة وفقهها ، وكنت أظن أنني سأجتر هذه الثقافات العربية الصميمة في صقل استعدادي وموهبتي الشعرية .. إلا أنني شهدت في مطلع حياتي صرعى الشعر وأشلاء الشعراء تحت أقدام المشعوذين ، وشذاذ الآفاق والمتجرين في سوق الأدب الفارغ ، والكلام الساقط ، واللغة الدارجة على أرض خبيثة .**

ثم تعاقبت المحن الثقال مع الليالي الطوال ، فأخذت المجاعة بخناقي وخناق الأطفال ، وتلقيت وحشة الاغتراب ، ونكد المرض ، وفقدان الأوطان والإخوان ، وضراوة المجاعة في بيت لا يؤنس بقايا الآدميين فيه إلا الأنين والدموع والأنفاس اللاهثة ، فلم ار أن أضيف إلى هذه المحن القاصمة محنة الشعر .. فتركت ثقافتي واستعدادي وموهبتي الشاعرة ، أمانة في ذمة الأيام ، إلى الزجل .. أنظم به المسرحية والموال والأغنية ، وكم استأجرني كل دعي ومتسلق .. لقاء منحي القليل من الإثابة والمكافأة التي أجابه بها شظف العيش ، وخشونة الحياة » .

ترى أي معاناة تلك التي تكمن وراء هذه الكلمات ، والتي تكشف في وضوح مدى قسوة الحاجة التي دفعت بيرم التونسي لأن يترك ثقافته واستعداده وموهبته الشاعرة ، أمانة في ذمة الأيام .. إلى الزجل يكتب به الأغنية والمسرحية والموال ، فيصعد على أكتافه كل دعي ومتسلق على حد تعبيره .

أي فصحى .. وأي عامية ؟

الواقع أن بيرم التونسي اتجه ذلك الاتجاه ، حتى يستطيع أن يأمن ضراوة الجوع في مجتمع اتجهت فئات كثيرة منه إلى الملاهي العامة يتلمسون فيها الترفيه والرفاهية ، لقاء ما عانوه من قسوة وحرمان خلال الحرب العالمية الأولى ، دون أن يمنع ذلك من وجود تيار وطني يتمثل في مشاهد بعض الروايات والاستعراضات التي كانت تعرض في ملاهي تلك الفترة ، ودون أن يتعارض أيضاً مع وجود التيار الوطني الذي ساد المجتمع المصري في ثورة ١٩١٩ م ، وفي أعقاب تلك الثورة .

هذا الاتجاه إلى الزجل أو إلى شعر العامية هو الذي ساعد بيرم التونسي على أن يقترب أكثر وأعمق من وجدان الجماهير ، فيأخذ منها ويعطيها ، يستلهمها ويعبر عنها ، يصدر عنها بالحب ولا يصد عنها بالتعالي ، حتى صارت كلماته أناشيد يتغنى بها الناس في كل بقعة من بقاع وادي النيل !

وبينما كان بيرم التونسي خبيراً بشعر العرب ، وبما يصنعه رواة الشعر العربي ، فقد أراد لشعره أن يكون قريباً من المفهوم الشعبي ، معبِّراً عما يعتمل في وجدان الجماهير .. فجاء زجله شعراً بالعامية .. سواء في أغراضه ومعانيه ، أو في صوره وأخيلته ، أو حتى في كلماته الخاضعة لقواعد اللغة .

ولم يكن يرى أي تناقض بين حبه للفصحى وبين استعماله للعامية ، بل على العكس من ذلك ، كان يرى أن أزجاله يمكن أن تعقد صلة أوثق بين العامية والفصحى .

ولكن اي فصحى ؟

إنها ليست تلك الألفاظ المهجورة التي تزخر بها الكتب الصفراء ، أو العبارات الجامدة التي لا تتطور بتطور العصور ، ولكنها اللغة الشبيهة بالكائن الحي الذي يتغذى على الثقافة الحديثة ، ويرتوي بمياه الحياة العصرية ، وينمو نمواً متصلاً مع انتشار التعليم ، وبذلك تجري على ألسنة الناس ، ويتخاطب بمفرداتها الجميع .

وأي عامية ؟

بيرم التونسي

إنها ليست اللغة السوقية التي يتعامل بها بسطاء الناس ، والتي تنمو في الأرض المهملة كما تنمو النباتات الطفيلية ، ولكنها عامية الألفاظ المشرقة ، والعبارات الفصيحة ، والمعاني البسيطة الموحية ، التي تشيع الحيوية في اللغة الفصحى ذاتها ، فتجعلها في متناول الجميع .

وهذا ما عبر عنه بيرم التونسي بقوله : « **إننا لا ننزل إلى العامة لنجاريهم في السفاسف ، بل نرفعهم إلى أبراجنا العاجية** » .

وهناك فرق كبير بين الترفع على الجماهير ، وبين الارتفاع بذوق الجماهير ، فعند بيرم التونسي أن حكاية الترفع هذه تخفي تحتها حقيقة واضحة ، هي « العجز عن الكتابة بالعامية » فليس من الأمور الهينة تحويل لغة العامة إلى مستوى لغة الأدب الرفيع .

وهذا هو ما جعل عميد الأدب العربي **الدكتور طه حسين** ، يذهب إلى أن أزجال بيرم التونسي كانت فصيحة ، والفصاحة هنا بمعنى وضوح اللفظة وإشراق العبارة ، أو كما قال : « إنني كنت ـ ولا أزال ـ من أشد الحاملين على اللغة العامية دفاعاً عن اللغة الفصحى ، ولكن أزجال بيرم التونسي كانت تجذبني إليها ، وتغتصب إعجابي اغتصاباً ، بما امتازت به من فصاحة وبلاغة في ألفاظها ومعانيها » .

وهذا نفسه هو ما جعل عملاق الأدب العربي .. **عباس محمود العقاد** ، يرى أن الطريقة التي كان يكتب بها بيرم التونسي ، أو بصورة أوضح ، اللهجة العامية التي اتخذها اداته في الكتابة ، لا تتناقض أبداً مع العروبة أو الثقافة العربية ، لأنه لم يكن يكتب العامية ليعبِّر عما هو إقليمي ومحدود ، بل ليعبِّر عن الروح العربية بلهجة شائعة من اللهجات التي يتكلمها العرب في حياتهم اليومية .. فقد كانت آية من آيات بيرم .. أنه كان يفهم السريرة الناطقة بالعربية في بواطنها الخفية ، قبل أن يحكيها بلجهاتها الكثيرة على الألسنة أو على الأقلام .

وكان يلقي الحوار الذي تشترك فيه مجموعة من أبناء البادية والحاضرة ، أو من أهالي المدن والريف ، فإذا كل منهم يتحدث بلهجته الموروثة ويتغنى بنغماته التي توافق تلك اللهجة ، وينتقل من سؤال إلى جواب ، ومن تعبير إلى تعليق ، ومن جد إلى فكاهة ، كأنه جماعة من الناس ، تتعدد أصواتهم كما تتعدد أساليبهم في الكلام ، وفي أنماط الحديث والغناء .

ولم يكن ذلك كله كما يقول العقاد .. من قبيل المحاكاة أو الإعادة الآلية التي يستطيعها الكثيرون ، وإنما كان خلقاً للشخصية المتكلمة ، وللعواطف والأحاسيس التي تكمن وراء الكلمات !

وليس أدل على ذلك من أن بيرم التونسي وهو في نحو الخامسة والعشرين ، كان يمزج في حديثه بين اللهجة الإسكندرانية ، واللهجة التونسية ، واللهجة المغربية ، وبعد أن قارب الثلاثين ، كان قادراً على إبداع الحوار بكل لهجة ينطق بها اللسان العربي من ساحل الأطلسي إلى شط العرب !

ولم يكن ولعه باللهجات الدارجة كما يقول العقاد عن قصور منه في التعبير باللغة الفصحى شعراً ونثراً حين يشاء ، فإن منظوماته العربية من الشعر تسلكه بين النخبة المجيدين من شعراء عصره !

الشاعر فوق المسرح

هكذا اجتمعت لدى بيرم التونسي عناصر البناء المسرحي ، أو بالأحرى عناصر المسرح الغنائي الذي اتخذ على يديه قالب الأوبريت :

١ ـ **المصادر المتنوعة** التي استمد منها موضوعاته المسرحية .. **التراث الإسلامي** كما في أوبريت « يوم القيامة » ، **والمأثور الشعبي** كما في أوبريت « ليلة من ألف ليلة » ، **والأدب العربي** كما في أوبريت « شهرزاد » ، **والتاريخ المصري** كما في أوبريت « الظاهر بيبرس » ، **والفولكلور العامي** كما في أوبريت « عزيزة ويونس » ، **والقصص العالمي** كما في أوبريت « بيتر فلاي » ، **والحكايات الشعبية** كما في أوبريت « طباخة بريمو » ، وأوبريت « سفينة الغجر » .

٢ ـ **الأزجال** أو شعر العامية الذي طوعه بيرم التونسي كأسلوب للأوبريت المسرحي ، سواء في جانب الأغاني أو في جانب الحوار ، والذي ارتفع به إلى أعلى مستوى من مستويات الأداء التمثيلي والغنائي فوق المسرح .

٣ ـ **الشخصيات الحية** والنابضة التي تعبِّر عن نفسها ، وعن طبيعتها ، وعن مكوناتها النفسية والأخلاقية والاجتماعية ، وكأنما هي من إبداع ذاتها ، وليست من إبداعات الشاعر .

٤ ـ **القدرة على تطوير الأحداث** وتنمية الشخصيات وفقاً لتطور مراحل الحدث الدرامي ، أو الحدوتة المسرحية ، وعلى نحو يعبر عن وجدان الجمهور ومشاعره ، بحيث يجيء الأوبريت مرآة عاكسة لصورة المجتمع ، أو لفئة بعينها من فئات المجتمع .

فإذا أضفنا إلى هذه العناصر مجتمعة ، **الحساسية المسرحية** التي اكتسبها بيرم التونسي من خلال معايشته الطويلة لحياة أهل الفن ورجال المسرح ، ومعاناتهم العميقة من أجل ذلك اللون المجيد من ألوان التعبير ، أدركنا على الفور كيف كان بيرم التونسي ، رجل مسرح حقيقة ومجازاً ، وكيف استطاع أن يضع الأصول الأولى للتأليف الغنائي في المسرح ، أو للمسرح الغنائي بوجه عام ! .

إنه إذا كانت قيمة الفن تقاس بمدى تأثيره في وجدان الشعب ، ومدى تعبيره عن حياة الجماهير ، فقد كان بيرم التونسي ، قمة وقيمة معاً ، بين شعراء عصره ، وبين رجال المسرح في ذلك العصر .



ولد فرجيل أشعر شعراء الرومان قاطبة في ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) عام ٧٠ قبل الميلاد ، ولقد تضاربت الأقوال فيما يختص بوالديه ، فقيل إن أباه كان مزارعاً بسيطاً يقوم بزراعة ضيعة صغيرة له وإنه قبل أن يعمل بالفلاحة كان عبداً رقيقاً تمكن من أن يصبح حراً وأن يتزوج بابنة مولاه . كما قيل إنه كان يمتهن صناعة الأواني الخزفية . أما أمه «ماجيا بوليا» فقد ذاع صيتها في القرون الوسطى ، إذ فسروا كلمة ماجيا بالساحرة وجعلوها وابنها أكبر السحرة ، بل قالوا إن فرجيل هو الساحر الذي ولد من هذه المرأة واتخذت أشعاره لاستخراج التنبؤ بالغيب .

بقلم: د. نبيل راغب

كان مسقط رأس فرجيل **قرية آنديز** بالقرب من **بلدة مانتوا بإيطاليا** وبعد أن أصاب قدراً من العلم في قريته نزح ككل الشباب الطموح إلى العاصمة ودرس الآداب اللاتينية القديمة وحفظ منها الكثير . ويبدو أثر ذلك واضحاً في إشاراته ، وفيما نقله عن الشاعر الملحمي **اينوس** وأمير شعراء الغزل **كاتولوس** وشاعر الفلسفة الأبيقورية **لوكريتيوس** . أخذ فرجيل بعدئذ يتعلم الخطابة حال كل الشباب المثقف ــ إذ ذاك ــ بغية الاشتغال بالمحاماة غير أن استعداده الطبيعي لم يكن ليؤهله لذلك ، إذ غلب عليه الحياء والخجل وانتابه فشل ذريع راح ضحيته أول مسكين تولى الدفاع عنه . وقد سجل فرجيل في أشعار له توديعه للخطابة واتجاهه صوب دراسة الفلسفة . ورغم أنه لم يكن يدري بالطبع أن نهاية مطافه هي احتراف الشعر ، والشعر فقط ، فإننا نلمس حنيناً خافتاً ورغبة مكبوتة تتعجل هذا المصير للكشف عن ملكة شعرية أصيلة : «**فلتفرين عني أيتها القوالب الفارغة لمدرسة الخطابة ، إنكن لألفاظ جوفاء خلت من أي جمال يوناني . أما نحن فراحلون إلى الشواطئ السعيدة ننشد الفلسفة الحكيمة للوكريتيوس العظيم ، تلك الفلسفة التي ستخلص حياتنا من القلق . ولتذهبن أيضاً من هنا يا ملهمات الشعر الجميلات . وإن كنتن حقاً لطيفات معي ، ولكن زرنني بربكن . وليكن هذا على استحياء ولفترات متباعدة**» .

كانت الفلسفة الذائعة في روما إذ ذاك هي **فلسفة أبيقور** وكان شاعرها الفرد هو **لوكريتيوس** . غير أن **فرجيل** بعد تحمسه لهذا المذهب لم يجد فيه شيئاً يخلب لبه وسرعان ما انصرف عنه وإن كان قد احتفظ **لأبيقور ولوكريتيوس** بأجمل الذكريات . كان من زملاء فرجيل في الدراسة ومن الجماعة القليلة التي عنيت بالشعر أصدقاء أشهرهم **بالوس** وهو الذي صار فيما بعد حاكماً لمصر ثم وشى به **لأوغسطس** واضطر إلى الانتحار . وقد ساعد هؤلاء الأصدقاء **فرجيل** في النكبة التي حلت به بعد موقعة **فيليبي** عام ٤٢ ق . م . ذلك أنه عقب تلك الموقعة صودرت أراضي كثيرة لتوزيعها على الجند الذين ناصروا **أوغسطس وأنطونيوس** ضد **كاسيوس وبروتوس** في الحرب الأهلية التي اشتعل أوارها عقب مقتل **يوليوس قيصر** ، وكانت بلده **مانتوا** من البلدان التي اتهمت بمؤازرة الجمهوريين قتلة **قيصر** فصودرت أراضيها ومنها المزرعة التي كان إرثها قد آل إلى **فرجيل** بعد وفاة أبيه . وكان أن تشفّع له أصدقاؤه لدى **أوغسطس** فعوضه عنها بمزرعة أخرى في **نابولي** ، وقد نظم **فرجيل** قصائده المعروفة بالرعويات مسجلاً وفاءه لصنيع **أوغسطس** . **إن فرجيل يصف في هذه الأشعار حواراً بين**



راعيين ، أحدهما يستريح في ظل الأشجار هادئاً مطمئناً قد منحه الإله كل ما يصبو إليه من سعادة ، والآخر شريد طريد قد أخرجه جندي غشوم لا يفقه في الزراعة من حقل توارثه عن آبائه : «ها أنت مستلق عند أقدام شجرة تين ظليلة . تشدو في الغابة الحانية بألحان رعوية جميلة ترددها وراءك الأحراش ، أما نحن فشردون من أوطاننا» .

يرى بعض النقاد أن الراعي الهانئ بعينه هو **فرجيل** وأن الإله الذي منحه الهدوء والسعادة هو **أوغسطس** ــ حسب زعمهم ــ غير أن هذا التفسير لم يحز رضاء البعض الآخر الذي يرى أن **فرجيل** لم يكن قد اتصل بعد **بأوغسطس** اتصالا وثيقاً ، وأن لغة الشعر لم تكن قد تطورت إذ ذاك إلى ذلك الحد الذي يقدس فيه رئيس الشعب ، إذ من المعروف أن **أوغسطس** حرم على سكان إيطاليا تقديسه وإن كان قد أباح ذلك لسكان الولايات ، وكان من الممكن للإيطالي المتحمس للإمبراطور أن يقدم القرابين لروح **أوغسطس** فقط . وإن كان هذا الحوار قد حمل النقاد على الانقسام فريقين في الرأي وجعل الناس ، نقاداً كانوا أو رجال دين ، يختلفون أيما اختلاف ، ذلك أن فرجيل يبشر بميلاد طفل سيكون مقروناً بعودة العصر الذهبي الذي نعم به الناس إبان حكم **ساتورنس** . وإذ ذاك سيعم الاستقرار والسلام وتؤتي الأرض أكلها من تلقائها دون مشقة أو عناء : «**العذراء آتية ومملكة ساتورنس الذهبية عائدة بهبوط طفل جديد ، أما أنت يا لوكينا يا آلهة الولادة الطاهرة ، فارع الطفل ساعة ولادته ، إذ به سيغرب عصر الحديد ويشرق العصر الذهبي . إذ ها نحن أخيراً يحكمنا أبولو**» . وقد احتار النقاد فيمن يكون هذا الطفل ، أهو الابن الذي كان الناس إذ ذاك ينتظرون مولده **لأنطونيوس واكتافيا** أخت **أوغسطس** ؟ أم هو ربما ابن **لأوغسطس**

فرجيل

أشعر شعراء الرومان

نفسه ؟ أم كما قال رجال الكنيسة هو **المسيح** بعينه قد تنبأ **فرجيل** بمولده ؟ وليكن الطفل كما يرى أي من هؤلاء . إذ إن **فرجيل** في الواقع قصد أن يصف ما كان يجول بخاطر كل شخص في روما إذ ذاك ، كان الناس يتمنون أن تنقضي تلك الأيام العجاف ، وكانوا يبتهلون إلى السماء بأن تضع حداً لتلك الحروب الطاحنة لينعم الشعب الروماني بفترة من الهدوء . وقد وفق **فرجيل** في أن يعبّر عن الآمال التي كانت تجيش في صدور الرومانيين ، وأن يحلّق بأفكارهم إلى فردوس في ظل **أوغسطس** . لقد اقتفى فرجيل في رعوياته تلك الشاعر الإسكندري **ثيوكريتياس** ، غير أن شعره اتسم بأصالة وإتقان فني لم تكن لتتأت إلا لمن كان ذا موهبة أصيلة صقلت بدراسة فن الشعر وتدرب على قرضه لفترة غير قصيرة .

شاعر روما الأول

بعد كتابة هذه الأشعار ذاع صيت **فرجيل** ورسخت قدمه واعتبر شاعر روما الأول فطلب إليه **مايكنياس** وزير **أوغسطس** أن يوظف شعره في أمر كان **أوغسطس** يوليه اهتماماً فائقاً . لقد تسببت الحروب الأهلية في إهمال مشاريع الزراعة ونقص ضخم في عدد الفلاحين مما جعل الأراضي الزراعية تتكتل في أيدي فئة إقطاعية مترفة قليلة لا قبل لها بمشاق الزراعة . وهكذا تركت الأراضي الشاسعة كمراعي مما اضطر الحكومة الرومانية إلى أن تعتمد في تموين الشعب على جلب الغلال من شمال إفريقيا ومصر ، واستدعى ذلك تنظيم أسطول تجاري ضخم لنقل هذه المؤن وأصبح من يستطيع التحكم في جلب هذه المؤن أن يتحكم في مصير روما . لذا أوعز **مايكنياس** إلى **فرجيل** بأن يكتب في فن الزراعة . فأخرج أربعة كتب تعتبر حقاً آية في الفن ، اهتز لها **بردبرينوس** فوصفها بأنها شيء أعظم من **الإلياذة** وقد سميت أشعار **فرجيل** تلك بالزراعيات ، والمعروف عن الشعر التعليمي أنه لا يعتبر شعراً بل نظماً ، وأنه لا يكفي الشخص أن يأتي بكلام يتطبق على قواعد العروض ليكون ما ينظمه شعراً . فهذا ليس بشاعر بل ناظم . غير أن **فرجيل** شذ عن هذه القاعدة ، لأنه لم ينظر إلى الزراعة نظرته لأفعال جامدة تنبت الحبوب وما عداها ، ولم ينظر إلى الأرض نظرته إلى طين ميت يخرج النبات بطريقة لا شعورية ، وإنما نظر **فرجيل** إلى الأرض على أنها كائن حي ، وأن هذه الأعمال الزراعية إن هي إلا عوامل على مساعدة هذا الكائن لإنتاج كائن آخر هو النبات . وتغنى **فرجيل** بالغلال وأبرز ما في حياة الفلاحين من لذة ومتعة وسعادة . لقد أفلح في أن يتسلل إلى قلوب الفلاحين فحرك أحاسيسهم وأرهف مشاعرهم ، وحلّق بهم في جنة داعب تربتها البكر فتغطت بضفائر من زرع أخضر جميل ، تحتضن في رفق جداول ونهيرات وتحني الرأس راضية لقطيع ماشية كسحب تتهادى على الأرض لا في السماء ، جنات نسيمها عابث ، لا يمل دغدغة سنابل القمح مرة عن استحياء وتهتز مرات عن إعجاب ، جنة أشجارها ضخمة ، لها غصون تتطاول لتسمع السماء همسها ، وغصون آوت طيورها إلى أوكارها فاخضرت أوراقها خجلاً ، وغصون أثقلتها فاكهة فتدلت في استرخاء ، ولم تخل جنة فرجيل من النحل ومملكته الدقيقة .

ملحمة الإنيادة

إن أخلد أشعار فرجيل في الواقع هي الإنيادة ، وهي ملحمة من روائع الشعر الكلاسيكي حاول فيها الشاعر أن يصل الأساطير بالتاريخ ليرجع الرومان إلى أصل إغريقي وإلى أن المؤسس الأول لمدينة روما هو أينياس

الجد الأول لعائلة يوليوس قيصر . وقد شرع **فرجيل** في كتابة الإنيادة منذ عام ٢٧ ق . م . حينما طلب منه **أوغسطس** أن يعرض عليه عملاً يسجل موهبته الشعرية . والرأي المعروف أن **فرجيل** كتب الإنيادة نثراً في أول الأمر ثم نظمها شعراً ولم يمهله القدر لبراجعها المراجعة الأخيرة فأوصى وهو في النزع الأخير بحرق هذه الملحمة ، غير أن **أوغسطس** أمر بتجاهل هذه الرغبة الأخيرة وعمل على نشرها كما هي دون أي تعديل . كان **فرجيل** يحب أن يكون للإنيادة ما للزراعيات من روعة فنية ، والمعروف عنه أنه كان بطيئاً جداً في الكتابة ، إذ كان لا يكتب أكثر من بيت واحد في اليوم ، وكان يقول عن نفسه إنه يفعل ما تفعله الدبة التي يقال إنها بعد وضع صغارها تبدأ في تشكيلهم بلسانها حتى يأخذوا شكلها العادي . وقد بقي أثر هذه الأجزاء التي لم تستوف حقها من المراجعة واضحاً في الإنيادة ، فهناك من أنصاف الأبيات العدد الكبير ، كما أن هناك أبيات قلقة في حاجة إلى تعديل أو نقل أو حذف .

تتكون الإنيادة من ١٢ كتاباً ولم يتردد **فرجيل** في الاعتراف بأن ملحمته قد تضمنت الكثير من **الملاحم الهومرية** ، وإن كان **فرجيل** قد أضاف إليها أيضاً الكثير مما كتبه شاعر الملاحم الإسكندري **أبولونيوس الرودسي** وإن كان **هومر** قد أوقف ملحمة كاملة هي **الإلياذة** على وصف المعارك والحروب ، وآثر أن يفرد ملحمة أخرى مستقلة وهي **الأوديسة** ليصور مغامرات **أوديسيوس** حتى إيابه إلى وطنه ، إلا أن **فرجيل** فضل أن يجمع في ملحمة واحدة بين حروب **أينياس** (**الإلياذة**) ومغامرات تجواله حتى وصوله إلى أرض الميناء (**الأوديسة**) . هذا بالإضافة إلى أن **فرجيل** قد أجرى تعديلاً بارزاً آخر وهو أنه فضل أن يضع في صدر ملحمته الكتب الستة الأولى : وصف مغامرات تجوال **أينياس** . وهكذا تراجع الحديث عن حروبه ومعاركه إلى مؤخرة الملحمة . وقد وصف



★ أفلاطون ★

فرجيل في كتبه الستة الأولى تجوال **أينياس** منذ رحيله من طروادة حتى وصوله إلى إيطاليا ليحقق المشيئة في إقامة إمبراطورية ثانية بدلا من تلك التي انتهت بسقوط وإحراق طروادة .

غير أن **هيرا** التي أضناها طيش **باريس** وما ترتب عليه من فقدانها للتفاحة الذهبية ، لم يشف غليلها ما فعلته به وبقومه من سقوط مملكته وإبادة عشيرته إلا حفنة صغيرة تمكنت من الفرار . إن المرأة إن نسيت وتناست إساءة جسيمة كانت أو تافهة لا تغفر أبداً لمن يجرح كرامتها ويفضل عليها أخرى لجمالها . لذا عملت **هيرا** على أن تعوق تلك الحفنة الباقية من سلالة **باريس** عن الوصول إلى إيطاليا . وهكذا جنحت سفنهم إلى شاطئ إفريقيا حيث قابل **أينياس ديدو** ملكة قرطاجة التي وقعت في غرامه . وقصة **ديدو** الغرامية مع **أينياس** لا محل لها في قصيدة حماسية ، ولسنا نعرف بالدقة من أين التقط **فرجيل** فكرة إدماج هذه القصة في الإنيادة ، غير أن مصادره الأدبية معروفة لنا . فهناك قصة **ميديا** في ملحمة **أبولونيوس الرودسي** ، وهناك الكثير من تلك القصص المشابهة في الشعر المسرحي .

وكما هي عادة فرجيل كان يأخذ الكثير ممن سبقوه ويصوغه جديداً بحيث لا تظهر عليه مسحة ولا أدنى أثر لشيء مأخوذ من اي مؤلف سابق .

قصة طروادة

أما عن مصادره التاريخية فمن الصعب أيضاً معرفتها ، إلا أن قصة **ديدو وأينياس** كانت معروفة قبل عصر **فرجيل** ، ففي إحدى قصائد الشاعر الروماني القديم **نايفيوس** بيت من الشعر تسأل فيه إحدى النساء البطل **أينياس** عن قصة طروادة . ولا ندري إن كان **نايفيوس** يقصد بهذه المرأة الملكة **ديدو** أم أخت لها . غير أن **فرجيل** صاغ من هذا البيت البسيط قصة طويلة شائعة فأوقع **ديدو** في غرام **أينياس** بل جنّت بحبه وانتحرت لهجره ، وأجرى **فرجيل** على لسانها حشد اللعنات عليه وهي في النزع الأخير وجعلها تتنبأ بأن بطلاً من قرطاجة سوف يثأر لما لحقها من هجر وهوان . والمقصود بالطبع بهذا البطل هو **هانيبال** ، وكان **فرجيل** يعرف طبعاً ما أنزل **هانيبال** بروما من ويلات . وهكذا مزج **فرجيل** الحقيقة بالخيال واستغل الأساطير في تفسير التاريخ . إن القصة من وجهة نظرنا الحديثة تضعف من شخصية البطل الروماني ، إذ ترى **ديدو** تخرج من محنتها كبطلة تستحوذ على عطف القراء ، بينما **أينياس** ليس إلا رجل غادر خدع امرأة وغرّر بها عندما كان في ذلك منفعته ورجاله وأسطوله ، ولكنه لم يلبث أن تركها وفر هارباً .

غير أن القارئ الروماني لم يكن لينظر تلك النظرة ، بل كان يتصور **ديدو** كامرأة أرادت أن تستأثر بهذا البطل وتقف دونه وتحقق مشيئة الأقدار من الوصول إلى إيطاليا وتأسيس إمبراطورية رومانية عظيمة . لقد كان الرومانيون يسلمون بمثل هذه الأوامر الفوقية . وكانت **ديدو** لعبة تلك الأقدار الغامضة . هذا إلى أن غراميات الرجل وتقلباته لم تكن تثير في العالم القديم ما تثيره الآن من أحاسيس مختلفة . وهكذا لم يحس **فرجيل** ، بل لم يتصور إطلاقاً ، أن التغرير **بديدو** وانتحارها سيقلل من شأن البطل الروماني أو يلحق به أي عار . لقد كان الرومان يغفرون للرجل كل شيء وإن أشفقوا على ضحاياه . وأخيراً ينجح **أينياس** في الوصول إلى إيطاليا حيث يقوم بزيارة للدار الآخرة . ويمكن القول إن **فرجيل** يقلد **هومر** في تصوير مثل تلك الزيارة . غير أنه لم يأخذ منه في الواقع أكثر من فكرة . لقد طال العهد



بين عالم **هومر والعالم الذي عاش فيه فرجيل** ، فالدار الآخرة دار الثواب تعيش مستقلة في العالم الآخر ، إذ نجد **أخيليس** يقول **لأوديسيوس** إنه يفضل أن يكون راعياً تحت ضوء الشمس من تلك الحياة التي يحياها .

عصر فرجيل

أما عصر فرجيل فقد كان عصر تطاحن بين الأفكار الاعتقادية المتباينة . امتد نفوذ الديانات الشرقية إلى بلاد اليونان والرومان . ثم ظهرت المسيحية فيما بعد . وعلى ساحل إيطاليا الغربي انتشر مذهب **أودينوس** الذي كان يحدد الطريق إلى الدار الآخرة والذي بني على أساس من الأساطير الإغريقية البدائية ، وقد كان اعتقاد له أسرار عميقة ولا بد من طقوس خاصة للاطلاع على هذه الأسرار . وانتشر في جنوب إيطاليا **مذهب فيثاغورث** ، وهو أيضاً له أسرار خطيرة . وعلى ذلك نجد أن تصوير **فرجيل** لزيارة العالم الآخر تحوي هذه المبادئ مع قدر كبير من الخرافات الرومانية واليونانية . أخذ **فرجيل** في الدار الآخرة أناساً لهم شخصية مستقلة لا يحتاجون كما في **الأوديسة** إلى أن يتجرعوا دم الضحايا ليستطيعوا النطق بما يريدون . ولقد كانت فكرة العقاب والثواب خافتة في الدار الآخرة في عصر **هومر** . كانت هناك أساطير عن أبطال عوقبوا عقابات شتى وكانت هناك ربات الانتقام التي كان عملها يقتصر على الحياة الدنيا لا الآخرة .

أما في عصر فرجيل فقد انتشرت فكرة الثواب والعقاب الشخصي ، كل امرئ يجزى بما كسبت يمينه . كان اتباع **أودينوس وفيثاغورث** يؤمنون بأن هناك ثواباً وعقاباً وأن هناك جنة وناراً وتناسخاً . ربما كانت هذه الاعتقادات ناشئة من تطلع العامة إلى دنيا جديدة يجد فيها المعذبون في الأرض سعادة في الدار الآخرة ، غير أن **فرجيل** وإن تأثر بهذه الأفكار لم يكن يريد أن ينشر أياً منها . فبينا كل من هذه المبادئ يقصر السعادة في الدار

فرجيل
أشعر شعراء الرومان

الآخرة على من اطلع على الأسرار الخطيرة الخاصة بهذه العقائد ، نجد أن **فرجيل** لا يقصر السعادة على من رأوا الأسرار في أي عقيدة وإنما جعلها عامة لمن يعمل صالحاً في الحياة الدنيا .

وقد ذكر **بلوتارخ** ما وعدته هذه الاعتقادات لمن يؤمنون بها ويقفون على أسرارها الخطيرة ، إنهم يذهبون إلى الدار الآخرة حيث تشرق شمس لا تغيب ، وحيث مراع كلها ورود وأزهار ، أما الأشجار ففاكهتها من ذهب . وفي السنة التاسعة تسمح العذراء **برسيفوني** للأشخاص الذين أدوا ما عليهم من عقوبة بالرجوع إلى ضوء الشمس . وليس لدينا في الواقع ما يشرح لنا أسرار وطقوس هذه الاعتقادات ، إلا أن بعض ما أورده **أفلاطون** يلقي عليها ضوءً خافتاً . يعتقد **أفلاطون** أن الأرواح تذهب إلى دار الآخرة وقد قاد كل منها حارس حيث تحاسب على ما فعلته في هذه الدنيا ، إن خيراً فإلى دار النعيم وإن شراً فندم على ما قدمته يداها ثم إلى الجحيم ، وبعد عام يسمح لها بأن تطير حول نهر الجحيم حيث تقابل من أضرت بهم ليعفوا عنها . وقد عاود **أفلاطون** الحديث عن الدار الآخرة ، فذكر أن بعد الممات تذهب الأرواح إلى الدار الآخرة التي يتولى الفصل فيها ثلاثة قضاة في استطاعتهم أن يروا علامات على روح الميت تفصح عن أعماله بالحياة الدنيا . وقد وصف **أفلاطون** طريقة صعود الأرواح إلى الدار الآخرة ، فذكر أن الأرواح هي التي تصعد من الفتحة اليمنى ، وكل مجرم يعاقب على ذنبه بعشرة أمثال هذا الذنب ، وكذلك الفضيلة تجزى بعشرة أمثالها ، أما من ارتكب جريمة قتل بشعة ، كمن قتل أبيه ، فهؤلاء يعاقبون في أمكنة مظلمة تحت الأرض ، واختيار الحياة الثانية في الدنيا متروك للروح ، وبعد الاختيار تذهب الأرواح إلى نهر النسيان .

الإلياذة .. والإنيادة

أما الجزء الثاني من الإنيادة الذي يصور حروب **أينياس** فهو أدنى مرتبة من القسم الأول ، لأن **فرجيل** في الواقع كان يكره الحرب وينفر منها ، وحاول بقدر الإمكان الابتعاد عن وصف تلك المعارك الهومرية الخيالية . **وعلى كل فالإنيادة تتعارض مع الإلياذة في مواضع كثيرة على الرغم من أنها حيكت على نمطها ، هذا إلى أنها تختلف عنها في الطبيعة وتدنو عنها في القيمة .**

ويرى بعض النقاد الذين يؤمنون بالرمزية في **الإنيادة** أن الشخصيات الموجودة في هذه الملحمة لا يجب أن تؤخذ على ظاهرها . **فأينياس** هو **أوغسطس وايفاندر** ليس إلا **فرجيل** . وبينا ترك **ايفاندر** وطنه فإن **فرجيل** قد طرد من مزرعته ، إذ كانت أم **ايفاندر** قد تنبأت بعظمته فقد كانت أم **فرجيل** تدعى **ماجيا** واسمها يدل على أنها ساحرة ، وإن كان **ايفاندر** قد استقبل **أينياس** فإن **فرجيل** قد استقبل **أوغسطس** لكن **ايفاندر** حاول أن يشرح **لأينياس** بعض الطقوس الرومانية ، وكان همه أن يثبت أنها ليست بخرافات ، بينا نرى **فرجيل** عندما أسبغ على **أوغسطس** بعض الألقاب المقدسة حاول أن يدافع عنها . **غير أن بعض النقاد الإيطاليين ، يرى أن فرجيل كان يبغض العائلة القيصرية التي حرمته من مزرعته وشردته ، ولا يعقل أن فرجيل يعمل على تمجيد وتخليد ذكرى تلك العائلة . إنه في الواقع قصد أن يلحق عار الخديعة والغدر بتلك العائلة وذلك بإضافة قصة ديدو إلى ملحمته وإبراز غدر وتغرير أينياس بها .**



جسم الإنسان

أ

اذن :

هي عضو السمع في جسم الإنسان ووظيفتها التقاط الأصوات الناتجة عن دفع الأجسام المادية لجزيئات الهواء في سرعة تختلف من ١٥ إلى ١٥٠٠٠ ذبذبة في الثانية ، وهي تتكون من ثلاثة أجزاء : **الأذن الخارجية والأذن الوسطى والأذن الداخلية** ، وتقوم الأذن الخارجية بالتقاط اهتزازات الهواء وترسلها من خلال قناة صغيرة إلى طبلة الأذن ، وتنتقل ذبذبات الطبلة خلال الأذن الوسطى عبر سلسلة من ثلاثة عظام تضاعف ضغط الذبذبات أو الاهتزازات ، وتصل قناة استاكيوس الأذن الوسطى بتجويف الحلق ، فتسمح للهواء بالدخول ، وبالتالي يتساوى ضغط الهواء على كل من جانبي الطبلة ، وتسمى العظام الثلاثة المتصلة اتصالا وثيقاً : **المطرقة والسندان والركاب** على الترتيب ، وتقوم هذه العظام الثلاثة بنقل الذبذبات إلى غشاء الفتحة البيضاوية خلف العظمة الثالثة ، فترسل النافذة البيضاوية (الفتحة البيضاوية) موجات خلال سائل القوقعة الحلزونية فتحرك شعرات تنقل الذبذبات عن طريق ألياف العصب إلى الدماغ الذي تفسر فيه كصوت ، ولا تدرك نبضات العصب كصوت إلا عندما تصل هذه النبضات إلى الخلايا السمعية الخاصة الموجودة في دماغ الإنسان .

أنف :

عضو الشم في جسم الإنسان ، والمكان الذي يدخل منه الهواء ويخرج أثناء عملية التنفس ، وهو من أكثر أجزاء الجسم حساسية ، ويقوم الأنف بحجز بعض أجزاء الغبار والبكتريا التي تكون موجودة في هواء الشهيق ، حيث يتم حجزها في ممرات الأنف المتعرجة ، كما يتم حجز البعض الآخر واصطياده بواسطة المخاط أو الشعر الدقيق الموجود داخل الأنف ، والذي يتحرك في جهة مضادة لتيار الهواء الداخل ، **وتتأثر خلايا خلف الأنف كيماويا بالروائح المختلفة** ، وترسل إشارات كيميائية كهربية بذلك إلى المخ خلال الأعصاب ، غير أنه إذا استنشق الإنسان رائحة ما لمدة طويلة فإن تأثر خلايا خلف الأنف بها سرعان ما يضعف ، وذلك لكي يفسح الطريق لروائح جديدة ، ويمكن أن يستدل من شكل الأنف مع باقي ملامح الوجه على الأجناس البشرية ، فعلى سبيل المثال ، يتميز المنغوليون بالأنوف المفرطحة ، أما **القوقازيون** فإنهم ذو أنوف طويلة ، ومن المعروف أن كلا من الأنف والأذن يتصلان معاً عبر قناة استاكيوس .



البنكرياس :

غدة رخوية وردية اللون تقع أسفل وخلف المعدة ، تفرغ عصارتها الهاضمة في الأمعاء ، ويعمل البنكرياس أساساً على تحويل الطعام إلى صورة يمكن امتصاصها ، وتتكون هذه الغدة الفصية الشكل من قنوات صغيرة متعددة تبطنها الخلايا التي تنتج العصارة ، ومنها تصب العصارة البنكرياسية في القناة العامة التي تؤدي إلى الاثني عشري ، وتحتوي العصارة البنكرياسية على أربعة إنزيمات هي **التريسين** الذي يؤثر على البيتون ، **والأميلاز** الذي يؤثر على النشا ، **والليباز** الذي يؤثر على الدهن ، **والإنزيم** الذي يؤدي إلى تجبن اللبن .

ويحتوي البنكرياس أيضاً على مجموعات من الخلايا الخاصة ، عبارة عن غدد صغيرة يقدر عددها بين ٢٥٠.٠٠٠ وبين مليونين ونصف المليون ، وقد كان أول من لاحظ هذه الخلايا مشرح ألماني اسمه : **بول لانجرهانز** وذلك عام ١٨٦٩ م ، وقد سميت هذه الخلايا بجزر لانجرهانز تكريماً له ، وهي تتكون من نوعين من الخلايا التي تصب إفرازاتها في

الدم مباشرة : **الأولى : خلايا ألفا** وهي تنتج هرموناً يسمى **الجلوكاجون** ، **والثانية : خلايا بيتا** وهي تنتج الأنسولين ، وكلا الهرمونين يساعد في تنظيم سكر الدم .

بشرة :

هي الطبقة الخارجية من الجلد ، ويطلق عليها أحياناً اسم : **الإهاب** ، وهي تتكون من طبقتين إلى أربع طبقات حسب موقعها من الجسم ، **ومن أولى وظائفها** : حماية الجسم من عوامل الاحتكاك أو الإتلاف من البيئة المحيطة بها ، ولكي تقوم بهذه الحماية ، فإنها تلجأ إلى طرق مختلفة ، منها قيام الغطاء الرقيق لجفن العين بحماية القرنية ، وإحداث البشرة لمادة الكيراتين التي تتكون منها الأظافر لحماية أطراف الأصابع ، وزيادة سمك الجلد وصلابته في مواضع الضغط من الجسم كراحة اليد وأخمص القدم ، والبشرة شديدة التكيف لحماية الجسم ، فقد يصل سمكها على أخمص القدم ١,٥ ملليمتر وأقل من ٠,٠٥ ملليمتر على جفن العين .

وتتألف البشرة من طبقات متعددة من الخلايا الدهنية التي لا تحتوي على أوعية دموية أو أعصاب ، وهي تجدد خلاياها تلقائياً ، حيث تندفع الخلايا النامية في قاع البشرة لتحل محل خلايا السطح الميتة ، كما أنه من الجدير بالذكر **أن البشرة هي موطن الخلايا الملونة** ، التي تصبغ جلد الإنسان باللون الذي يميزه عن غيره .



ترقوة :

عظمة في الكتف تمتد من عظم الصدر إلى العظم الكتفي .

ما تحت المهاد :

جزء من المخ يعتبر المنظم الحراري في جسم الإنسان ، حيث يتعاون هذا الجزء مع الجلد في تنظيم درجة حرارة الجسم ، **ولهذا الجزء منظمان للحرارة : الأول** لتسجيل درجة الارتفاع ، **والثاني** لتسجيل درجة الانخفاض في حرارة الجسم الداخلية ، وعند حدوث إشارة من أحد المنظمين عن ارتفاع في درجة حرارة الجسم ، تزيد كمية الدم الذاهبة إلى الجلد ، وتنقل الحرارة من الأعضاء الداخلية إلى شبكة من الأوعية الصغيرة الدموية توجد تحت الجلد مباشرة ، حيث يمكن التخلص منها ، وفي نفس الوقت ، يحث نفس المنظم الحراري نشاط غدد العرق الموجودة في أدمة الجلد ، فيصل إفرازها من العرق إلى خارج الجسم ، وتؤدي حركة الهواء خارج الجسم إلى تبخر العرق ، ولما كان التبخر يصحبه برودة ، فإن تبخر العرق يزود الجسم بتبريد فعال .

وعلى النقيض من ذلك ، حينما يعطي المنظم الحراري الآخر إشارة عن انخفاض في درجة حرارة الجسم ، فإن كمية الدم الذاهبة إلى الجلد تقل ، وبالتالي يقل إفراز العرق ، وعندما يقل اندفاع الدم خارجياً ، فإن الجلد نفسه وطبقة الشحم الموجودة تحته يكونان عازلاً يحفظ ما تبقى من حرارة في الجسم .

وبالإضافة إلى دور الجزء المسمى بما تحت المهاد في تنظيم حرارة الجسم ، فإنه يفرز أيضاً نوعين من الهرمونات هما « **الأكسيتوسين** » الذي يظن أنه ينشط الوضع عند انتهاء مدة الحمل ، و « **الفازوبرسين** » الذي يساعد الجسم على الاحتفاظ بالسوائل الموجودة به .



مثانة :

جزء من الجهاز البولي عبارة عن وعاء مرن يقع في الطريق الذي يسير فيه البول من الكليتين إلى الخارج ، وهي حين تمتلئ يشعر الإنسان بعدم الراحة ، وهي تفرغ ما بها إرادياً عن طريق انقباض جدارها العضلي .

ثقوب الجمجمة :

ثقوب أو فتحات دقيقة موجودة على الجبهة وعظمة الخد والفك ، وهي الفتحات التي تمر منها الأعصاب من وإلى المخ والجلد .



جمجمة :

هي القلنصوة الحامية لرأس الإنسان ، وهي تتكون من قبة مستديرة تسمى علبة المخ ، وهيكل عظام الوجه ، **وتتكون القبة من صفائح عظمية هي العظم الجبهي والعظم القفوي والعظم الجداري** ، وتتصل مع بعضها البعض من نهايتها بوساطة نظام معقد لعمليات تعشيق وتشابك ، ويحيط العظم القفوي بأربعة تجاويف رئيسية : التجويف الفمي والتجويف الأنفي والتجويفين الحجاجيين أو جيبي العينين ، وتقع عظام الوجنة على جانبي تجويف الأنف أمام الفك العلوي ، أما الفك السفلي — وهو العظم الوحيد الحر الحركة في الجمجمة — فمعلق من جانبي الرأس بعظم صدغي يحتوي على تجاويف دقيقة للأذنين ، وينساب النخاع المستطيل الذي يصل الدماغ بالحبل الشوكي من خلال ثقب في

العظم الفقري، وعظام الجمجمة عبارة عن صفائح سميكة متداخلة الأطراف وصلبة.

الجهاز اللمفاوي:

اللمف هو سائل مائي يحيط بخلايا النسيج، وهو يعد بمثابة الجسر الذي عبره يمر الأوكسيجين والمواد الغذائية والنفايات بين الشعيرات الدموية وبين خلايا الجسم، وتسمى الشبكة الممتدة في جميع أجزاء الجسم التي تحمل اللمف باسم **الجهاز "اللمفاوي"**، ويشبه هذا الجهاز الجهاز الدوري، فهو مكون من شعيرات لمفاوية وقنوات، وهو يصب محتوياته في وريدين تحت الترقوة يوجدان بالقرب من القلب.

ويقوم اللمف أيضاً بحمل عدد من المنتجات الكيميائية تشمل قطيرات من الدهون والكوليسترول، واللمف هو السائل الباهت اللون الذي يوجد في البثرات.



الحجاب الحاجز:

عضلة قبوية الشكل، توجد في قاعدة الصدر، **وهي عضلة التنفس الأساسية**، حيث إن ارتفاعها إلى أعلى يؤدي إلى حدوث عملية الزفير، وانقباضها إلى أسفل يؤدي إلى دخول الهواء إلى الرئتين، أي عملية الشهيق، كما أنها تشارك في الكحة والعطس والضحك والتنهد.

الحنجرة:

هي ممر الهواء بين الحلقوم وبين القصبة الهوائية، وهي عبارة عن تجويف في الحلق به الحبلان الصوتيان، وتتكون الحنجرة من عدة غضاريف تصل ما بينها عضلات وأربطة، **ويكون جدار الحنجرة ثلاثة غضاريف: العلوي**: وهو الذي يطلق عليه اسم تفاحة آدم، وهو أكبر هذه الغضاريف، إلا أنه ناقص الاستدارة من الخلف، ويبرز جزء منه إلى الأمام، أما **الغضروف الثاني**: فهو متوسط وكامل الاستدارة، ويتكون الثالث من غضروفين صغيرين يقعان فوق الغضروف المتوسط من الخلف.

الحبل الصوتي:

أما عن **حبلي الصوت**، فإنها تحركها عضلات خاصة، ويبدأ الصوت عندما تدفع الرئتان إلى أعلى تياراً هوائياً في القصبة الهوائية، فتشرع الأحبال الصوتية في الاهتزاز في الحنجرة، وعندئذ يتشكل الصوت في الممرات الهوائية بواسطة حركة **منتهيات الصوت**: الأسنان وسقف الحلق والشفتين والفكين واللسان، إلى أصوات الكلام المختلفة المتحركة والثابتة.



خلايا الدم الحمراء:

خلايا تتواجد في الدم، وتقتصر وظيفتها الأساسية على التقاط الأوكسيجين من الرئتين، وحمله إلى باقي أجزاء الجسم، وتعود ناقلة ثاني أوكسيد الكربون في الطريق العكسي، ويزيد عدد خلايا الدم الحمراء عن البيضاء في جسم الإنسان بنسبة ٧٠٠ : ١، وهي تحتوي على **هيموجلوبين** وهو بروتين في الدم غني بالحديد، وينتج نخاع العظام هذه الخلايا بصفة مستمرة، وهي تكون على شكل كريات صغيرة يبلغ قطر كل منها ٠,٠٠٧ من الملليمتر، ويحتوي الملليمتر المكعب من الدم على ٥,٥ ملايين خلية دم حمراء في الرجل، ويقل العدد عن ذلك في الأنثى، وحياة الخلايا الحمراء قصيرة مضطربة، فهي تتداعى تدريجياً بعد حوالي ثلاثة أو أربعة شهور، وهي تبدو حمراء اللون نظراً لاحتوائها على مادة الهيموجلوبين الحمراء التي تلتقط ما يزيد عن نصف وزنها من الأوكسيجين بسرعة وبقوة. ومن الجدير بالذكر أن هذه الخلايا يطلق عليها أحياناً اسم **كرات الدم الحمراء**، وذلك يرجع إلى كونها أقراص مستديرة منضغطة في الوسط، خالية من النواة.

الخصيتان:

من الغدد الصماء الموجودة في جسم الإنسان، وهي المسؤولة عن إنتاج الحيوانات المنوية، حيث يتم حفزها لأداء هذا الغرض بواسطة هرمون خاص ينبه حويصلاتها، وتنتجه الغدة النخامية الأمامية.



الدورة الدموية:

اصطلاح يطلق على المسار الذي يتدفق فيه الدم من وإلى القلب عبر الشرايين والأوردة، ومن المعروف أن القلب يدفع الدم في شريان الأورطي، أكبر شرايين الجسم، ومنه إلى شرايين فرعية حتى قمة الرأس، وتتفرع الشرايين إلى شريانات صغيرة تتفرع بدورها إلى ملايين من الشعيرات المجهرية، وتلتئم هذه الشعيرات لتكون وريدات تتحد لتكون أوردة، وهي أوعية ذات جدران رقيقة بها صمامات داخلية

تمنع رجوع الدم إلى الوراء ، وهكذا ينساب الدم عائداً إلى القلب بعد أن يكون قد أدى مهمته في نقل الأغذية والأوكسجين إلى خلايا الجسم ، ويتجدد الأوكسجين في الدم أثناء دورة جانبية عبر شبكة رئوية ، ثم يعود إلى القلب مستعداً للبدء من جديد ، وتستغرق كل هذه الدورة زمناً أقل من دقيقة واحدة .

الدياستاز Diastas :

إنزيم يقوم بتحويل النشا إلى سكر في جسم الإنسان ، وهو عامل هام في عملية الهضم ، وقد اكتشف بالصدفة البحتة عام ١٨٣٣ م ، على يد كيميائيين فرنسيين هما : **إنسيلم پاين وجان بيرسوز** .



ذراع :

يعتبر ذراعا الإنسان أهم أدواته المتحركة ، حيث يمكن عن طريقهما الوصول إلى الأشياء وإمساكها وتحريكها ، وللذراع سلسلة من المفاصل تمكنها من الانحناء والالتواء والدوران ، مما يؤدي إلى سهولة استعمالها ، **والمرفق** هو أهم هذه المفاصل ، وهو مفصل سهل الحركة يقع بين نهايات عظام العضد والساعد .

الذكاء :

هناك تعريفات كثيرة للذكاء الإنساني ، تزيد عن العشرين ، إلا أن أفضلها هو ذلك الذي يعرف الذكاء بأنه : **قدرة الإنسان على مواجهة مواقف جديدة في حياته بالاستعانة بالخبرات السابقة له** ، وترجع الفروق الفردية في الذكاء بين شخص وآخر إلى الاختلاف في حجم وتعقيد الدماغ ، ويبدو أن القشرة أو الطبقة الرقيقة الخارجية للمخ هي مقر الذكاء في الدماغ ، كما يبدو أن القاعدة الحيوية لحساب الذكاء بالتقريب هي أنه كلما كانت قشرة المخ الخارجية أكثر تعقيداً ، كلما كان الإنسان أكثر ذكاء ، وقد أدى تمدد القشرة في الإنسان إلى تكديسها في ثنيات عميقة وتلافيف .



الرئتان :

هما الجزءان الرئيسيان في الجهاز التنفسي الذي يختص بإمداد الدم بالأوكسجين ، وهما يتكونان من ملايين من الحويصلات ذات الأغشية المطاطة يبلغ عددها حوالي ٣٧٥ مليون حويصلة في الرئة الواحدة ، وتكون الشعيرات الدموية أغلب جدران هذه الحويصلات ، وتستمد منها الأوكسجين النقي .

ولا يزيد وزن الرئتين عن كيلوجرام وربع ، وهما تقومان بتوصيل الأوكسيجين إلى الدم وتسحبان منه في نفس الوقت غاز ثاني أوكسيد الكربون الناتج عن احتراق مركبات الكربون في الخلايا .

الرحم :

عضو عضلي مجوف في حوض الأنثى ، **يتكون من ثلاثة أجزاء : العلوي** ويطلق عليه اسم : جسم الرحم ، وهو عريض نسبياً ، **والسفلي :** ويطلق عليه عنق الرحم وهو ضيق أنبوبي ، ثم **فتحة الرحم** الموجودة في نهاية الجزء السفلي والتي تؤدي إلى قناة المهبل ، وتتصل أنبوبتا فالوب بالجزء العلوي من الرحم ، وحين تصل الفتاة إلى مرحلة البلوغ الجنسي ، فإن الرحم يستعد لاستقبال البويضة التي يفرزها المبيض كل ٢٨ يوماً ، وتصل البويضة إلى الرحم عبر قناة أو أنبوبة فالوب ، فإذا أتيحت لها الفرصة للإخصاب ، بأن قابلت حيواناً منوياً ، فإن البيضة تستقر في الرحم ، وتتكاثر بسرعة وتنمو لتكون الجنين ، وفي هذه الحالة ، يتسع الرحم ويتمدد ، فإذا انتهى الحمل ، عاد إلى وضعه الطبيعي ، وفي الحالة التي لا يحدث فيها حمل ، فإن بطانة الرحم يتم التخلص منها فيما يعرف باسم الطمث ، لتتكون طبقة أخرى جديدة لتبطين الرحم .



زائدة دودية :

عضو عبارة عن بروز صغير في جسم الإنسان ، يشبه الأصبع ، يقع عند أول القولون عند نقطة تلاقي الأمعاء الدقيقة بالأمعاء الغليظة ، وقد تلتهب هذه الزائدة في بعض الأحيان نتيجة لإصابتها بعدوى أو دخول بعض المواد الصلبة خلالها ، وفي هذه الحالة يكون من الواجب استئصالها عن طريق الجراحة .

زراعة الأعضاء :

هي عملية استبدال أي عضو تالف بالجسم بأعضاء أخرى صحيحة من جسم الإنسان أو الحيوان بعد تجهيزها بحيث لا تتعرض لمقاومة مناعة الجسم ، وتعد الكلية أكثر الأعضاء المستعملة في الزرع ، إذ يمكن لمانحها أن يعيش بالكلية الباقية ، وقد زرعت أول كلية عام ١٩٥٤م ، كما أجريت أول عملية زرع قلب في عام ١٩٦٧م ، حيث طعّم لويس

ووشكانسكي، وهو بقال من **كيب تاون** بجنوب إفريقيا يبلغ من العمر ثلاثاً وخمسين سنة، بقلب فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها، توفيت إثر حادثة تصادم، وقد عمل القلب الجديد بكفاءة لمدة أسبوعين بعد إجراء العملية الجراحية التي استغرقت خمس ساعات، ولكنه توفي بعد ثمانية عشر يوماً بعد إجراء العملية، حيث أصيب بالتهاب رئوي.

وفي عام ١٩٦٣م، تم زرع كليتي شمبانزي بوزن أربعين كيلوجراماً لعامل ميناء من نيواورليانز بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد عاش العامل بعد العملية لمدة شهرين، غير أن أبسط وأحسن عمليات زرع الأعضاء هي عمليات زرع الجلد والعظام والعضلات، كما أمكن إحلال الصلب غير القابل للصدأ محل مفاصل الأصابع التي أصيبت بالعجز من الالتهابات، كما يمكن استخدام مفاصل معدنية كبدائل لمفاصل قديمة لمفاصل الورك والكوع والركبة.



سيتوبلازم:

مادة **هلامية** تحيط بنواة الخلية التي تعتبر الوحدة الأساسية في بناء جسم الإنسان، ويقال إن وظائف السيتوبلازم تتم تحت سيطرة النواة، وينتشر في السيتوبلازم مختلف أعضاء الخلية، لمن هذه الأعضاء ما يقوم بتمثيل الغذاء الذي يسمح له غشاء الخلية بالدخول والتحول إلى طاقة، ومنها ما يقوم بإعداد الزلال.. إلخ.

ستيلبسترول Stilbestrol:

أول استروجين (هرمونات الجنس الأنثوية الرئيسية) تحضر تخليقياً، ويعتقد أنه يؤدي إلى إنتاج الصفات الأنثوية عندما يؤخذ من الفم، وإن كان تأثيره طفيفاً.



شرايين:

أوعية دموية مهمتها نقل الدم من القلب إلى أعضاء الجسم وعضلاته، كما أن الشرايين هي الوسيلة التي ينقل الدم خلالها الأوكسيجين أو الغذاء من الجهاز الهضمي إلى كل خلايا الجسم، وينقسم الشريان إلى شرايين كثيرة أصغر قطراً، وتنتهي الشرايين الصغرى في الشعيرات المسامية التي تمكن الدم من تغذية الخلايا بالأوكسيجين، **ويعتبر شريان الأورطي والشريان الرئوي أكبر** شرايين القلب ويبلغ قطر كل منها حوالي سنتيمترين ونصف، وتتميز الشرايين بأن لها جدراناً سميكة مرنة، تساعد نبضاتها القلب على ضخ الدم.

شعر:

زوائد جلدية متحورة تغطي جميع أجزاء جسم الإنسان، وإن كان الكثير منها لا يرى لدقتها، ويسمى جزء الشعر الذي فوق الجلد **بالساق**، وما هو تحت الجلد **بالجذر**. أما ما يقع في القاع فيطلق عليه اسم: **البصلة** الجذرية التي بها حويصلة محاطة بأعصاب دقيقة. وتوجد عضلات بجوانب البصلة الجذرية تمكن الشعر من الحركة، بالإضافة إلى وجود بعض الغدد الزيتية الصغيرة التي تحافظ على الشعر من الجفاف، وتجعله في حالة صحية جيدة.

ويرجع **لون الشعر** إلى مادة اسمها: **الميلانين**، حيث إن زيادة هذه المادة تؤدي إلى سواد الشعر، وضعفها أو انعدامها يؤدي إلى ابيضاض لون الشعر.



صفائح دموية:

أجسام صغيرة رائعة **تعتبر من المكونات الرئيسية لدم الإنسان**، يبلغ حجمها ثلث حجم خلايا الدم الحمراء تقريباً أو أقل من ذلك، وقد اكتشفت منذ قرن تقريباً، **ووظيفتها هي تكوين الجلطة الدموية التي تسد الجروح**، كما أنها حيوية لمنع حدوث النزيف، ولذلك فقد لوحظ أنه في حالة انخفاض عدد صفائح الدم عند شخص فإنه يكون شديد القابلية للنزيف.

وتجدر الإشارة إلى أن سنتيمتر المكعب الواحد من الدم يحتوي على ٣٠٠٫٠٠٠ من الصفائح الدموية، وهي لا تعيش أكثر من يومين أو أربعة أيام، وتؤهلها قابليتها للالتصاق بما تلمسه للقيام بإصلاح الشروخ ومنع نزيف الجروح.

صفراء:

سائل يتكون من الفضلات التي تأتي إلى الكبد بواسطة الدم، وهي **تقوم بتفتيت الدهون** وذلك في وجود أملاح الصفراء والأصباغ والكوليسترول، وتتجمع الصفراء في الكبد عن طريق أوعية صغيرة تتصل مع بعضها البعض لتكون قنوات الصفراء، وتتصل قناة الصفراء **بالمرارة** عن طريق قناة تربط بينهما، وتقوم المرارة بتخزين الصفراء التي تتجمع فيها أثناء الوجبات الغذائية. ومن الجدير بالذكر، أن الصفراء تنشط أيضاً بعض الإنزيمات بالإضافة إلى دورها في استحلاب الدهون.



مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالا

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال

ج ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالا

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي) .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي : (الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) . مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

ج ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

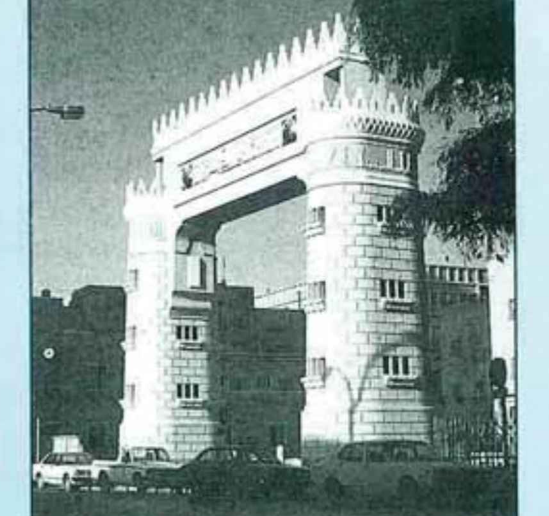
قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١١٢)

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

●● المسابقة ●●



السؤال الأول :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
حياة الحيوان الكبرى ـ مآثر الأناقة في معالم الخلافة ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .

السؤال الثاني :

هذه البوابة ذات الطراز التاريخي هي رمز لبوابة تاريخية اندثرت في مدينة عربية ذات تاريخ عريق . . ما اسم هذه المدينة . . وما اسم البوابة؟ .

السؤال الثالث :

يطلق على ملعب كرة القدم كلمة « ستاد » . . ما أصل هذه الكلمة . . وماذا تعني؟ .



السؤال الرابع :

شارع تحيط به الأعمدة بقايا مدينة تاريخية في بلد عربي . . اذكر اسم هذه المدينة . . واسم البلد العربي الذي توجد فيه هذه المدينة؟ .

السؤال الخامس :

متى أنشئ خط قطار السكة الحديد الذي يربط بين مدينتي الرياض والدمام في المملكة العربية السعودية؟ .

○○ أجوبة مسابقة العدد (١٠٥) ○○

ج ١ بدأت رحلة الفضاء « ديسكفري ٥١ » في صباح الاثنين ٢٩ رمضان ١٤٠٥ هـ، الموافق ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٨٥ م، واستغرقت الرحلة سبعة أيام، حيث عادت المركبة إلى الأرض في يوم الاثنين ٧ شوال ١٤٠٥ هـ، الموافق ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٥ م.

قائد الرحلة هو : دانيال براندنستين.

أطلقت المركبة أربعة أقمار صناعية هي :

(١) القمر العربي (عربسات ـ ٢).

(٢) القمر المكسيكي (موريلوس).

(٣) القمر الأميريكي (تليستار ٣).

(٤) القمر (سبارتان)، الذي تمت استعادته بواسطة ذراع المكوك بعد ٤٥ ساعة من إطلاقه.

ج ٢ مؤلفو الكتب التالية هم :

★ تاريخ الأدب الجغرافي عند المسلمين: كراتشوفسكي.

★ الخطيئة والتكفير.. من البنيوية إلى التشريحية: د. عبدالله الغذامي.

★ الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد البغدادي.

★ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء: الإمام ابن الجوزي.

ج ٣ السبب في إطلاق اسم « مسرح العرائس » أو « فن الماريونيت »، على المسرح الذي تتحرك فيه الدمى بالخيوط، هو العداء بين فرنسا وإنجلترا في القرنين الماضيين نتيجة للحروب الطويلة التي دارت بينهما، فحاولت كل منهما إعطاء الصيغة القومية لهذا الفن على أساس أنها هي التي أنجبته.

وعلى هذا الأساس، أطلق عليه الإنجليز والأميريكان اصطلاح « مسرح العرائس ».. بينما وجد الفرنسيون والإيطاليون والأوروبيون عامة اصطلاح « الماريونيت » أكثر تألقاً. مع العلم أنه فن مصري قديم ولد في القرن الخامس قبل الميلاد.

ج ٤ الشاعر العربي الذي له ديوانان مطبوعان هما: « وحي الحرمان » و« حديث قلب » والذي فاز مؤخراً بأكبر جائزة عالمية، هي جائزة وسام باريس، كما فاز بجائزة الدولة التقديرية في بلده.. هو الأمير عبدالله الفيصل، وقد ولد في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية في عام ١٣٤١هـ، الموافق ١٩٢٢م.

ج ٥ طارت أول طائرة شراعية وبها محرك، وتحمل إنساناً في عام ١٨٥٣م، واسم العالم الذي كان وراء هذا الإنجاز هو جورج كايلي.

○○ نتيجة مسابقة العدد (١٠٥) ○○

○ فازت بالجائزة الأولى، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، الأخت يسرى رشيد شاكر، دمشق ـ سورية.

○ وفازت بالجائزة الثانية، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخت فاطمة عبيد الله حامد الحمياني، الطائف ـ المملكة العربية السعودية.

○ وفاز بالجائزة الثالثة، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخ عز الدين عبد الرضى فضل المولى، بريد السجانة، ص. ب (٦٥)، السودان.

وهناك سبع جوائز، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

★ من ألمانيا الغربية ـ مدينة هانوفر، الأخت بنان نزار الدقر.

★ من مصر ـ القاهرة، شبرا، ش ابن مطروح، الأخ محمد عبد العزيز فؤاد عفيفي.

★ من الجزائر ـ ولاية الجلفة ـ مدينة مسعد، الأخت فطوم غريسي ناجي.

★ من سورية ـ حماة، الأخت سهام أحمد قاسم.

★ من المغرب ـ الدار البيضاء، الأخت جوابري لكبيرة بنت المعطي.

★ من العراق ـ بصرة، عشار، ص. ب (٧٤٤)، الأخ أبو الحسن علاء الدين.

★ من المملكة العربية السعودية ـ جدة، ص. ب (٥١٧١)، الأخ أبو الحسن علاء الدين.

بالإضافة إلى عشر جوائز، قيمة كل واحدة منها اشتراك مجاني، لمدة عام، في مجلة « الفيصل »، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

★ من الإمارات العربية المتحدة ـ أم القوين، الأخت سهام محمد إبراهيم.

★ من اليمن ـ صنعاء، ص. ب (٢٦٠٨)، الأخ جيلان علي عبد الخالق الدبعي.

★ من سورية ـ دمشق، برامكة، الأخ جمال أحمد حسين.

★ من الجزائر ـ مدينة مسعد، دائرة مسعد، الجلفة، الأخ غزال الشيخ بن بخديج.

★ من مصر ـ دقهلية، الأخ راغب مصطفى عبد الهادي.

★ من تونس ـ العلايات ١١٤٥ ـ المحمدية، الأخ عبد المجيد بن المولدي بن خميس العيادي.

★ من الأردن ـ عمان، ص. ب (٣٤٠٠٥٥)، الأخ هيثم حسني كامل سمار.

★ من قطر ـ الدوحة، ص. ب (٨٦٣٥)، الأخ البدري سيد أحمد البشير.

★ من الجزائر ـ حي أول نوفمبر، بوسعادة، الأخ نور الدين امردف المكي امردفي.

★ من المملكة العربية السعودية ـ أبها، باللسمر، الأخ يوسف عواد عياف العقيل.



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **

في الوطن العربي

- جائزتان جديدتان في الرياض والقاهرة.
- أعضاء جدد في مجمع دمشق ورابطة المؤرخين في اليمن.
- مفدي زكريا شاعراً للثورة الجزائرية.
- صدور ثلاث مجلات عربية جديدة.
- مكتبة وطنية ومركز للوثائق في سلطنة عمان.
- كشوفات أثرية ومعارض وإصدارات جديدة.

في العالم

- العربية .. في مدرسة ألمانية.
- أسماء الفائزين بجائزة «ريتز همنجواي».
- جائزة يوغسلافية لشاعر أميريكي.
- معرض للفن الصحراوي في إيطاليا.
- العثور على ماسات نادرة في الصين.





السعودية

جائزة خليجية

أعلن مكتب التربية العربي لدول الخليج، والذي يتخذ من الرياض مقراً له، عن جائزة جديدة تمنح لأفضل دراسة بحثية مبتكرة في المجالات الآتية:

★ التربية.

★ اللغة العربية وآدابها.

★ العلوم الاجتماعية.

★ العلوم والتقنية.

وذلك بالشروط التالية:

● أن تكون الدراسة متعلقة بمنطقة الخليج العربي.

● أن تكون الدراسة المقدمة باللغة العربية الفصحى.

● أن يكون المؤلف من أبناء منطقة الخليج العربي.

● أن تكون الدراسة منشورة منذ فترة لا تزيد عن خمس سنوات من تاريخ الإعلان.

● ألا تكون الدراسة قد نالت جائزة، أو منح صاحبها بسببها شهادة علمية، وألا تكون مشتركة، ولا مترجمة.

هذا، وسيقوم المكتب بمنح الفائزين في المجالات المذكورة، جوائز مالية، وبراءة منح الجائزة، وقد حدد يوم السبت ١ صفر عام ١٤٠٧ هـ، آخر موعد للتقدم لنيل الجائزة.

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

عقد في مكة المكرمة الاجتماع الأول للهيئة التأسيسية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وذلك بحضور الأعضاء المشاركين، وتحت إشراف رابطة العالم الإسلامي.

والهدف من إنشاء هذه الهيئة، خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وحماية الأمة الإسلامية من دعاة الإلحاد والعلمانية، والسعي لبناء الإيمان وتثبيته لدى الأجيال الحاضرة والقادمة.

وقد تم في هذا الاجتماع عرض عدة أمور لمناقشتها منها:

★ النواحي الشرعية والكونية للإعجاز

كلمة

نشر الكتب حول العالم

بأكثر من ٨٥ ألف عنوان جديد كل عام، تتقدم **الولايات المتحدة الأمريكية** دول العالم أجمع في عدد الكتب التي تنشرها كل عام.. ويحتل **الاتحاد السوفييتي** المرتبة الثانية بحوالي (٨١) ألف كتاب ينشرها كل عام.

وتقول منظمة «**اليونسكو**» UNESCO التابعة للأمم المتحدة التي أصدرت هذه الإحصائية عام ١٩٨٣ م، إن هناك فروقاً واضحة في نوعية الكتب التي تصدر عن هاتين الدولتين، فالروس يقولون إنهم ينشرون عدداً كبيراً من الكتب في حقول **العلوم الخالصة، والعلوم التطبيقية**، بينما يقول الأمريكيون إنهم يفضلون كتب **الخيال العلمي، وكتب التاريخ، والعلوم الاجتماعية، والموضوعات الأخرى.**

ويختلف عدد النسخ المطبوعة من كل عنوان من دولة إلى أخرى، إذ يصل عددها إلى عدة ملايين في بعض الدول، بينما لا تتعدى عدة آلاف في دول أخرى.

أما في الدول العربية، فإن **مصر** تحتل المرتبة الأولى بعدد **١٦٨٠ عنواناً جديداً تنشرها في السنة الواحدة**.. أما أقل دولة في العالم ـ من الدول التي شملتها الإحصائية ـ من حيث النشر فهي **نيبال**، إذ لا يتعدى عدد الكتب المنشورة فيها **٤٣ كتاباً في السنة**... والجدول التالي يبين عدد الكتب التي تنشرها كل دولة في العام:

الدولة	عدد الكتب المنشورة سنوياً
أثيوبيا	٢٢٥
الأرجنتين	٤٦٩٨
إسبانيا	٢٤٥٦٩
أستراليا	٨٣٩٢
ألمانيا الشرقية	٥٨١٦
ألمانيا الغربية	٦٤٧٦١
أندونيسيا	٢٣٢٢
إيران	٢٦٥٧
أيرلندا	٦٢٣
إيطاليا	١٢٠٢٩
الباكستان	١٢٧٩
البرازيل	١٨١٠٢
بريطانيا (المملكة المتحدة)	٤٨٠٦٩
بلغاريا	٤٦٨١
بنغلاديش	١٢٢٩
بنما	١٣٠
بولندا	١١٩١٩
بوليفيا	٥٩٦
بيرو	٧٦٦
تايلند	٤٠٩١
تركيا	٣٣٩٦






★ د. محمد بن سعد الشويعر ★ ★ علي العمير ★ ★ مفدي زكريا ★

تشيلي	١١٠٩
تشيكوسلوفاكيا	١١٦٤٧
تونس	١١٨
الجزائر	٢٧٥
الدانمارك	٩٢٥٦
روسيا (الاتحاد السوفييتي)	٨٠٦٧٦
رومانيا	٧٣٥٠
السعودية ـ المملكة العربية	٢١٨
السلفادور	١٤٤
السويد	٧٥٩٨
سويسرا	١٠٣٦٢
الصين	١٩١٠٩
العراق	١٢٠٤
الفاتيكان	١٦١
فرنسا	٣٢٣١٨
فلسطين المحتلة	٢٣٩٧
فنزويلا	٢٥٧
فنلندا	٦٥١١
فيتنام	١٧٢١
كندا	١٩٠٦٣
كوبا	٩٥٥
كينيا	٢٣٢
ليبيا	٤٨١
النرويج	٥٥٧٨
نيبال	٤٣
نيجيريا	٢٣١٦
نيوزيلندا	٢٨٥٠
الهند	١٣١٤٨
هولندا	١٤٥٩١
هونج كونج	٣٣٨٦
المجر	٩٢٥٤
مصر	١٦٨٠
الولايات المتحدة الأمريكية	٨٥١٢٦
اليابان	٤٥٥٩٦
يوغسلافيا	١١٣٠١
اليونان	٤٠٤٨

هشام أبو عودة ـ أمريكا

العلمي للقرآن والسنّة.

★ سبل تشجيع الاتجاه العلمي المتخصص في هذا المجال.

★ وضع قواعد لمناهج وطرق البحث العلمي.

★ إعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية، إضافة إلى ما يتوصل إليه العلماء والمؤسسات العلمية.

أمسيات ثقافية

خلال المهرجان الرمضاني الثاني للقاعدة الجوية بالظهران، أقيمت أمسيات ثقافية الشعرية منها والقصصية، والندوات الفكرية، أحياها كبار الأدباء والمثقفين في المملكة العربية السعودية.

كتب جديدة

● « **عبد الله بن رواحة، رائد شعر الجهاد الإسلامي ـ حياته وشعره** »، **تأليف الدكتور محمد بن سعد الشويعر، صدر عن دار الرفاعي** ضمن سلسلة « **المكتبة الصغيرة** ».

● « **بكيتك نوارة الفأل... سجيتك جسد الوجد** »، **عنوان مجموعة شعرية للشاعر عبد الله الزيد، صدرت عن نادي جدة الأدبي.**

● « **القيمة الاجتماعية والتاريخية في كتاب البخلاء** »، **تأليف صالح الوشمي، صدر** ضمن **إصدارات فرع جمعية الثقافة ببريدة.**

● « **التراث الثقافي للأجناس البشرية في إفريقيا بين الأصالة والتجديد** »، **تأليف الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، صدر عن نادي جدة الأدبي.**

● **عن دار العميد للثقافة والنشر بجدة** صدر كتابان ضمن سلسلة « المكتبة الثقافية » هما: « **ركض الخاطر** » و « **لفح اللهب** »، **تأليف الأستاذ علي محمد العمير.**

● « **أسفار السروي** »، **مجموعة قصصية للقاص عبد العزيز مشري، صدرت عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون..**

كما صدرت للكاتب نفسه رواية « الوسمية » وهي أول عمل روائي يقدمه للقارئ.

● « **بيع الكالئ بالكالئ في الفقه الإسلامي** »، **بقلم الدكتور نزيه كمال حمّاد،** صدر عن **مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة** ضمن سلسلة « **المطبوعات العربية** ».

● « **الموسوعة السعودية في فن الطبخ المبسط واللذيذ** »، **تأليف فائزة عبد الكريم الأركوبي، صدرت في الرياض.**

الجزائر

مفدي.. شاعراً للثورة

اختير الشاعر الجزائري الراحل (**مفدي زكريا**) **ليكون شاعراً للثورة الجزائرية**، وذلك في ختام المهرجان الثاني الذي عقد إحياءً لذكراه.

وقد جاء هذا الاختيار لدوافع متعددة، منها أنه كان مناضلاً بشعره وقلمه من أجل أن يحيا شعب الجزائر حراً مستقلاً، كما كان شاعراً وناثراً، له تميزه وسماته المتفردة.

المعروف أن الشاعر الراحل هو صاحب النشيد الوطني الجزائري.

مجلتان جديدتان

صدرت في الجزائر مجلتان فصليتان جديدتان هما :

★ « **المجلة الجزائرية للعلاقات الدولية** »، وتصدر في طبعتين إحداهما عربية والأخرى فرنسية، وتهتم بنشر الأبحاث المتعلقة بالعلاقات الدولية، وقد جاء عددها





★ محمد الأخضر السائحي ★ ★ د. طه حسين ★

الأول متضمناً أبحاثاً متنوعة بأقلام نخبة من الخبراء والمتخصصين.

★ «مجلة الدراسات التاريخية» وتصدر عن معهد الدراسات التاريخية التابع لجامعة الجزائر.

كتب جديدة

● صدرت الكتب التالية عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر:

★ «تقرير المصير السياسي للشعوب في القانون الدولي العام»، تأليف الدكتور عمر إسماعيل سعد الله.

★ «السؤال الذي حيّر المدينة»، مجموعة قصصية للقاص العيد بن عروس.

★ «الأنفاس الأخيرة»، رواية تأليف محمد حيدار.

★ «روحي لكم: تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث»، تأليف محمد الأخضر عبد القادر السائحي.

كما صدرت الكتب التالية عن ديوان المطبوعات الجامعية:

★ «دليل المقامات العربية وتمارينها الغنائية»، تأليف أحمد حسين.

★ «الإدارة في الإسلام»، تأليف محمد مهنا العلي.

★ «بحات من اقتصاديات الملكية الخاصة في الفقه الإسلامي»، تأليف ضياء مجيد الموسوي.

★ «الموجز في علم الإجرام والعقاب»، تأليف الدكتور نظير فرج مينا.

★ «تحليل المحتوى في بحوث الأعلام»، تأليف الدكتور محمد عبد الحميد.

★ «الإدارة العامة»، تأليف الدكتور فيريل هيدي، ترجمة الدكتور محمد قاسم قريوتي.

★ «قياس كفاية التدريس ـ طرقه ووسائله الحديثة»، تأليف الدكتور محمد زياد حمدان.

★ «دراسة العود بالطريقة العلمية»، تأليف عبد الحميد مشعل.

★ «المرشد في علم النفس الاجتماعي»، تأليف الدكتور عبد الحميد محمد الهاشمي.

● «المسلمون في تاريخ الحضارة»، تأليف ستانود كوب، ترجمة الدكتور محمد فتحي عثمان، صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية بمدينة الجزائر.

● «قواعد وأحكام في الاقتصاد الإسلامي»، تأليف الدكتور يوسف العظم، صدر في طبعة جديدة عن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر.

● «الخلدونية، العلوم الاجتماعية وأساس السلطة السياسية»، تأليف الدكتور نور الدين حقيقي، ترجمة إلياس خليل، صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية بمدينة وهران.

● «رمضان حمود»، ج ٣، تأليف الدكتور صالح خرفي، صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر.

مصر:

جائزة طه حسين

اهتماماً بالأديب الراحل الدكتور طه حسين، سوف تنشأ في مصر جائزة باسمه على مستوى العالم العربي، اعتباراً من العام القادم، وذلك تقديراً لدوره في خدمة الأدب

في دائرة الضوء

● الكتاب: الجيولوجيا العامة General Geology.

● المؤلف: R.J. FOSTER.

صدرت الطبعة الخامسة من هذا الكتاب في عام ١٩٨٥م، عن دار نشر CHARLES E. MERRILL PUBLISHING CO بالولايات المتحدة الأمريكية، ومؤلف الكتاب هو R.J. Foster، والكتاب مقدمة في الجيولوجيا العامة تشمل دراسة لقشرة الأرض، العمليات الخارجية، الجيولوجيا البنائية، والجيولوجيا التاريخية.

ويعطي الكتاب فكرة جيدة وشاملة لجميع المظاهر الجيولوجية للأرض. ويناقش الكتاب الجيولوجيا الكلاسيكية من وجهة نظر حديثة، خاصة ما يتعلق بالتطورات الحديثة في الجيولوجيا مثل تأثير رحلات الفضاء وانتشار قاع البحر ونظرية الأطباق المتحركة.

ومن مزايا هذا الكتاب ما يلي:

١ ـ رخص ثمنه وإمكانية استخدامه لتدريس المستويات الأولى، أو جعله كتاباً إضافياً لتدريس الجيولوجيا العامة.

٢ ـ سهولة قراءته مع جودة الرسومات التوضيحية لكي يجذب الطلاب المبتدئين في دراسة الجيولوجيا.

٣ ـ تغطيته للمفاهيم الجيولوجية الأساسية والحديثة بإيجاز.

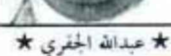
٤ ـ عرضه للمصطلحات الجيولوجية وتعريفها، بالإضافة إلى تزويد كل فصل من فصول الكتاب بأسئلة للمراجعة











★ عبدالله الجفري ★ ★ يحيى حقي ★ ★ صلاح جاهين ★

العربي وقضاياه الفكرية، وعصاميته وعطاءاته المتنوعة والمتميزة.

كشف أثري

عثرت بعثة الآثار المصرية على تمثال نادر للملك سيتي الثاني ـ أحد ملوك الأسرة العشرين ـ، بالإضافة إلى مجموعة من العناصر الأثرية، عبارة عن كتل ضخمة من الجرانيت يعتقد بأنها أرضية لمعبد فخم.

وفاة صلاح جاهين

في شهر شعبان ١٤٠٦ هـ، الماضي، انتقل إلى رحمة الله تعالى الفنان والأديب والشاعر صلاح جاهين عن ٥٦ عاماً.

والأستاذ جاهين، كان فناناً شمولياً، فهو رسام معروف، اشتهر بأعماله الكاريكاتورية في أشهر الصحف المصرية، وهو شاعر شعبي زجال عبَّر من خلال شعره العامي عن العديد من القضايا التي مرت ببلاده.

وهو إلى جانب ذلك ممثل، قام بعدد من الأدوار السينمائية، كما كتب قصة فيلم «تحت تهديد السلاح» وحكاية (الليلة الكبيرة) التي أصبحت أشهر ما كتب للأطفال في تاريخ الفن المصري الحديث.

وقد بدأ حياته الفنية المتميزة متعدد العطاء، وتنوعه عام ١٩٤٣ م، وكان عمره وقتها ١٣ عاماً.

والمعروف أن الفنان الراحل حاصل على ليسانس الحقوق، واشترك في إصدار مجلة «صباح الخير»، ثم انضم إلى أسرة تحرير (الأهرام) منذ أول مارس (آذار) عام ١٩٦٢م، ليطالع القراء كل صباح بكاريكاتيره على صفحاتها.

وقد اختارته وزارة الثقافة المصرية ليكون مسؤولاً عاماً عن ثقافة الطفل وفنه، وذلك في عام ١٩٦٢ م.

وكان ذلك دافعاً ليكتب للصغار عدة أعمال استعراضية، وقد كرمته الدولة بوسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى منذ ٢٢ عاماً.. ومن دواوينه الشعرية: (زهرة في موسكو ـ كلمة سلام ـ موال عشان القنال ـ رباعيات ـ القمر والطيف ـ قصاقيص من ورق ـ أقوال سبتمبرية).

وكان يستعد لإصدار ثلاثة دواوين شعرية أخرى.

كتب جديدة

● «أبواب للريح والشمس»، تأليف الأديب السعودي المعروف عبد الله عبد الرحمن الجفري، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «مدرسة الإحياء والتراث»، تأليف الدكتور إبراهيم السعافين.

● «عطشان يا صبايا»، مجموعة قصصية للقاص سليمان فياض، صدرت ضمن مختارات فصول.

● «استشراف الشعر ـ دراسات أولى في نقد الشعر العربي الحديث»، إعداد الدكتور صبري حافظ، صدرت عن هيئة الكتاب بالقاهرة.

● «مدرسة المسرح»، مجلد يضم جزءً من الأعمال الكاملة للكاتب يحيى حقي، صدر في القاهرة.

● «نحن بخير... اطمئنوا»، مجموعة قصصية للقاص محمد صلاح الدين، صدرت عن الإبداع العربي.

● «كانت صعبة ومفردة»، مجموعة قصصية للروائي المصري إحسان عبد القدوس، صدرت في القاهرة.

الشاملة.

٥ ـ عرض نظرية الأطباق المتحركة PLATE TECTONICS وربطها بالمظاهر الجيولوجية.

٦ ـ عرض بعض موضوعات البيئة، مثل الأخطار البيئية التي ترافق البراكين والانزلاقات الأرضية، الفيضانات والمياه الجارية، بالإضافة إلى تلوث المياه والطعام، والتخلص من النفايات الضارة. كما يناقش الكتاب مصادر الطاقة والمعادن.

وتشمل محتويات الكتاب ما يلي:

● **المقدمة:** وتشمل أيضاً الأرض المتحركة.

★ **الفصل الأول:** تركيب القشرة الأرضية، العناصر وكمياتها في الطبيعة، المعادن المكوّنة للصخور، التعرف على المعادن، صخور القشرة الأرضية، الصخور النارية، الصخور الرسوبية، الصخور المتحولة.

★ **الفصل الثاني:** العمليات الخارجية، التعرية، حركة المواد السطحية على المنحدرات، العمل الجيولوجي للأنهار، العمل الجيولوجي للجليد، المياه السطحية، مصادر المياه.

★ **الفصل الثالث:** الجيولوجيا البنائية، التركيب الداخلي للأرض، حجم الأرض وشكلها ووزنها، الزلازل وعلم الزلازل، تركيب طبقات الأرض، تركيب القشرة الأرضية، تركيب المحيطات، تركيب القارات وحوافها، زحف القارات، انتشار قاع المحيطات والبحار، وحركة قاع البحر، نظرية الأطباق المتحركة، الفروق بين المحيطات والقارات.

★ **الفصل الرابع:** أسس الجيولوجيا التاريخية، التاريخ المطلق والنسبي، مقياس الزمن الجيولوجي، عدم التوافق، المضاهاة وتاريخ الصخور، تفسير التاريخ الجيولوجي.

د. أحمد عبد القادر المهندس

الرياض


★ الأمير خالد الفيصل ★ ★ د. غازي القصيبي ★ ★ عبدالرحمن رفيع ★



سورية

عضو جديد في المجمع

انتخب الأديب المصري « وديع فلسطين »، ليكون عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

وبانتخاب فلسطين يرتفع عدد الأعضاء المصريين في المجمع الدمشقي إلى اثنين، إذ سبق أن انتخب الأديب محمود شاكر عضواً من قبل.

كتب جديدة

● « النول والمخمل »، دراسة لأعمال جبران خليل جبران، إعداد حنا عبود، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

العراق

مؤتمر للبرامج والمجلات الثقافية

عقد في بغداد مؤتمر الأدباء والمعنيين بالبرامج والمجلات الثقافية، وذلك تحت إشراف وتنظيم مكتب التربية العربي لدول الخليج بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام العراقي.

حضر المؤتمر العديد من المهتمين، ونوقشت فيه قضايا لها صلة بالأمور الثقافية التي تدعو إلى التجانس بين الأدباء العرب سواء كانوا من منطقة الخليج أو الأقطار العربية الأخرى.

كتب جديدة

● « ديوان الجعفري ــ صالح عبد الكريم ابن جعفر، كاشف الغطاء ١٩٠٨ ــ ١٩٧٩ م »، جمع وتحقيق الدكتور علي جواد الطاهر وثائر حسن جاسم، صدر في بغداد.

عمان

مكتبة وطنية ومركز وثائق

سيتم في مسقط إنشاء أول مكتبة وطنية »، تتولى إيداع وتوثيق الإنتاج الفكري في السلطنة، وإنشاء مركز وطني للوثائق يتولى جمع وتحليل وتنظيم الوثائق الإدارية والمحافظة عليها.

المعروف أن فكرة هذه المكتبة والمركز جاءت نتيجة توصية الندوة العلمية لتوثيق المعلومات الإدارية بالسلطنة، في ختام اجتماعاتها في مسقط خلال شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٨٦م.

تونس

معرض دولي للكتاب

أقيم في العاصمة التونسية خلال شهر أبريل (نيسان)المعرض الدولي الخامس للكتاب الذي استمر حتى نهاية الثامن من شهر مايو (أيار) ١٩٨٦ م.

شارك في المعرض العديد من دور النشر العربية والعالمية، بالإضافة إلى دور النشر التونسية، وتم فيه عرض أكثر من عشرين ألف عنوان.

وعلى هامش المعرض عقدت ندوة حول « كتاب الطفل في الوطن العربي » تمت فيه مناقشة عدة موضوعات لها علاقة بالمواد الموجهة للطفل، ورسومات كتب الأطفال، وعلاقة الكتاب بالوسائل السمعية والبصرية.

تاريخ المغرب العربي

عقد خلال الفترة من ١١ ــ ١٣ من شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٦ م، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ المغرب العربي وحضارته وذلك تحت إشراف وتنظيم اللجنة الثقافية القومية التونسية للمؤرخين الجامعيين.

نوقشت في هذا المؤتمر الذي حضره عدد من المتخصصين من تونس والجزائر والعراق وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا عدة دراسات لها علاقة بالمدن والمجتمعات الحضرية في دول المغرب العربي.

جمعية للنقد السينمائي

تأسست في تونس جمعية جديدة للناقدين السينمائيين تضم مجموعة من الصحفيين المهتمين بهذا الجانب النقدي، وقد أطلق عليها « الجمعية التونسية للنهوض بالنقد السينمائي »، وكان على رأس المؤسسين لهذه الجمعية السيد (نوري الزنزوري) الذي سبق له أيضاً أن أسس « نادي السينما » و« المؤسسة الوطنية للوسائل السمعية والبصرية ».

قطر

مجلة جديدة

صدر في الدوحة في نهاية شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٦ م، العدد الأول من مجلة « أخبار الأسبوع »، وهي مجلة سياسية ثقافية جامعة تصدر أسبوعياً عن مؤسسة علي بن علي للطباعة والنشر، ويرأس تحريرها عادل علي بن علي.

هذا وقد جاء العدد الأول من هذه المجلة



★ وديع فلسطين ★



★ د. علي جواد الطاهر ★

حافلاً بالعديد من الموضوعات التي لها علاقة بالمجتمع القطري وبالقضايا الكبرى في العالم العربي.

● « الحياة الصحية نعمة »، صدر عن قسم التربية الصحية بوزارة الصحة ــ الدوحة.



رابطة المؤرخين وأعضاء جدد

انضم الشاعر اليمني عبد الله الجمدري، والكاتب أمين عبد السلام الوصابي مدير مكتب مجلة « أضواء اليمن » إلى رابطة المؤرخين والأدباء والكتاب لأبناء شعب حوض البحر الأحمر في الجمهورية العربية اليمنية كعضوين جديدين فيها.

المعروف بأن هذه الرابطة تضم عدداً من الكفاءات العلمية والأدبية.



أمسية شعر

أقيمت في المنامة أمسية شعرية أحياها كل من:

★ صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر خالد الفيصل.

★ الشاعر الدكتور غازي القصيبي.

★ الشاعر عبد الرحمن رفيع.

★ الشاعر مبارك العماري.

وذلك بحضور العديد من المسؤولين والمهتمين.



● « الحاسبات الآلية ومستقبل الترجمة في العلوم والآداب »، محاضرة ألقاها الدكتور محمود إسماعيل صيني بكلية تربية أبها.

● « مشكلة تعريب التعليم العلمي بالجامعات »، محاضرة ألقاها الدكتور محمود إسماعيل صيني في كلية تربية أبها.

● « أصول الحركة الأدبية »، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله التطاوي بنادي الطائف الأدبي.

● « قيمة الوقت في حياة المسلم »، محاضرة ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بجامعة الملك سعود بالرياض.

● « أضواء كاشفة على أسرار اختلاف الفقهاء »، محاضرة ألقاها الدكتور سالم علي الثقفي بالنادي الأدبي بالطائف.

● « نظرة الجمال عند ابن حزم »، محاضرة ألقاها أبو تراب الظاهري بنادي جدة الأدبي.

● « الحركة الأدبية والشعرية في الكويت »، محاضرة ألقاها الشاعر الكويتي خالد سعود الزيد بمدينة الجزائر.

● « الحركة المسرحية في الكويت »، محاضرة ألقاها الدكتور حسن يعقوب العلي بمدينة الجزائر.

● « القصة في الكويت »، محاضرة ألقاها الدكتور عبد اللطيف رمضان بالجزائر.

● « الأمن القومي العربي في عقد الثمانينات »، محاضرة ألقاها الدكتور علاء الدين هلال في أبو ظبي.

● « الوطنية في ظل الإسلام »، محاضرة ألقاها الشيخ عبد العزيز المسند بنادي القصيم الأدبي.

● « الألسنية .. لماذا »، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله الغذامي بفرع جمعية الثقافة والفنون بالدمام.

● « البنوك الآلية للمصطلحات العلمية »، محاضرة ألقاها الدكتور محمود إسماعيل صيني في كلية تربية أبها.

كما ألقيت المحاضرات التالية بمجمع اللغة العربية الأردني خلال موسمه الثقافي الرابع لعام ١٤٠٦هـ:

★ « دور الحاسوب في تعريب العلوم »، محاضرة ألقاها الدكتور محمود مختار.

★ « التركيب والإنشاب في علم الفلاحة عند العرب »، محاضرة ألقاها الدكتور محمد زهير البابا.

★ « دور عضو هيئة التدريس في تعريب التعليم العلمي الجامعي »، محاضرة ألقاها الدكتور إحسان عباس.

● « ينبع ــ ثغرة من ثغور الإسلام »، محاضرة ألقاها الشيخ عبد العزيز المسند بالهيئة الملكية بينبع.

☆ ☆ ☆



وقد جاءت هذه الأمسية ضمن برنامج زيارة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز للبحرين خلال شهر شعبان ١٤٠٦ هـ، الماضي.

فلسطين

زياد ومجلة « لوتس »

تم انتخاب السيد « **زياد عبد الفتاح** » مدير عام وكالة الأنباء الفلسطينية « وفا » ليكون رئيساً لتحرير **مجلة (لوتس)** الناطقة باسم **اتحاد الكتاب الأفروآسيويين**.

لبنان

كتب جديدة

● « **الوظيفة القنصلية والدبلوماسية في القانون والممارسة** ـ دراسة مقارنة »، مجلد ألفه **الدكتور عاصم جابر**، صدر في بيروت.

● « **أبحاث في النص الروائي العربي** »، تأليف الدكتور سامي السويدان، صدر عن **مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت**.

● « **نيابة غزة في العهد المملوكي** »، تأليف محمود علي خليل عطا الله، صدر عن **دار الآفاق الجديدة في بيروت**.

● « **مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي** »، تأليف الدكتور عبد المجيد تركي، ترجمة وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الصبور شاهين، مراجعة الدكتور محمد عبد المنعم محمود، صدر عن دار المغرب الإسلامي في بيروت.

* * * *

فرنسا

الإنسان والمحيط الحيوي

عقدت في باريس ندوة دولية، وذلك في نهاية شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٦م، **نظمها الاتحاد الدولي للمدن المتآخية تحت اسم** الإنسان والمحيط.

حضر هذه الندوة ممثلون للجزر الصغيرة بالبحر المتوسط، وذلك في إطار **برنامج منظمة الأمم المتحدة للثقافة والتربية والعلوم (اليونسكو)** حيث نوقشت فيها عدة موضوعات من بينها:

★ الحياة الاجتماعية في الجزر الصغيرة.

★ الأنشطة السياحية وانعكاساتها على البيئة.

★ الحياة في المدن ومشاكل المياه.

وفاة البادي

توفي في باريس الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي « ميرسيا البادي » عن ٧٩ سنة، حيث كان من مواليد عام ١٩٠٧م، في بوخارست برومانيا.

والبادي، من الرواة الفرنسيين، له عدة روايات بالإضافة إلى كتاباته التاريخية واهتمامه بالديانات وتاريخها، كما كان من أصحاب دار نشر « بايو » الفرنسية.

وفاة جان جينيه

توفي الكاتب الفرنسي « جان جينيه » عن ٧٦ عاماً، حيث كان من مواليد عام ١٩١٠م.

ويعد جينيه من الكتاب الفرنسيين البارزين، فالمكتبة قد حفلت بالعديد من نتاجه الفكري والأدبي، حيث تربو أعماله على ثمانية عشر عملاً، منها:

★ أناشيد أسرية عام ١٩٤٤ م.

★ سيدة الزهور.

★ أعجوبة الوردة.

★ قصائد.

★ النظارة العليا.

★ يوميات اللص.

★ مؤلفاته الكاملة في ثلاثة مجلدات.

★ الزنوج.

★ إضافة إلى كتابه عن مذابح صبرا وشاتيلا.

منح جائزة أدبية

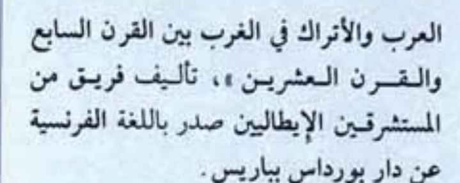
حصلت الكاتبة الفرنسية « مارجريت دورا » ٧١ عاماً، على المركز الأول لجائزة **(ريتز همنجواي)** وذلك عن قصتها « الحبيب »، وهذه الجائزة تمنح لأفضل قصة تصدر في باريس باللغة الإنجليزية، وتصل قيمة الجائزة إلى حوالي ٥٠ ألف دولار.

كما فاز بالمركز الثاني الكاتب « **جامايا كيسنيه** » الروائي الذي ينتمي لجزر الهند الغربية، أما المركز الثالث فقد حصل عليه الكاتب المكسيكي « **كارلوس لوينتبس** ».

الجدير بالذكر أن هذه الجائزة قد منحت لأول مرة في العام الماضي، كما أن الفائزة الأولى بها في هذا العام قد حصلت من قبل على جائزة « **جونكورت الفرنسية** » عام ١٩٨٤م، لنفس القصة التي تعالج فيها سيرتها الذاتية.

أحدث الكتب

● « **تاريخ وحضارة الإسلام في أوروبا** . .



★ زياد عبدالفتاح ★ ★ جان جينيه ★

العرب والأتراك في الغرب بين القرن السابع والقـرن العشريـن »، تأليف فريق من المستشرقين الإيطاليين صدر باللغة الفرنسية عن دار بورداس بباريس.

● « نشأة البوهيمي »، تأليف جيرالدين سيجال، صدر في باريس.

● « لماذا نضحـك ؟ »، تأليف سارة كوفمان، صدر في باريس.

إيطاليـا :

معرض للفن الصحراوي

أقيم خلال الفترة من ٢٤ أبريل (نيسان) إلى ٢٤ يونيو (حزيران) عام ١٩٨٦ م، في مدينة فلورنسا الإيطالية، معرض للفن الصحراوي لفترة ما قبل التاريخ.

عرضت فيه الصور واللوحات والنقوش المرسومة على الصخور، التي اكتشفت في الصحراء الإفريقية الكبرى، كما عرضت فيه أيضاً بعض الموجودات التي تم العثور عليها والمتعلقة بفن الصناعات الخزفية.

الجدير بالذكر أن المعروضات قد جلبت من مختلف المعارض الإيطالية والأوروبية إلى جانب بعض المقتنيات الشخصية الموجودة لدى المهتمين بالآثار.

ألمـانيـا :

العربية ـ مادة رئيسة

اعتباراً من العام الدراسي القادم، تبدأ إحدى المدارس القانونية في ألمانيا الغربية



رسائل جامعية



●● « تصميم وإنجاز إنسان آلي مبرمج »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمركز الدراسات النووية والطاقة الشمسية بالجزائر، تقدمت بها السيدة ميلودي قفاف.

●● « نمط الإنتاج وأساليب تقييم رأس المال في الفلاحة الجزائرية »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمعهد العلوم الاقتصادية بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد شحات فؤاد.

●● « محمد العيد آل خليفة ... شعره الإسلامي »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد ابن سمينة محمد الباقي.

●● « تحليل أخطاء متعلمي اللغة العربية من غير أهلها »، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد حسين الطيب الشيخ.

●● « المعاهدات في الشريعة الإسلامية ـ بحث مقارن بالقانون »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة بغداد (كلية الشريعة)، تقدم بها السيد إسماعيل كاظم العيساوي.

●● « المرأة في الفكر الإسلامي »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة الإسلامية التابعة لجامعة بغداد، تقدم بها السيد جمال محمد فقي الباجوري.

●● « التبشير في العراق ـ وسائله وأهدافه »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة بجامعة بغداد، تقدمت بها السيدة سلامة حسين الموسوي.

●● « تدوين الكتب المقدسة ـ القرآن، التوراة، الإنجيل »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة بجامعة بغداد، تقدم بها السيد حميد عادل الدوسكي.

●● « مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية بين ١٩٦٧ ـ ١٩٨٢ م »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد محمد سليم قلالة.

●● « دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العثمانية »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد قويدر بشار.

●● « السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية بين عامي ١٩٥٨ م، و ١٩٦٢ م »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد أحمد بن فليس.

●● « مبادئ الإعلام والدعاية لدى جبهة التحرير الوطني وتطبيقها في المعاهد بين عامي ١٩٥٦ م، و ١٩٦٢ م »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد أحمد حمدي.

●● « تحقيق ودراسة كتاب النكت الوفية في شرح الألفية للبتاعي »، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد خبير خليل عبد الكريم.



بتدريس اللغة العربية كمادة رئيسة، وإدخالها في فحوص الشهادة الثانوية.

وتقع هذه المدرسة في بلدة (إيلزة) قرب مدينة هيلديسهايم التي كانت فيها اللغة العربية تعامل كلغة ثانوية.

أمريكا :

أحدث الكتب

● « أطلس كامبريدج الاقتصادي »، تأليف جيان أودوز، صدر عن مطبعة جامعة كامبريدج.

كما صدرت عن نفس المطبعة الكتب التالية :

★ « دليل كامبريدج الفلكي »، تأليف بيل ليلير وبين ماير.

★ « التصوير الفلكي للمكتشفين »، تأليف ميكايل كوفينفتون.

★ « قصة الأرض »، تأليف بيتر كاتيرمال وباتريك مور.

★ « الرسوم والبيانات الخلاقة للكمبيوتر »، تأليف هانيبال جانكل وروكي مورتون.

★ « دليل كامبريدج للعالم المادي »، تأليف راندي كوتيرل.

● « تاريخ الفن الانطباعي »، تأليف جون يوالد، صدر في طبعته الرابعة بنيويورك.

يوغوسلافيا :

جائزة لشاعر أميريكي

حصل الشاعر الأميريكي « آلن جيتربرج » على جائزة (الإكليل الذهبي)، التي تمنح من قبل إدارة مهرجان ليالي الشعر بستروجا، وسيتم تسليمها للشاعر في نهاية شهر أغسطس (آب) القادم، وذلك عند عقد هذه الليالي.

أحدث الكتب

● « المجموعة التاسعة من الأعمال الكاملة للأديب ميروسلاف كرليجا ١٨٩٣ — ١٩٨١ م »، صدرت عن دار نشر « أوسلوبوجيني ».

● « بادوفنو »، مجموعة قصصية للقاص ريستو تريفكوفيتش، صدرت في سرايفو.

● « لم يعد لهم وجود »، رواية، تأليف جيوفين بافلوفيتش.

روسيا :

كتاب عن السعودية

صدر مؤخراً في موسكو عن دار التقدم — السوفييتية كتاب عن تاريخ المملكة العربية السعودية.

صدر الكتاب بالعربية، تأليف المستعرب السوفييتي « ألكسي فاسيليف » الذي سبق له أن ألّف كتباً متعددة منها :

★ مشاكل الخليج العربي.

★ الخليج في قلب العاصفة.

★ النفط العربي.

★ الجزيرة العربية السعيدة.

وفاة أربوزوف

توفي في العشرين من شهر أبريل (نيسان) الكاتب المسرحي الروسي « ألكسي أربوزوف » عن (٧٧) عاماً.


★ مارجريت دورا ★

كان يعد من أشهر المسرحيين السوفييتيين الذين تعرض مسرحياتهم منذ الثلاثينات، وكان عضواً في اتحاد الكتاب الوطني منذ عام ١٩٣٤ م.

كتب في حياته العديد من المسرحيات منها :

★ « تانيا » عام ١٩٣٩ م.

★ « المدينة في الفجر » عام ١٩٤١ م.

★ « الطريق الطويل » عام ١٩٣٥ م.

وفاة كاتيف

توفي الكاتب الدرامي السوفييتي « فالنتين كاتيف » عن ٨٩ عاماً، حيث كان من مواليد عام ١٨٩٧ م، في مدينة أوديسا.

كان كاتيف قد اشترك منذ شبابه في مجموعة شباب الشعراء والكتّاب في بلدته أوديسا خلال العشرينات.

من أهم كتبه بعض الموسوعات، والأقاصيص، ورواية خاصة عن المغامرات اسمها (المختلسون) أصدرها عام ١٩٢٥ م، بالإضافة إلى عدد من المسرحيات أشهرها (دائرة الدائرة).

الصين :

كشف أثري

عثر الأثريون في الصين مؤخراً على سبع ماسات نادرة ذات أربعة جوانب مستوية، وذلك في أكبر منجم للماس في الصين بالقرب من داليان بإقليم لياونينغ شمال شرقي البلاد.

ويبلغ حجم أكبر هذه الماسات ١,٤٤ قيراطاً، ولونها أبيض شفاف، في حين يميل لون ست ماسات إلى الاصفرار.

هذا، وقد أطلق على هذه الماسات اسم « تيترهيدون »، ومن ناحية أخرى، فقد تم العثور على كهف جديد يعرف باسم « كهف التنين » في جبل بشانشي الواقع في محافظة سانجتشي التابعة لمقاطعة هونان بالصين.

ويقع الكهف في منتصف الجبل، ويبلغ طوله أكثر من ٣ آلاف متر، وعلى جداري الكهف (تنينان) مكونان من الرواسب الكلسية، ولون أحدهما أصفر، والآخر أبيض، ويوجد به كثير من السرطانات والسلاحف وغيرها من التماثيل الطبيعية المنحوتة.

أستراليا

أحدث الكتب

● صدرت الكتب التالية عن « أنوين وألن » للنشر ـ فرع أستراليا :

★ « الحياة في المدن : الحواضر والمجتمعات في المناطق السكنية الرئيسية في أستراليا »، تأليف إيان بور نلي وجيمس بيسيت.

★ « اليهود في مقاطعة فيكتوريا بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٨٥م »، تأليف هيلاري روبيشتاين.

★ « برنامج التغيير : النشاطات والأعمال الإيجابية في أستراليا »، تأليف ماريان سوير.

★ « سوكارنو »، تأليف ج . د . ليج.

أسبانيا

أحدث الكتب

● « قصائد عربية على جدران ونوافير قصر الحمراء »، بقلم المستعرب الإسباني أميليو غارسيا غومس، صدر عن المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد.





سورية

العلم والعمل في بلاد الشام

ستعقد في دمشق بمقر **متحف الطب والعلوم**، خلال الفترة من ١٩ ـ ٢٥ من أيلول (سبتمبر) عام ١٩٨٦م، **الندوة الخامسة للسمات الإنسانية للعلم والعمل في** بلاد الشام تحت شعار (**العلم والعمل من أجل خير الإنسان**)، التي من **أهدافها** :

★ **التعريف بالهوية الحضارية من خلال إبراز السمات الإنسانية في تاريخ بلاد الشام.**

★ **تبادل الخبرات بين العلماء في ميداني العلوم التطبيقية والإنسانية.**

★ **تعميق التعارف بين الباحثين العرب والأجانب.**

★ **الإسهام في ترجمة الوثائق القديمة المكتشفة عن بلاد الشام من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية.**

هذا، وقد دعت اللجنة المنظمة لهذه الندوة، جميع الباحثين والمختصين للاشتراك في الندوة، سواء كانوا من سورية أم من البلاد العربية الذين لهم الرغبة في المشاركة.

أما عن موضوعات الندوة فستكون شاملة للموضوعات التالية :

★ **الموضوع الأول : (العلوم الإنسانية)**، وتحته تندرج نظرة الحضارات المختلفة القديمة للإنسان، سواء كانت يونانية أم رومانية، أم نظرة الديانات السماوية.

★ **الموضوع الثاني : (العلوم التطبيقية)**، وسيكون موضوعه الرئيسي نقص المناعة المكتسبة (الأيدز)، حيث سيتم فيه تناول موضوعات هامة مثل : وسائل العدوى، والعامل المسبب، والأمراض المؤثرة على المناعة، والاختلاط، والإمكانات المخبرية .. إلى غير ذلك.

الجدير بالذكر أن آخر موعد لقبول البحوث هو يوم ١٩٨٦/٨/١م.

بريطانيا

مهرجان عالمي للفنون

مرت اربعون عاماً على بدء العمل في إقامة مهرجان محلي، وبهذه المناسبة، فسيقام في (أدنبرة) ابتداءً من العاشر من شهر أغسطس (آب) القادم **أكبر مهرجان للفنون في العالم** يستمر ثلاثة أسابيع، إذ من المقرر أن تقدم فيه :

★ أوبرا (أوبيرون) للمؤلف الموسيقي الألماني **ماريافون ديبروم** في حفل الافتتاح، وهي أول مرة تعرض فيها هذه الأوبرا على خشبة المسرح منذ أن عرضت لأول مرة في (**كوهيث جاردن**) بلندن عام ١٩٢٦م. وكان يقود الأوركسترا وألفها بنفسه.

ويشارك في المهرجان الاتحاد السوفييتي بأوبرا (**تشايكوفسكي**)، كما يشارك المسرح الملكي السويدي بأوبرا (**المجهار برجان**) لمس جولي، وتشارك أيضاً الفرقة اليابانية بأوبرا من إخراج **يوكيو نينا جاوا**، كما يشارك أوركسترا تورنتو السيمفوني الكندي في المهرجان.



خيال

١ يطيرُ الفتى بجناح الخيال — إلى حيث شاء من العالم
ولكن يعود بخفي حنين — فتصدمه يقظة الحالم!

مكارم الأخلاق

٢ خذ العفو أن يعتذر غافل — ومُرْهُ بعُرفٍ وكن ليّنا
واعرض عن الجاهلين الذين — أتى الذكر في ذمهم بيّنا

درع الصبر

٣ تدرّع إذا محنة داهمتك — بصبر ودع سُنّة الجازع
فما نافع جزع الجازعين — إذا لم يكُ الصبرُ بالنافع

كن حذراً

٤ تبصرْ بمن قد رماه الزمان — بدهياء خابطة مذهله
وكن حذراً ساعياً ما حييتَ — فذو اللهو تفجؤه المعضله

وعيد

٥ أتى في الكتاب عن المجرمين — وعيد حكاه خطاب مُبين
يمتعهم ربهم .. قائلاً — واملي لهمْ إن كيدي متين

عشاء القطط

٦ على حين كنا نريد العشاء — ووجه المدى عاكرٌ مختبط
إذا الريح فرّقنا عصفُها — وأمسى الطعام عشاء القطط

عالم النفس

٧ على نسقٍ رائقٍ أبدعت — عوالمنا كلها واتساقِ
سوى عالم المرء في نفسه — فليس لأطوارها من وفاقِ

شهيق وزفير

٨ يشبُّ بصدري لهيب الشجون — ويصلى فؤادي بلفح السعير
فأشهق والهنا من لظاه — ويصعد مني شواظ الزفير



من كتاب هذا العدد



جمعة محمد غلاب

★ من مواليد الإسكندرية ـ مصر عام ١٩٥٠ م .

★ ليسانس آداب .

★ يجيد الإنجليزية .

★ عمل موظفاً بمستشفيات جامعة الإسكندرية .

★ يعمل حالياً موظفاً بشركة الشرق للتأمين والمعاشات .

★ له مجموعة قصصية تحت الطبع وبعض البحوث .



مصطفى عبد الشافي بحيري

★ من مواليد طوخ ـ مصر عام ١٩٥٢ م .

★ ليسانس آداب ـ لغة عربية .

★ يجيد الإنجليزية .

★ عمل في القوات المسلحة ، ثم أحيل إلى المعاش .

★ له مجموعتان قصصيتان .



د . أحمد شوقي الفنجري

★ من مواليد بنها ـ مصر عام ١٩٢٥ م .

★ بكالوريوس الطب والجراحة ، ودبلوم الصحة العامة والوبائيات .

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية والإيطالية .

★ عمل طبيباً بالقوات المسلحة المصرية ، وفي هيئة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين ، وفي المملكة العربية السعودية .

★ يعمل حالياً رئيساً لقسم الطب الوقائي في الكويت ، وباحثاً علمياً بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي .

★ شارك في عدد من المؤتمرات .

★ له عدد من الأعمال المطبوعة .

★ عضو منظمة العلوم الطبية الإسلامية ، ورابطة الأدب الإسلامي بالرياض ، و « لكنو » بالهند ، والموسوعة العلمية الكويتية .

★ حائز على عدة جوائز في التصوير ، وهو عازف وناقد موسيقي .

د . نذير العظمة

★ من مواليد دمشق ـ سورية عام ١٩٣٠ م .

★ دكتوراه أدب حديث ومقارن .

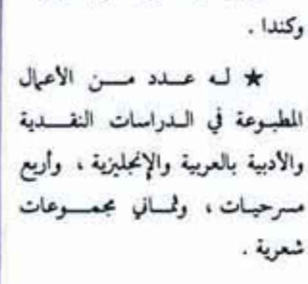
★ يجيد الإنجليزية والفرنسية .

★ عمل رئيساً لقسم اللغة العربية في كلية برمانا العالية في لبنان ، كما عمل أستاذاً للأدب في جامعة بورتلاند ، وأستاذاً زائراً بجامعة محمد الخامس في الرباط بالمغرب ، ورئيساً لتحرير جريدة « البناء » في بيروت .

★ يعمل حالياً أستاذاً للنقد والدراسات المقارنة في جامعة الملك سعود بالرياض .

★ عمل سكرتير جمعية المستشرقين في الغرب من أميريكا وكندا .

★ له عدد من الأعمال المطبوعة في الدراسات النقدية والأدبية بالعربية والإنجليزية ، وأربع مسرحيات ، وثماني مجموعات شعرية .



محمد رضا آل صادق

★ من مواليد النجف الأشرف ـ العراق عام ١٩٤٥ م .

★ تخرج في كلية الفقه .

★ عمل فترة من الزمن مدرّساً للغة العربية والعلوم الإسلامية .

★ له ثلاثة دواوين شعرية مطبوعة (أنفاس الشباب) ، (الصوت والأصداء) ، (الزورق والرياح) .

★ له كتابان نثريان أحدهما (أوراق نقدية) ، والآخر (شذرات من حياتهم) .

★ نشر شعره في عدد من المجلات العربية المعروفة .

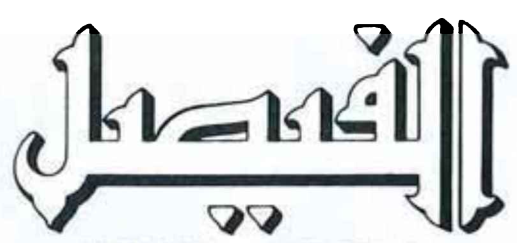


●● « الحضر » .. مدينة عائدة من أعماق التاريخ .. مدينة تقع على بعد (٣٤٥) كم عن بغداد . ومنطقتها اليوم . منطقة بادية . تتوافر فيها المياه الجارية . والزروع الوافرة . طالع ص (٢٧)



●● يقال إن القمر تعرض لعمليات « حت » يمكن مقارنتها مع عمليات الحت والتعرية الأرضية كيف يحدث الحت في القمر الخالي من المياه والهواء . والذي لا تهطل عليه الأمطار . ولا تهب فيه الرياح؟! طالع ص (٧٥)

●● تقوم « الفيصل » في هذا العدد بـ « رحلة في كتاب » : مفاهيم إسلامية وغربية عن الحضارة » . حيث نستمتع برحلة فكرية ثقافية وحضارية عبر العصور الإسلامية . ومن خلال آراء وتفسيرات المفكرين الإسلاميين . ومفكري الغرب طالع ص (٦٧)



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 112 - 10th YEAR - JUN/JUL. 1986.

العدد (١١٢) ـ شوال ١٤٠٦ هـ ـ السنة العاشرة ـ حزيران (يونيو) / تموز (يوليو) ١٩٨٦ م.

رئيس التحرير

علــوي طه الصــافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To:

المراسلات:

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027. TELEX 202600 DRFATH SJ

مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣)
الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس: ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج.ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٤٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٥٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price	Country	Currency	Price	Country	Currency	Price
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	12	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESO	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150   Others : S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفــراد ١٥٠ ريالا سعوديا   لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

شركة الطباعة العربية السعودية

ص.ب ٦٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ تلكس ٤٠١٣٦٢ ... ٤٦٥٨٩٩٠ مطبع

ـــدد ●● في هذا العدد ●●



○○ عندما يذكر البحر الميت، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن ملوحته العالية التي يتميز بها، فضلاً عن كونه أكثر المناطق انخفاضاً عن مستوى سطح البحر (٤٠٠ متر). فهـل لا تزال درجـة الملوحة نفسـها.. أم إنها زادت؟.. وهل بقي مستوى الانخفاض نفسه أم ازداد انخفاضاً؟. طالع ص (٩٠).



○○ قرحة المعدة، وقرحة الاثني عشر، ذلك المرضان اللذان يشكـو الكثير منهما. هل من جديد في الطب يمكن أن يضـاف إلى ما يعرفـه البعض عن هذين المرضـين؟ ماذا في الطـب عن العـوامل المسـاعدة لحدوثهما؟ ما الجديد في طرق علاجهما؟. طالع ص (٩٩).

○○ يقال إن البارود والمدافع، اختراع عربي.. وإن المسلمين أول من ابتكروه ثم طوروه، واستعملوه في الحرب كقوة دافعة.

ومـع هذا، هنـاك رأيـان متضاربان حول صناعة البارود، وعن أول من عرفه. طالع ص (١٠٩).







بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم

باسمى التهاني وأجمل الأماني

إلى حضرة صاحب الجلالة

الملك فهد بن عبد العزيز المفدى

وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام



وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة

والشعب السعودي الكريم أعاده الله على الجميع باليمن والبركات

(PRS-4-86)

في العدد القادم

« الفيروز » . .

حجر من الأحجار الكريمة، كان ولا يزال، يجذب الكثيرين إلى البحث عنه في مختلف بقاع العالم.

وما أكثر ما جذب هذا « الفيروز » قدماء المصريين . . حيث أرسل الملوك الفراعنة ، الرحلات والبعثات ، بهدف الحصول عليه .

و « تلال الفيروز » اسم يطلق على منطقة مصرية ، ذات مساحة شاسعة ، اشتهرت بوجود الفيروز فيها .

تتكون المنطقة من صحارى وجبال . . ووديان وتلال . . مقابر وآثار .

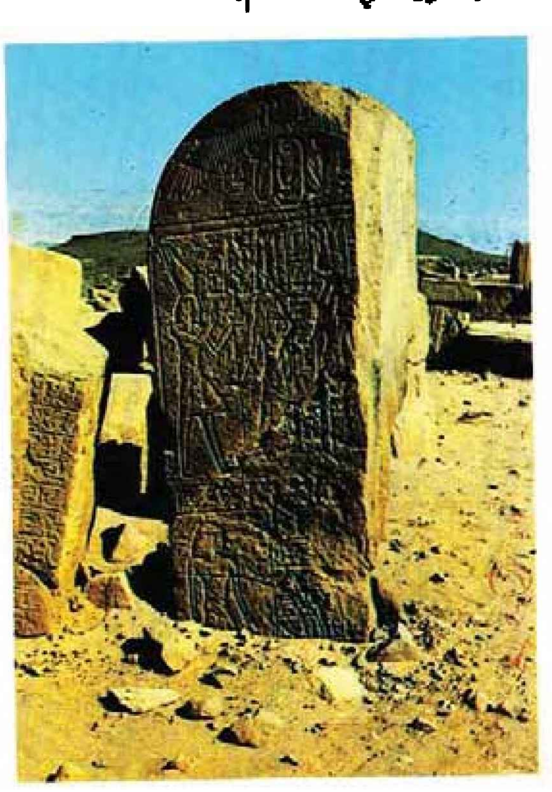
في جوارها جزر ثلاث . . أهمها « جزيرة فرعون » .

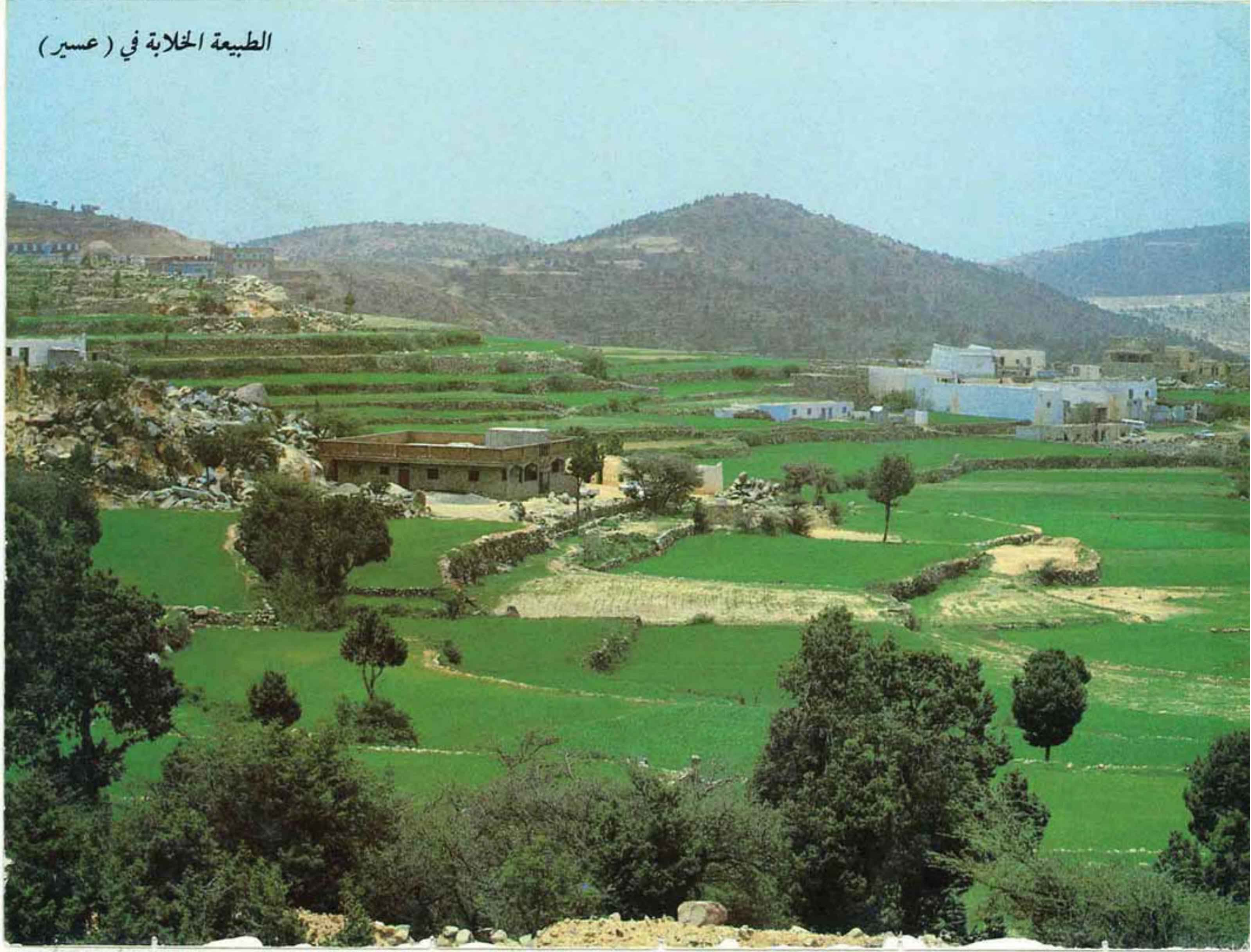
وفي المنطقة بقعة من أكثر البقاع قدسية ، جاء ذكرها في القرآن الكريم .

أين تقع هذه المنطقة؟ وما البقعة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم؟

بمَ تمتاز المنطقة . . وما المشروعات التي أنجزت، وتنجز فيها .

نستميحك عذراً ــ عزيزي القارئ ــ في تأجيل الأجوبة، حتى تقرأها مفصلة ومدعمة بالصور . . في العدد القادم.





الطبيعة الخلابة في (عسير)